مجلة
الصباح للبحوث

مجلة بحثية محكمة | المجلد:٧ يناير ٢٠٢٢

ISSN: 2454-7824

قسم الماجستير والبحوث في اللغة العربية وآدابها

كلية فاروق (حكم ذاتي)

كاليكوت، كيرالا، الهند، ٦٧٣٦٣٢

(كلية ذات كفاءة للامتياز معترفة لدى المجلس الأعلى للجامعات، نيو دلهي)

هيئة التحرير

رئيس هيئة الاستشارة

د/ كى. م. نصير، عميد كلية فاروق، كيرلا

الأعضاء

د/ محمود درابسة، عميد شؤون الكلية، جامعة الشارقة، الإمارات العربية المتحدة
د/ محمد بشير .كى، شيخ الجامعة سابقا، جامعة كاليكوت، كيرالا
د/ أى.بي. محي الدين كوتي، رئيس قسم العربية، جامعة كاليكوت، كيرالا
د/ سي.بي أبوبكر، أستاذ مشارك والرئيس سابقا، قسم الماجستير والبحوث في اللغة العربية وآدابها،كلية فاروق،كيرالا
د/ بشير أحمد جمالي، أستاذ، مركز الدراسات العربية والإفريقية،جامعة جوهر لال نهرو، نيو دلهي
د/ حبيب الله خان، أستاذ، قسم العربية، الجامعة الملية الإسلامية، نيو دلهي
د/ ثناء الله الندوي، أستاذ، قسم العربية، جامعة عليكرةالإسلامية،عليكرة
د/ أن. أي. محمد عبد القادر، أستاذ فخري، جامعة كاليكوت، كيرالا
د/ عبد المجيد.تي.أى، أستاذ، قسم العربية ، جامعة كاليكوت، كيرالا
د/ علي نوفل.كى، أستاذ مشارك، قسم العربية ، جامعة كاليكوت، كيرالا

رئيس التحرير

د/ يونس سليم
رئيس القسم، قسم الماجستير والبحوث في اللغة العربية وآدابها، كلية فاروق، كيرالا

المحرر

د/ إ كي ساجد
أستاذ مساعد، قسم الماجستير والبحوث في اللغة العربية وآدابها، كلية فاروق، كيرالا

الأعضاء

د/ عبد المجيد تي، أستاذ مساعد، قسم الماجستير والبحوث في اللغة العربية وآدابها
د/ محمد عابد يو بي، أستاذ مساعد، قسم الماجستير والبحوث في اللغة العربية وآدابها
د/ عبد الجليل، أستاذ مساعد، قسم الماجستير والبحوث في اللغة العربية وآدابها
د/ صغير علي تي. بي، أستاذ مساعد، قسم الماجستير والبحوث في اللغة العربية وآدابها
د/ عباس كى. بي، أستاذ مساعد، قسم الماجستير والبحوث في اللغة العربية وآدابها

هيئة المراجعة والتحكيم

د/ أن. عبد الجبّار، أستاذ مشارك والرئيس سابقا، قسم الماجستير والبحوث في اللغة العربية وآدابها، كلية فاروق، كيرالا
د/ بي. عبد الرشيد، أستاذ مشارك والرئيس سابقا، قسم الماجستير والبحوث في اللغة العربية وآدابها، كلية فاروق، كيرالا
د/ جمال الدين الفاروقي. كى، عميد كلية دار الأيتام سابقا،موتل، ويناد، كيرالا
د/ يو. سيد علوي، عميد كلية مليبار للدراسات العليا بونغارا سابقا، ملابرم، كيرالا
د/ سي. سيد علوي، عميد كلية يونيتي للبنات سابقا، مانجيري، كيرالا

قسم الماجستير والبحوث في اللغة العربية وآدابها
كلية فاروق، كيرالا في سطور

تأسيس: ١٩٤٩ م
البكالوريوس في اللغة الشرقية(BOL) : ١٩٤٩م
البكالوريوس في اللغة العربية: ١٩٥٩م
البكالوريوس في اللغة العربية والتاريخ الإسلامي: ١٩٦٦ م
الماجستير في اللغة العربية: ١٩٦٧ م
البحوث في اللغة العربية وآدابها: ٢٠٠٠ م

الرؤساء السابقون

د/ علي نوفل.كى (٢٠١٥ - ٢٠٢٢)
د/ سي.بي. أبوبكر (٢٠١٢ - ٢٠١٥)
د/ أن. عبد الجبّار (٢٠١١ - ٢٠١٢)
أ/ كى.تي. حمزة(٢٠١٠ - ٢٠١١) تاريخ الالتحاق بالكلية سنة ١٩٨١ م
د/ دي.بي. عبد الرشيد(١٩٩٣ – ١٩٩٥ و٢٠٠٣- ٢٠١٠)
أ/ وي.بي. عبد الحميد (١٩٩٥ – ٢٠٠٣)
أ/ أم. محمد (١٩٨٧ - ١٩٩٣)
أ/ كنج محي الدين كوتي (١٩٨٣ -١٩٨٧)
أ/ علي كنجي
أ/ وي.محمد

أعضاء هيئة التدريس السابقون

د/ بي. أحمد سعيد
أ/ وي.سوبي
أ/ كى. بي. كنج محمد
أ/ طاهرة بي وي
د/ أحمد ابراهيم رحمة الله
د/ كى. وي. ويران محي الدين
د/ كى.أم. محمد
د/ اسماعيل لبي
أ/ أن. عبد الحميد
أ/ بي.بي. عبد الحميد
أ/ علي كنجي
أ/ وي.محمد
أ/ أم.أى. فريد
أ/ بي.أم. سليم
أ/ إي.سي. أبوبكر
أ/ أو.كى. حسن
أ/ أم.أبوبكر
أ/ كى. عثمان
أ/ كى. بي. أبوبكر
د/ أن. أى . محمد عبد القادر
د/ أى. بي. محي الدين كوتي
د/ يو. سيد علوي

هيئة التدريس الحالية

د/ يونس سليم. سي، أستاذ مساعد
د/ ساجد إي.كى، أستاذ مساعد
د/ عبد المجيد. تي، أستاذ مساعد
د/ محمد عابد .يو. بي، أستاذ مساعد
د/ عبد الجليل. أم، أستاذ مساعد
د/ صغير علي تي. بي، أستاذ مساعد
د/ عباس كى. بي، أستاذ مساعد

الافتتاحية

نحو العالمية للعمل الأدبي

العالمية للعمل الأدبي خاصية تخرج بها النصوص الأدبية من دائرة المحلية أو القومية إلى نطاق عالمي أوسع، تخرج النصوص إلى حيز مكان مفتوح وغير مقيد، وعلى الرغم من أن هناك إشكاليات عديدة لمصطلح 'العالمية'، يتبادر إلى أذهاننا سؤال بسيط؛يفرز العرب كما هائلا من النصوص الأدبية شعرا ونثرا، والشعر يحتلّ حيّزا كبيرا في تلك النصوص الأدبية، ثمة تبقى تلك التساؤلات، هل يتحقق تلك النصوص المقروئية على الصعيد العالمي؟، أو تموت تلك النصوص محليا أو قوميا؟ ما الذي يعوق العمل الإبداعي أن يدخل إلى حيز العالمية؟.

تتجلى 'الترجمة الأدبية' في مصاف حلول تلك التساؤلات، ولا يخفى على أحد أنّ للترجمة أهمّية بالغة في للتّبادل الثّقافي بين الشعوب، وهي لا تزال ذريعة للتّفاعل الثّقافي، وأن التّرجمة هي عمليّة نقل النص من لغة المصدر إلى لغة الهدف، وفي الترجمة الأدبية تهاجر النصوص تماما من فضاء إلى فضاء، ويتحلّى بهوية جديدة في ذاك الفضاء، ويتواصل النص مع الشعوب والجاليات، فعلى سبيل المثال كانت هناك مبادرات مؤسساتية وفردية لترجمة المشروع الروائي العربي إلى لغة كيرالا، الهند، فتمت ترجمة رواية 'أولاد حارتنا' و'بين القصرين' لنجيب محفوظ، ورواية 'زنقة بن بركة' لمحمود سعيد، ورواية 'فوهة في الفضاء' لمحمود سعيد، ورواية 'نساء البساتين' للحبيب السالمي، ورواية 'الموت عمل شاق' لخالد خليفة، ورواية 'وحدها شجرة الرمان' لسنان أنطون، ورواية 'عندما تشيخ الذئاب' لجمال ناجي إلى لغة ولايتنا كيرالا، الهند، ولا تزال تلك المبادرات تؤتي أكلها كل حين.

وينال العمل الأدبي صفة العالمية أيضا من خلال الدراسات والأبحاث التي جرت على تلك النصوص الأدبية، فهذه المجلة التي بين أيديكم من المبادرات في هذا المضمار، ويقدم هنا قسم الماجستير والبحوث فى اللغة العربية وآدابها، كلية فاروق، كاليكوت، كيرالا بين أيديكم المجلد السابع لـ«مجلة الصباح للبحوث»، وفي إطار سعينا المستمر لتطوير المجلة شكلاً ومحتوى ومضموناً، كانت هناك تطويرات نوعية في المجلة بحيث يقدّم دراسات جادّة وبحوث وافية، والمجلة محفل علمي ذو أبعاد مختلفة ومنهجية علمية بارزة، فهيئة التحرير لهذه المجلة تعبر عن تهانيها الصادقة لتلك الثلة من الباحثين لجهودهم العلمية الخلاقة، وترجو أن يكون هذا العمل سعيا منهجيا في مجال الدراسات حول العمل الإبداعي وأن يستفيد منه القراء المستجدّون. وبالله التوفيق، والله المستعان.

الدكتور/ يونس سليم

رئيس التحرير

المحتويات

الرقم	عنوان المقالة	اسم الكاتب	الصفحة
١	أسلوب الالتفات في القرآن الكريم: سورة الشعراء أنموذجاً	الدكتور/ محمود درابسة	٨
٢	روائع النزعات العديدة في شعر خليفة الوقيان – دراسة فنية	الدكتور/ سعيد بن مخاشن	٢٣
٣	التبادل التجاري والثقافي بين العرب وأفريقيا في رواية عسل زنجبار المر لعبد الله ناصر سلطان العامري	الدكتور/عبد المجيد أ أي	٣٠
٤	الخلفية الحضارية والإجتماعية لفلسطين	الدكتور/ إي. ك. ساجد	٣٤
٥	النصوص الهندية الكلاسيكية: دراسة تحليلية	الدكتور/ محمد عابد . يو. بي	٤٤
٦	العروبة في شعر محمّد العيد آل خليفة	الدكتور/عبد الجليل يم	٤٧
٨	الدراسات الأسلوبية وأبعادها	الدكتور /أسامة أي وي الدكتور/ محمد رياض كي	٥٢
٩	الخلفية السياسية الاجتماعية والثقافية لمسلمي ولاية كيرالا	الدكتور/ جعفر ام	٥٨
١٠	اللغة العربية وعباقرتها في الهند في الحكم الإسلامي	الدكتورة/ جبيلية بي	٦٣
١١	القصة القصيرة في سلطنة عمان	السيد/ حميد وي الدكتور/ زين الدّين بي. تي	٧٣

١٢	الفروق الفردية في القرآن الكريم	الدكتور/ يونس سليم	٨١
١٣	نشأة النحو العربي وتطوره عبر الزمان	السيد/ أحمد كويا الدكتور/سيد علوي	٨٤
١٤	الرواية الإماراتية: منطلقاتها وأبعادها	السيدة/ بشنين هدى كي، سي الدكتور/صغير علي تي. بي	٩٧
١٥	الزمن التاريخي في رواية " مصائر كونشرتو الهولوكوست والنكبة " لربعي المدهون	السيد/ رشيد وى وى الدكتور/عباس كى بى	١٠٢
١٦	الظواهر الثقافية الاجتماعية في رواية ' بقعة عمياء' لسميحة خريس	السيدة/ راشدة رشيد ب.ب الدكتور /يونس سليم	١٠٧
١٧	الإنسانية في قصص جمال فايز:الرحيل والميلاد أنموذجا	السيد/شرف الدين الدكتور/محمد عابد يو.بي	١١٣
١٨	تشكيل صورة المرأة في رواية "ذاكرة الجسد" لأحلام مستغانمي	السيدة/ بشرى. ين الدكتور/ عبد الجليل. م	١١٨
١٩	تصوير الهندي في رواية 'جلال الخالد' لمحمود أحمد السيد	السيد/م اسحاق بي سي الدكتور/ سي. سيد علوي	١٢٣
٢٠	توظيف التراث في الرواية الإماراتية (رواية 'آخر نساء لنجة ' أنموذجا)	السيدة/ شحنة . س .ب	١٢٩
٢١	سحر خليفة وصورة المرأة الفلسطينية في أعمالها	الدكتور/ شوكت علي. سي. وي	١٣٧
٢٢	كتابة السيرة النبوية للأطفال: عبد التواب يوسف نموذجا	السيد/ شعيب الوافي الدكتور/ عبد المجيد تي	١٤٣
٢٣	أدب الرحلة في الأندلس: رحلة ابن جبير أنموذجا	السيد/ محمد أزهر سي.أتش	١٤٩

٢٤	السّيرة في التّراث العربي فنّا وتاريخا	السيد/ عثمان. م. ك الدكتور/ سيد علوي	١٥٤
٢٥	مظاهر الوطنية في قصيدة "باقون هنا"لسعاد الصباح	السيد/ عبد المنير بونتالا	١٥٩
٢٦	منهج التفسير الموضوعي عند أبو الكلام آزاد بين النظرية والتطبل	الدكتور/ صغير على ت ب	١٧٠
٢٧	العادات العمانية المنعكسة في رواية الباغ للكاتبة بشرى خلفان	الدكتور/عباس.كي.بي	١٧٥
٢٨	شعرية لغة الحوار في روايات أشرف أبو اليزيد	الدكتورة/سبينة.كى	١٨٠

أسلوب الالتفات في القرآن الكريم: سورة الشعراء أنموذجاً

الدكتور/ محمود درابسة[١]

الملخص

تتناول هذه الدراسة أسلوب الالتفات في القرآن الكريم . وقد تم اختيار سورة الشعراء أنموذجاً لذلك . إذ إن أسلوب الالتفات متعدد الصور والأوجه ، فهناك الخطاب سواء من جهة المتكلم أو المخاطب، أو الغائب ، أو من حيث الضمائر أو الزمن بأشكاله المختلفة ، إضافة إلى العدد من حيث الإفراد والجمع .

إذ يعد أسلوب الالتفات قيمة جمالية وفنية في القرآن الكريم ، فهو يضفي حركة زمنية وذلك بالعدول من الماضي إلى المضارع أو بالعدول من الخطاب إلى المتكلم أو من الغائب إلى المتكلم مما يضفي متعةً ذهنية ونفسية لدى المتلقي.وقد تناولت الدراسة موقف النقّاد والدارسين العرب القدماء الذين تتفاوت آراؤهم حول الالتفات اصطلاحاً ، فقد عرضوا لموضوع الالتفات دون الإشارة إليه تسميةً ، وإنما من خلال الفهم لمضمونه و صوره المختلفة ، وقد استمر هذا الحال حتى فترة متأخرة من القرن السادس الهجري تحديداً .

كما جاء الجانب التطبيقي من خلال سورة الشعراء ، لأنها تناولت قصص الأنبياء مع أقوامهم وما تعرضوا له ، و بالتالي فقد كثرت أساليب الالتفات بهذه السورة ، وذلك لما تضمنته من قصص و أخبار.

أسلوب الالتفات في القرآن الكريم: سورة الشعراء أنموذجاً

الالتفات عند النقاد والدارسين العرب القدماء

يعد أسلوب الالتفات واحداً من الأساليب البلاغية و الأساسية في القرآن الكريم ، وذلك لدوره الأسلوبي في اضفاء جمالية تعبيرية في حال انتقال الكلام و الخطاب من صيغة إلى أخرى من صيغ التعبير .

وقد تناولت معاجم اللغة العربية ، ومصادر اللغة والبلاغة مفردة الالتفات بصيغ مختلفة لتدل بشكل أو بآخر على التحول في الكلام من صيغة إلى أخرى .

فقد جاءت كلمة الالتفات في معجم لسان العرب بمعنى تحول أو انصرف من وجهة إلى أخرى . يقول ابن منظور: « لفت وجهه عن القوم ، صرفه وتلفت إلى الشيء التفت إليه ، صرف وجهه إليه ، ولفته عن الشيء يلفته لفتاً ، فاللفت : لواه عن رأيه ، وقيل الليّ هو أن ترمي به إلى جانبك ، واللحاء عن الشجر ، قشره ، والريش على السهم ، وضعه غير متلائم ، ويقال لفت الرجل بكسر الفاء لفتاً ، حمق ، و عمل بشماله دون يمينه ، و التيس أعوج قرناه ، و اللفتاء الحولاء ، و اللفوت من النساء ، كثيرة التلفت ..».[٢]

كما جاء في القاموس المحيط للفيروز أبادي معنى الالتفات يشير إلى التحول . يقول : «لفته يلفته لواه، وصرفه عن رأيه ، ومنه الالتفات و التلفت ، و اللحاء عن الشجرة : قشره و الريش على السهم ، وضعه غير متلائم بل كيف اتفق ، و اللفت بالكسر السلجم وشق الشيء وضعوه و البقرة و الحمقاء و حياء اللبؤة و ثنيه جبل

١ . عميد والأستاذ، قسم اللغة العربية، جامعة الشارقة

٢ . ابن منظور : لسان العرب ، دار صبح ، بيروت ٢٠٠٥ ، مادة لفت .

قديد بين الحرمين ويفتح و الألفت من التيس الملتوي أحد قرنيه و الأعسر و الأحمق كاللفات كسحاب ، و العسر الخلق، و اللفتاء الحولاء ، و العنز أعوج يلفت الماشية أي يضر بها لا يبالي أيها أصاب و هو لفتة كهمزة».[١]

وقد استمر ورود معنى الالتفات بأشكال و صيغ مختلفة تجسد حالة الاضطراب في مصطلح حاله حال كثير من المصطلحات التي لم تستقر إلا في وقت متأخر ، في حين أن تحديد المعنى بقي أسير جهات متعددة ، فهناك المعاجم اللغوية و كذلك علماء اللغة و البلاغة ، علماً بأن تعدد المعاني لم يخرج حقيقةً عن المفهوم الأسلوبي بمعنى الالتفات و الخروج من حالة إلى أخرى من صيغ التعبير .

فقد تناول أبو عبيدة البصري (ت ٢٠٩ هجري) في كتابه مجاز القرآن الالتفات دون أن يسميه مباشرة ، بل أشار إلى مجالاته ودلالاته ، وذلك من خلال آيات من القرآن الكريم ، تلك الآيات التي تظهر حالة الانتقال من المخاطبة إلى الغيبة ، او من الجمع إلى المفرد ، مبيّناً هذا التحول الذي هو لون من ألوان المجاز . يقول بما معناه إن الآية الكريمة « إياك نعبد وإياك نستعين . اهدنا الصراط المستقيم»[٢]تشير إلى أسلوب الخطاب ثم الانتقال لخطاب الغائب

ثم أشار إلى التحول من الجمع إلى المفرد من خلال الآية الكريمة « أُحِلّ لكم ليلة الصّيام»[٣] ، حيث جاء الخطاب بصيغة الجمع ، ثم أشار إلى المفرد من خلال ليلة الصيام[٤]وهكذا أورد أبوعبيدة عدة ألوان من المجاز الذي يتضمن معنى الالتفات ودلالاته .

وقد أشار الأصمعي (ت ٢١٠ هجري) إلى الالتفات بوصفه الانتقال من حال إلى أخرى، ولم يقصد به الناحية الاصطلاحية ، وإنما جاءت كلمة الالتفات نصاً أول مرة عند الأصمعي من خلال رواية ابن رشيق القيرواني(ت ٤٥٦هجري) في كتابه العمدة عن اسحق الموصلي ، فقال : « قال لي الأصمعي : أتعرف التفات جرير؟ قلت وما هو ؟

فأنشدني : أتنسى إذا تودعنا سليمة بعود بشامة سقي البشام ، ثم قال:

أما تراه مقبلاً على شعره ، إذ التفت إلى البشام فدعا له[٥]وبالتالي ، يمكن القول إن الأصمعي هو أول من أشار إلى الالتفات وقدمه للنقاد ، وكما يقول شوقي ضيف في كتابه البلاغة تطور و تاريخ : «و لعلنا لا نبالغ إذا قلنا إن الأصمعي أول من اقترح للالتفات اسمه الاصطلاحي في البلاغة «.[٦]

وأما أبو محمد عبد الله بن قتيبة (ت ٢٧٦هجري) فقد أدرج موضوع الالتفات تحت باب المجاز . والمجاز هو المظلة التي تشتمل على كل ألوان التحول من معنى إلى آخر أو من صيغة إلى أخرى في الخطاب. بيد أن ابن قتيبة لم يشر أبداً بصورة مباشرة إلى كلمة الالتفات . يقول في كتابه تأويل مشكل القرآن : «وللعرب المجازات في الكلام ، و معناها طرق القول ومآخذه ، ففيها الإستعارة و التمثيل و القلب و التقديم و التأخير و الحذف

١ . الفيروز أبادي : القاموس المحيط ، دار المعارف ، القاهرة ، مادة لفت .

٢ . سورة الفاتحة ، الآية ٤-٥ .

٣ . سورة البقرة ، الآية ١٨٧

٤. أبو عبيدة البصري : مجاز القرآن ، ١ / ٦٧ .

٥ . ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر و آدابه و نقده، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ٧٣/٢.

٦ . ضيف، شوقي: البلاغة تطور و تاريخ ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٥، ص ٣٠ .

و التكرار و الإخفاء و الإظهار و التعريض و الإفصاح ، و الإيضاح و مخاطبة الواحد مخاطبة الجميع والجميع خطاب الواحد ، و الواحد و الجميع خطاب الإثنين .... مع أشياء كثيرة سنراها في أبواب المجاز ، وبكل هذه المذاهب نزل القرآن».[١]

كما تناول عبد الله بن المعتز (ت٢٩٥ هجري) موضوع الالتفات محاولاً بناء نظرية بلاغية عربية من خلال عمله الموسوم بالبديع ، حيث أشار إلى أسلوب الالتفات من خلال مسمى آخر وهو محاسن الكلام ، حيث يقول : «هو انصراف المتكلم عن المخاطبة إلى الإخبار و عن الإخبار إلى المخاطبة ، وما يشبه ذلك. ومن الالتفات الإنصراف عن معنى يكون فيه إلى معنى آخر «.[٢]

كما ربط معظم النقاد الدارسين العرب القدماء موضوع الالتفات في المعاني و دلالاتها ، فقد عاين قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧هجري)في كتابه نقد الشعر موضوع الالتفات و عده من نعوت المعاني ، فقال: « وبعض الناس يسميه الاستدراك وهو أن يكون الشاعر آخذاً في معنى فكأنه يعترضه إما شك فيه أو ظن بأن راداً يرد عليه قوله أو سائلاً يسأله عن سببه فيعود راجعاً على ما قدمه ، فإما أن يذكر سببه أو يحل الشك فيه».[٣]

ولذا فإن قدامة قد عاين الالتفات من منظور دلالي و أسلوبي مختلف عمن سبقه ، وهذا ما يشير إلى أن مصطلح الالتفات كان مضطرباً وغير ثابت عند النقاد ، فتارة يسمى بالاستدراك أو الإعتراض . وهذا ما يعكس تماماً عدم استقرار المصطلح حتى هذه الفترة .[٤]

و قد عاين ابن جني (ت ٣٩٢هجري) في كتابه الخصائص فصلاً تحت مسمى في شجاعة العربية ، حيث تناول فيه موضوع الالتفات و ذلك من خلال ما أسماه الحمل على المعنى [٥].و لعل الشجاعة المقصود بها شجاعة الالتفات و الخروج على المألوف . يقول حسن طبل بهذا الخصوص : « ومن العجيب حقاً أن هذا التصور الذي أغفله أو غفل عنه البلاغيون كان فيما نعتقد المحور الذي تدور حوله دلالة مصطلح « شجاعة العربية « لدى ابن جني ، وهذا ما يتجلى في طبيعة الظواهر التي أدرجها و عالجها تحته ، و التي من أشهرها -كما يصرح- الحذف و الزيادة و التقديم و التأخير و الحمل على المعنى و التحريف ، إذ إن الخصيصة التي تنظم هذه الظواهر جميعاً هي الانحراف عن النمط أو الخروج على الصورة المثلى للغة ، و تلك الخصيصة هي الزاوية التي يركز ابن جني من خلالها نظرته إلى تلك الظواهر في دراسته لها ، و تتبعه المتأتي لتجليات صورها ، وقد صرح في غير هذا الموطن بأن أمثال هذه الظواهر هي -من هذه الزاوية ذاتها- كثيرة الدوران في الشعر دون النثر.

فالشعر - على حد تعبيره - :

« كثيراً ما يحرف فيه الكلم عن أبنيته ، و تحال فيه المثل عن أوضاع صيغها لأجله «.[٦]

كما تناول الباقلاني (ت ٤٠٣هجري) في كتابه إعجاز القرآن الالتفات تحت هذا المسمى مبيناً أهمية الالتفات ، ولكن دون تحديد اصطلاحي له ، حيث ذكر الباقلاني أن الالتفات هو نوع من الاعتراض ، وبالتالي

١ . ابن قتيبة ، عبد الله : تأويل مشكل القرآن ، تحقيق السيد أحمد صقر ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٥٤، ص ١٥-١٦ .

٢ . ابن المعتز ، عبد الله : البديع ، تحقيق و ترجمة أغناطيوس كراتشقوفسكي ، دار المسيرة ، بيروت ١٩٨٢ ، ص ٥٨.

٣ . قدامة بن جعفر : نقد الشعر ، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ١٩٧٩ ، ص ١٥٠ .

٤ . انظر / طبل ، حسن : أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية ، المدينة المنورة ١٩٩٠ ، ص ١٢ .

٥ . انظر ، ابن جني ، أبو الفتح عثمان بن جني : الخصائص ، تحقيق عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ٢٠٠٣ ، ص ١٧٠ – ١٧١ .

٦ . طبل : أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية ، ص ٤٩ .

فقد أدرج الالتفات ضمن فن البديع . يقول : « ومن البديع الالتفات ، فمن ذلك ما كتب إلى الحسن بن عبدالله العسكري ، أخبرنا محمد بن عبدالله الصولي ، حدثني يحيى بن علي المنجم عن أبيه عن اسحاق بن ابراهيم قال : قال لي الأصمعي : أتعرف التفاتات جرير ؟ قلت : لا ، فما هي ؟ قال: أتنسى إذ تودعنا سليمى بفرع بشامة سقى الشام .

و مثل ذلك لجرير : متى كان الخيام بذي طلوح سقيت الغيث أيتها الخيام .

ثم علق على ذلك بقوله: «ومعنى الالتفات أنه اعترض في الكلام قوله سقيت الغيث ولو لم يتعرض لم يكن ذلك التفاتاً و كان الكلام منتظماً ، وكان يقول متى كان الخيام بذي طلوح أيتها الخيام ، فمتى خرج عن كلام الأول ثم رجع إليه على وجه يلطف كان ذلك التفاتاً «.[١]

وقدبقيالمصطلح للالتفات مستمراً عند نقاد القرن الخامس الهجري مع ادراكهم لأهمية الالتفات ودوره الأسلوبي ، غير أن النقاد والدارسين العرب قد خلطوا بين الالتفات وموضوعات أخرى مثل الاعتراض والاستدراك ، بيد أن هذا الخلط والاضطراب قد شكل حالة من الوعي لأهمية الالتفات ودوره الأسلوبي .

ولعل ابن رشيق القيرواني (ت ٤٥٦ هجري) قد أشار إلى الالتفات وتسمياته عند النقاد الآخرين ، وقد قدم أمثلة على الالتفات تبرز الوعي لأهمية هذا الأسلوب البلاغي . يقول: «وهو الاعتراض عند قوم ، وسماه آخرون الاستدراك ، حكاه قدامة ، وسبيله أن يكون الشاعر آخذاً في معنى ثم يعرض له غيره فيعدل عن الأول إلى الثاني فيأتي به ، ثم يعود إلى الأول من غير أن يخل في شيء مما يشد الأول كقول كثير : لو أنّ الباخلين وأنْتَ منهمُرأوكَ تعلّموا منكَ المطَالا .

فقوله وأنت منهم اعتراض كلام في كلام ، قال ذلك ابن المعتز وجعله باباً على حدته بعد باب الالتفات ، وسائر الناس يجمع بينهما . قال النابغة الذبياني:
أَلا زعَمتْ بنو عبسٍ بأنّي ألا كذّبوا كبيرَ السّن فأني.
فقوله ألا كذبوا اعتراض ، ورآه آخرون للجعدي .
وأنشدوا في الالتفات لبعض العرب:
فظلّوا بيومٍ دعْأخاكَ بمثلِه على مشرع يروي ولمايصرد .
فقولك دع أخاك بمثله التفات مليح .
وقال عوف بن محلم لعبد الله بن طاهر :
إنالثّمامنين وبلغتها قد أحوجَت سمعي إلى ترجمان .
فقوله : وبلغتها التفات ، وقد عده جماعة من الناس تتميماً ،والالتفات أشكل وأولى بمعناه».[٢]

وقد بيّن ابن رشيق القيرواني أهميته ودوره الأسلوبي . يقول : «ومنزلة الالتفات في وسط البيت كمنزلة الاستطراد في آخر البيت ، و إن كان ضده في التحصيل ، لأن الالتفات تأتي به عفواً و انتهازاً ، ولم يكن لك في خلد فتقطع له كلامك ، ثم تصله بعد إن شئت والاستطراد تقصده في نفسك ، و أنت تحيد عنه في لفظك حتى تصل به كلامك عند انقطاع آخره ، أو تلقيه إلقاء و تعود إلى ماكنت فيه «.[٣]

١ . الباقلاني ، أبو بكر : إعجاز القرآن ، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الجيل ، بيروت ١٩٩١ ، ص ١٥١.
٢ . ابن رشيق القيرواني : العمدة ، ٢ / ٧١- ٧٢ .
٣ . المصدر نفسه ، ٢ / ٧٢- ٧٣ .

وقد التفت الزمخشري (ت ٥٣٨ هجري) في كتابه الكشاف إلى أنماط من صورة الالتفات مثل الضمائر ، وذلك لإبراز جماليات التعبير القرآني ، وكذلك الشعر العربي يقول في تفسيره لبعض آيات القرآن الكريم : « هذا يسمى الالتفات في علم البيان ، قد يكون من الغيبة إلى الخطاب و من الخطاب إلى الغيبة ، ومن الغيبة إلى التكلم كقوله تعالى : (**حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم**)[١] وقوله أيضاً: (**وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ**)[٢]»[٣]

كما أدرك الزمخشري أهمية الالتفات في شد انتباه المتلقي ، وبث روح التفاؤل لديه ، وهذا يبرز الأهمية للقيمة الفنية للالتفات . يقول: « إن الكلام إذا نقل من أسلوب كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع ، وإيقاظاً للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد ، وقد تختص مواقعه بفوائد «.[٤]

وبهذا تتضح أهمية الالتفات ودوره في المتلقي ، حيث أصبح الالتفات يشكل نواة أساسية في بنية النص ، ولعل جهود الزمخشري كانت واضحة في هذا المجال.

ولعل ضياء الدين بن الأثير (ت ٦٣٨ هجري) قد وقف ملياً عند الالتفات مدركاً قيمته الفنية وعلاقته المؤثرة بالمتلقي، وبالتالي فيمكن القول إن ابن الأثير قد حدد ملامح هذا المصطلح و أهميته الفنية في بنية النص . يقول: :» إعلم إن عامة المنتمين إلى هذا الفن إذا سئلوا عن الانتقال عن الغيبة إلى الخطاب و عن الخطاب إلى الغيبة ، قالوا : كذلك كانت عادة العرب في أساليب كلامها ، ونحن إنما نسأل عن السبب الذي قصدت العرب ذلك من أجله. قال الزمخشري (رحمه الله) : إن الرجوع من الغيبة إلى الخطاب إنما يستعمل للتفنن في الكلام ، والانتقال من أسلوب إلى أسلوب ، تطرية لنشاط السامع ، و إيقاظاً للإصغاء إليه . و ليس الأمر كما ذكره ، لأن الانتقال في الكلام من أسلوب إلى أسلوب إذا لم يكن إلا تطرية في نشاط السامع و إيقاظاً للإصغاء إليه ، فإن ذلك دليل على أن السامع يمل من أسلوب واحد. فينتقل إلى غيره ليجد نشاطاً للاستماع، وهذا قدح في الكلام ، لا وصف له لأنه لو كان حسناً لما مل ، ولو سلمنا على الزمخشري ما يذهب إليه لكان إنما يوجد ذلك في الكلام المطوّل ، ونحن نرى الأمر بخلاف ذلك، لأنه قد ورد الإنتقال من الغيبة إلى الخطاب ، و من الخطاب إلى الغيبة ، في مواضع كثيرة من القرآن الكريم ، ويكون مجموع الجانبين مما يبلغ عشرة ألفاظ ، أو أقل من ذلك ، و مفهوم قول الزمخشري في الإنتقال من أسلوب إلى أسلوب إنما يستعمل قصداً للمخالفة بين المتنقل عنه و المتنقل إليه لا قصداً للمخالفة بين المتنقل عنه و المتنقل إليه ، لا قصداً للاستعمال الأحسن و على هذا فإذا وجدنا كلاماً قد استعمل في جميعه الإطناب و لم ينتقل عنه ، و كان كلا الطرفين واقعاً في موقعه، قلنا هذا ليس بحسن، إذ لم ينتقل فيه من أسلوب إلى أسلوب ، وهذا القول فيه مافيه ، وما أعلم كيف ذهب على مثل الزمخشري مع معرفته بفن الفصاحة والبلاغة .

والذي عندي في ذلك أن الإنتقال من الغيبة إلى الخطاب ، أو من الخطاب إلى الغيبة ،لا يكون إلا لفائدة اقتضته ، وتلك الفائدة أمر وراء الإنتقال من أسلوب إلى أسلوب ، غير أنها لا تحد بحد، ولا تضبط بضابط ، ولكن يشار على مواضع منها لقياس عليها غيرها».[٥]

١ . سورة يونس ، الآية ٢٢ .

٢ . سورة فاطر ، الآية ٩.

٣ . الزمخشري ، أبو القاسم جار الله محمود : الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل ، تحقيق خليل مأمون ، دار المعرفة ، بيروت ٢٠٠٩ ، ص ٢٨ .

٤ . المصدر نفسه ، ص ٢٩ .

٥ . ابن الأثير ، ضياء الدين : المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، بيروت ١٩٩٠ ، ٢ / ٣-٤

وقد عاين حازم القرطاجني (ت ٦٨٤ هجري) في كتابه منهاج البلغاء و سراج الأدباء موضوع الالتفات مبيناً أن الالتفات هو الانعطاف في الكلام من غرض لآخر ومن موضوع لآخر ، بشكل مستطرف ، وبالتالي فقد عرف الالتفات بأنه الجمع بين حاشيتي الكلام المتباعد في المآخذ و الغرض ، وأن يكون الانعطاف لطيفاً ، وبالتالي فإن حازم القرطاجني قد حدد شروط الالتفات ، وقدم نماذج شعرية توضيحاً لفهمه للالتفات . يقول: « إعلم أن الانعطاف بالكلام من جهة إلى أخرى أو غرض إلى آخر لا يخلو من أن يكون مقصوداً أولاً ، فيذكر الغرض الأول لأن يستدرج منه إلى الثاني و تجعل مآخذ الكلام في الغرض الأول صالحة مهيأة لأن يقع بعدها الغرض الثاني موقعاً لطيفاً و ينتقل من أحدهما إلى الآخر انتقالاً مستطرفاً ، لذكر الغرض الثاني و لا توطئة للصيرورة إليه و الاستدراج إلى ذكره بل لا ينوي الغرض الثاني في أول الكلام و إنما يسنح للخاطر سنوحاً بديهياً ويلاحظه الفكر المتصرف بالتفاتاته إلى كل جهة و منحى من أنحاء الكلام .

فما كان من قبيل هذا القسم الثاني فإنه الذي يعرف بالالتفات ، و منه ما لايكون بتلك الصورة . وفيما لا يبنى الكلام عليه أيضاً من أول مالايكون بصورة الالتفات.

١-إضاءة . والصورة الالتفاتية: هي أن يجمع بين حاشيتي كلامين متباعدي المآخذ والأغراض ، وأن ينعطف من إحداهما إلى الأخرى انعطافاً لطيفاً من غير واسطة ، تكون توطئة للصيرورة من أحدهما إلى الآخر على جهة من التحول .

والانعطاف غير الالتفاتي يكون بواسطة بين المنعطف منه والمنعطف إليه ، يوجد الكلام بها مهيئاً للخروج من جهة إلى أخرى ، وسبب يجعل سبيلاً إلى ذلك يشعر به قبل الانتهاء إليه».[١]

في ضوء هذا التقديم عن معنى الالتفات وغايته عند النقاد والدارسين العرب القدماء ، فقد اتّضح أن مصطلح الالتفات لم يستقر إلا متأخراً ، فقد اختلط بمسميات متعددة ، بيد أنه لم يخرج عن دور الالتفات بوصفه نمطاً أسلوبياً بلاغياً ، حيث وجد فيه الدارسون القدماء كما هو حال الدارسين المعاصرين طاقة فنية تبعث السرور في نفس المتلقي وتبعد عنه الضجر و الملل سواء أكان العمل نصاً إبداعياً أو خطابياً .

ولعل تناول علماء البلاغة و اللغة و النقد لآيات القرآن الكريم و الوقوف عند إعجازها البلاغي ، و لاسيما من خلال الالتفات في سور القرآن الكريم ، بوصف الأسلوب محركاً ذهنياً و بلاغياً للانتقال من صيغة إلى أخرى ومن معنى إلى آخر ، وكذلك من الغيبة إلى الخطاب ومن الخطاب إلى الغيبة ، فضلاً عن الانتقال من المفرد إلى الجمع أو المتكلم إلى المخاطب ، تلك الصور الأسلوبية تجعل أسلوب القرآن الكريم مؤثراً في المتلقي ليس من ناحية المعنى فقط ، بل من حيث الأسلوب و التحول من صيغة إلى أخرى.

وقد أدرك البلاغيون أهمية الالتفات و دوره في شد انتباه المتلقي ورفع السآمة عنه ، لكي يتابع بكل اهتمام طبيعة الخطاب و تحولاته الأسلوبية ، وهذا ما جعل أسلوب الالتفات موضع عناية الدراسين في مرحلة مبكرة .

ويجيء هذا البحث ليعاين أسلوب الالتفات وأنماطه وصوره المختلفة من خلال سورة الشعراء ، لتعدد القصص فيها ولاسيما قصص الأنبياء ، وبالتالي فقد تجلى الالتفات و تحولاته من المتكلم للخطاب ومن الماضي للحاضر ، ومن الإفراد للجمع . ولذا فإن هذه السورة مثل غيرها من السور الكريمة في القرآن الكريم تجسد طاقة بلاغية و قدرة إعجازية في الطرح والخطاب .

١ . القرطاجني ، حازم : منهاج البلغاء و سراج الأدباء ، تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة ، مكتبة الغرب الإسلامي ، بيروت ، ص ٣١٤ – ٣١٦ .

أسلوب الالتفات في سورة الشعراء

تعد سورة الشعراء من السور المكية التي تفردت من بين سور القرآن الكريم بذكر كلمة الشعراء ، كما أنها من السور التي تميزت بتناول الرسل من أصحاب الشرائع المعلومة إلى الرسالة المحمدية .[١]

١-الالتفات من الغيبة إلى الخطاب

إن التحول من صيغة إلى أخرى في الزمن أو الضمائر أو الخطاب أو الإفراد و الجمع يعطي ميزة أسلوبية للآيات القرآنية وهي علامة من علامات الإعجاز البياني للقرآن الكريم . فقد جاء بقوله تعالى : «**فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ**»[الشعراء :٢٢٧][٢]

وهنا تأتي صيغة الغيبة إلى الخطاب ، حيث تشير الآية أن المخاطبين قد كذبوا بالقرآن واستهزؤوا به ، وأنه سيحل بهم العذاب من جرّاء فعلتهم هذه . ولذا يقول الطبري : إن الخطاب موجه للرسول عليه السلام ، بأن هؤلاء المشركين قد أعرضوا عن ذكر الله و استهزؤوا بكتاب الله ، وأن الله سيعاقبهم على ما كانوا فيه .[٣]

وهنا يلاحظ الدارس انتقال الخطاب من الغيبة ، أي أنهم كذبوا قبل ذلك ، و مازالوا مكذبين ، و هنا الخطاب موجه إلى الرسول عليه السلام .

وفي آية أخرى بالسياق نفسه يقول الله تعالى : « **قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ (18)وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَ أَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ((19**،[٤] وتشير الآية إلى التفاتة إلى الماضي حينما كان موسى عليه السلام طفلاً يعيش في كنف الفراعنة ، واليوم يوجه فرعون خطابه إلى هارون و موسى ، قاصداً موسى تحديداً . يقول محمد الطاهر بن عاشور في كتابه التحرير و التنوير: « ووجه فرعون خطابه إلى موسى وحده لأنه علم من تفصيل كلام موسى وهارون أن موسى هو الرسول بالأصالة وأن هارون كان عوناً له على التبليغ فلم يشتغل بالكلام مع هارون. وأعرض فرعون عن الاعتناء بإبطال دعوة موسى فعدل إلى تذكيره بنعمة الفراعنة أسلافه على موسى وتخويفه من جنايته حسباناً بأن ذلك يقتلع الدعوة من جذورها و يكف موسى عنها ، وقصده من هذا الخطاب إفحام موسى كي يتلعثم من خشية فرعون حيث أوجد له سبباً يتذرع به إلى قتله ويكون معذوراً فيه كفر نعمة الولاية بالتربية ، واقترف جرم الجناية على الأنفس».[٥]

٢-الالتفات من الخطاب إلى الغيبة

وفي الآية الآتية التفات من صيغة الخطاب إلى الغيبة ، « **قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (49)**».[٦]

وهنا يخاطب فرعون السحرة بأنكم آمنتم لموسى دون أخذ الإذن مني ، ولذا فإن كبيركم الذي علّمكم السحر ، ويعني أن السحرة قد آمنوا بموسى دون بصيرة أو معرفة وهنا إشارة للغائب ، وقد انتهت المخاطبة من

---

١ . ابن عاشور ، محمد الطاهر : التحرير والتنوير ، نسخة الكترونية موجودة ضمن qbook/ws.islamicbook.www

٢ . سورة الشعراء ، الآية ٦ .

٣. الطبري : تفسير الطبري ، موقع الكتروني surahquran.com/tafsir-tabari- 22-11-2020 . Page 4-6

٤ . سورة الشعراء ، الآية ١٨ و ١٩ .

٥. ابن عاشور : التحرير و التنوير ، ص ١٢ من ٥١ .

٦ . سورة الشعراء ، الآية ٤٩ .

فرعون بالتهديد والوعيد للسحرة .[١] كما يقول الطاهر بن عاشور بالمعنى نفسه: « قصد فرعون إرهابهم بهذا الوعيد لعلهم يرجعون عن الإيمان بالله «.[٢]

إن القيمة التعبيرية والأسلوبية هنا في حالة التحول و العدول من صيغة إلى أخرى متماهية مع السياق العام للآية الكريمة ، حيث جاء الخطاب قوياً ومباشراً و موجهاً إلى السحرة ، حيث أراد فرعون إظهار القوة والتحدي لهم ، بأن إيمانهم بذلك الغائب الحاضر موسى إنما جاء لعدم بصيرة أو قناعة أو معرفة ، ولذا قام فرعون إزاء ذلك بإنذارهم بالعقاب القاسي .

كما جاءت روعة العدول في الآيات الآتية: « **وَ اتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ (69)إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ (70)قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ (71)قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ (72)أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ (73)قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ (74)قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ (75)أَنتُمْ وَ آبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ (76)فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ (77)**».[٣]

لقد جاء في هذه الآيات الكريمة صيغ تحول وانتقال من الخطاب إلى الغيبة و ذلك في إطار التوجيه الإلهي للرسول محمد عليه الصلاة والسلام ، فقد طلب رب العزة من الرسول محمد أن يخاطب قومه وأن يتلوا عليهم قصص الأنبياء . والخطاب هنا يشير إلى قصة إبراهيم عليه السلام وشأنه العظيم ، وذلك حينما قال إبراهيم لأبيه وعشيرته أي شيء تعبدون وقد سألهم بصيغة السؤال الاستنكاري لأنه يعلم الإجابة أصلاً ، وبأنهم يعبدون الأصنام ليبين لهم سفاهتهم و ضعف عقولهم في عبادة مالاينفع وأن يقيم عليهم الحجة والبرهان. وقد أشار القوم إلى أنهم يعبدون تقليداً لآبائهم الأولين وهنا إشارة إلى الغائب الحاضر في الحوار ، بينما أشار إبراهيم إلى عبادته لله وحده لا للأصنام فإنها عدو له.[٤]

و لعل الجمال الفني قد ظهر من خلال القصص التي تضمنت الحوار و الانتقال بصيغ الخطاب من الحاضر إلى الغائب بأسلوب أعطى قوة و حركة تعبيرية في الجدل والبرهان بين محمد عليه السلام وقومه وكذلك الأنبياء السابقين وأقوامهم ، بل قدمت هذه القصص جدلية العلاقة بين العقل و الفطرة ، وبين القناعة والإيمان والتقليد الأعمى. و لذا جاء التحول الأسلوبي من خلال الانتقال من صيغة إلى أخرى ومن زمن إلى آخر.

٣-الالتفات من التكلم إلى الخطاب

ويعد هذا النوع من الالتفات من الأنواع الأسلوبية المختلف بأمرها ، وذلك لأنه يتحد فيه التكلم مع الخطاب في آنٍ معاً ، بينما قد كثر هذا النوع في القرآن الكريم ، وهو يؤكد قيمة جمالية في القرآن الكريم ، حيث يجمع الالتفات بين التكلم والخطاب. قال تعالى : « **إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ (4)**».[٥]

و يتضح الالتفات هنا من التكلم ، والإشارة هنا للذات الإلهية والخطاب موجه للكفار. يقول الصابوني في شرح الآية الكريمة : « أي لو شئنا لأنزلنا آية من السماء تضطرهم إلى الإيمان قهراً (فظلت أعناقهم لها)، ولكن

١ . الصابوني : صفوة التفاسير ، موقع الكتروني www.prafvb.com ، 2020-11-22–26 of 3 page .
٢ . ابن عاشور : التحرير و التنوير ، ص ١٨ من ٥١ .
٣ . سورة الشعراء ، الآية ٦٩ – ٧٧ .
٤ . الصابوني : صفوة التفاسير ، ص ٤ من ١٢ .
٥ . سورة الشعراء ، الآية ٤ .

لا نفعل لأننا نريد أن يكون الإيمان اختياراً لا اضطراراً. قال الصّاوي: المعنى لا تحزن على عدم إيمانهم فلو شئنا إيمانهم لأنزلنا معجزة تأخذ بقلوبهم فيؤمنون قهراً عليهم، ولكن سبق في علمنا شقاؤهم فأرح نفسك من التعب» .

كما جاء التفات التكلم والخطاب في موضع آخر من سورة الشعراء. قال تعالى : « **إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ (161)إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (162)فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (163)وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ (164)**».[٢]

فهنا التفات من جهة المتكلم ثم الخطاب في الوقت نفسه ، حيث يتحدث لوط إلى قومه ، ومن ثم يبين لهم بأنه رسول أمين وبعدها يجيء الخطاب بالدعوة لقوم لوط بالتقوى والطاعة. و الآية الأخيرة يتساءل فيها لوط موجهاً خطابه لقومه بأنه لا يريد من هدايتهم أي أجر. و يلاحظ من هذه الآيات تماثل دعوات الرسل و الأنبياء في دعواتهم لأقوامهم.

٤-الالتفات من الخطاب إلى التكلم

الآيات التالية تجسد خطاباً وتكلماً في الوقت نفسه ، وهو التفات من حالة لأخرى ، مما يعطي متعة جمالية في حركة الخطاب و تحولاته. قال تعالى : « وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ (69)إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ (70) قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ (71)قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ (72)أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ (73)قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ (74)قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ (75)أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ (76)فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ (77) «.[٣]

وقد جاء العدول من صيغة إلى أخرى في الخطاب والتكلم عندما يتوجه بالخطاب إلى قومه ليسألهم فيخاطبهم ثم يتساءل في سؤال يقوم بتوجيهه إلى قومه. يقول الصابوني : « هذه بداية قصة ابراهيم أي أقصص عليهم يا محمدخبر ابراهيم الهام و شأنه العظيم ...أي حين قال لأبيه وعشيرته أي شيء تعبدون ؟ سألهم مع علمه بأنهم يعبدون الأصنام ليبين لهم سفاهة عقولهم في عبادة ما لا ينفع ، ويقيم عليهم الحجة (قالوا نعبد أصناماً فنظل لها عاكفين) أي نعبد أصناماً فنبقى مقيمين على عبادتها لا نتركها ، قالوا ذلك على سبيل الابتهاج و الافتخار وكان يكفيهم أن يقولوا نعبد الأصنام و لكنهم زادوا في الوصف كالمفتخر بما يصنع (قال هل يسمعونكم إذ تدعون) أي قال هو ابراهيم على سبيل التبكيت و التوبيخ.

هل يسمعون دعاءكم حين تلجأون بالدعاء ؟ (أو ينفعونكم أو يضرون) أي و هل يبذلون لكم منفعة.. (قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون) أي وجدنا آباءنا يعبدونهم ففعلنا مثلهم «.[٤]

٥-الالتفات من الغيبة إلى التكلم

إن العدول و الانتقال من الغيبة إلى التكلم يكمن بوضوح في الآيات الآتية . قال تعالى :» **قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ (50)إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ (51)**».[٥]

١ . الصابوني : صفوة التفاسير ، ص ٢ من ١٢ .
٢ . سورة الشعراء ، الآية ١٦١-١٦٥ .
٣ . سورة الشعراء ، الآية ٦٩ – ٧٧ .
٤ . الصابوني : صفوة التفاسير ، ص ٦ من ١٢ .
٥ . سورة الشعراء ، الآية ٥٠- ٥١ .

وهنا الخطاب يدور حول النبي موسى إلى قومه ، وموقف القوم من موسى عليه السلام ، حيث قال قوم موسى لا ضرر علينا في وقوع ما قمت بوعدنا به ، ولا نهتم به ، لأننا سوف نرجع إلى ربنا مؤملين غفرانه و عفوه ، كما أننا نرجو أن يغفر لنا ذنوبنا السابقة وذلك لأننا سبقنا قومنا إلى الإيمان ، كما أننا كنا أول من آمن بموسى.[١]

كما جاء في الآيات الآتية التفاتات جميلة تجسد القيمة الخفية لأسلوب الالتفات في القرآن الكريم حيث تشير إلى الغيبة ثم الانتقال إلى التكلم في قوله تعالى: « **إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (106)إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (107)فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (108)وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ (109)** ».[٢]

و هنا يبرز في الآيات الكريمة انتقال من الغيبة إلى التكلم ، حيث أشارت الآيات إلى ما قاله لهم أخوهم نوح ودعوته لهم بالتقوى ، ثم عاد ليكون المتكلم في الآية عندما قال « إني لكم رسول أمين ». يقول الألوسي في كتابه روح المعاني : « و الضمير لقوم نوح ، وقيل هو للمرسلين و الأخوة المجانسة وهو خلاف الظاهر ألا تتقون الله عز وجل حيث تعبدون غيره إني لكم رسول من الله تعالى أرسلني لمصلحتكم أمين مشهور بالأمانة فيما بينكم ،وقيل أمين على أداء رسالته جلّ شأنه فاتقوا الله و أطيعون فيما أمركم به من التوحيد و الطاعة لله تعالى ، وقدم الأمر لتقوى الله تعالى على الأمر بالطاعة لأن تقوى الله تعالى سبب لطاعته عليه السلام ، وما أسئلكم عليه أي على ما أنا متصد له من الدعاء و النصح من أجر أي ما أطلب منكم على ذلك أجراً ... « .[٣]

٦- الالتفات من التكلم إلى الغيبة

تعكس الآيات التالية العدول من صيغة التكلم إلى الغيبة في انتقال يجسد قيمة جمالية من خلال حركة الأسلوب و عدم توقفه عند صيغة واحدة من الخطاب . قال تعالى : « **رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (83) وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ (84)وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ (85)وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ (86)وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ (87)يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (88)إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (89)** ».[٤]

فقد أشارت الآية (رب هب لي) إلى حال التكلم والدعاء و الالتماس من الله أن يهبه الحكمة و اللحاق بالصالحين ، بينما الآية (واغفر لأبي) تشير أيضاً إلى التكلم حتى ياتي لقوله (إلا من أتى الله)فهي تشير للذات الإلهية .

يقول الصابوني في صفوة التفاسير : « أي هب لي النعيم والعلم وألحقني في زمرة عبادك الصالحين (واجعل لي لسان صدق) أي اجعل لي ذكراً حسناً و ثناء عاطراً (في الآخرين) أي في من يأتي بعدي إلى يوم القيامة ، أذكر به ويقتدى بي ... (واجعلني من ورثة جنة النعيم) أي من السعداء في الآخرة الذين يستحقون ميراث جنات الخلد (واغفر لأبي) أي اصفح عنه و اهده إلى الإيمان (إنه كان من الضالين) أي ممن ضل عن سبيل الهدى ... ».[٥]

كما جاء الالتفات في الآيات التالية . قال تعالى : « **فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (150)وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ**

١ . ابن عاشور ، التحرير و التنوير ، ص ١٨ من ٥١ .

٢ . سورة الشعراء ، الآية ١٠٦ – ١١١ .

٣ . الألوسي ، محمود شكري : روح المعاني في تفسير القرآن الكريم و السبع المثاني ، إحياء التراث العربي ، طبعة الكرونية على الموقع islamilimleri.com/kulliyat/tefsir/ 2-UlumElkuran/Page 68 of 134 .

٤ . سورة الشعراء ، الآية ٨٣-٨٩ .

٥ . الصابوني : صفوة التفاسير ، ص ٦ من ١٢.

(151)الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ (152)قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ (153)».[١]

ففي هذه الآيات التفات من التكلم إلى الغيبة ، وهنا تتضمن الآيات خطاباً من النبي صالح لقومه حيث يدعوهم إلى تقوى الله ، كما يدعوهم إلى عدم طاعة المسرفين الذين أفسدوا في الأرض ، وهذه الإشارة تظهر ما كان عليه هؤلاء المفسدون .

٧- الالتفات من المفرد إلى الجمع

لقد تعددت في القرآن الكريم صور الالتفات من المفرد إلى الجمع ومن الجمع إلى المفرد ، فضلاً عن صور التثنية والإفراد ، و هذه الصور الأسلوبية إلى جانب غيرها الكثير ما جعل من الكتاب العزيز موضع الإدهاش للدارسين لقوة الأسلوب و بلاغة العبارة .

قال تعالى : « **قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (26)قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (27)**».[٢]

و جاء في مواضع أخرى من القرآن قول الله تعالى : « **قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (42)قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنتُم مُّلْقُونَ (43)**».[٣] و قال تعالى كذلك : « **إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ (70)قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ (71)قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ (72)أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ (73)**». [٤]

إن هذه الآيات تجسد صورة لما في القرآن العزيز من صور الالتفات والعدول من صيغة إلى أخرى حيث جاء في الآيات قوله تعالى : (قال إن رسولكم) وهنا الخطاب من المفرد إلى الجمع ، و كذلك خطاب موسى بصيغة المفرد إلى الجمع بخطاب قومه بصيغة الجمع . فهذه الصور من العدول من حالة الإفراد إلى حالة الجمع هي صور بلاغية تعطي المتلقي تفتحاً ذهنياً و تشده للمتابعة ، و تبعث في نفسه و ذهنه ما يجعله أكثر قرباً ومتابعة للخطاب القرآني .

و نلاحظ في الآيات الآتية كذلك أسلوب الخطاب و جمالياته الفنية من خلال خطاب الإفراد والجمع . قال تعالى : « **وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ (198)فَقَرَأَهُ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ (199)كَذَٰلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ (200)**».[٥]

وهنا نلاحظ البلاغة في الالتفات من المفرد (ولو نزلنا) إلى قومه (الأعجمين) و كذلك قوله (سلكناه) بصيغة المفرد إلى قوله (المجرمين) . يقول الصابوني مبيناً جمال الأسلوب : « أي لو نزلنا هذا القرآن بنظمه الرائق المعجز على بعض الأعجمين الذين لا يقدرون على التكلم بالعربية (فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين) أي فقرأه على كفار مكة قراءة صحيحة فصيحة ، وانضم إعجاز القرآن إلى إعجاز المقروء ما آمنوا بالقرآن لفرط عنادهم و استكبارهم (كذلك سلكناه في قلوب المجرمين) أي كذلك أدخلنا القرآن في قلوب المجرمين ، فسمعوا به وفهموه ، وعرفوا فصاحته و بلاغته ، وتحققوا من إعجازه ثم لم يؤمنوا به و جحدوه «.[٦]

---

١ . سورة الشعراء ، الآية ١٥٠ – ١٥٣ .

٢ . سورة الشعراء ، الآية ٢٦- ٢٨ .

٣ . سورة الشعراء ، الآية ٤٢ -٤٣ .

٤ . سورة الشعراء ، الآية ٧٠ – ٧٣ .

٥ . سورة الشعراء ، الآية ١٩٨ – ٢٠٠ .

٦ . الصابوني ، صفوة التفاسير : ص ١٠ من ١٢.

٨- الالتفات من الجمع إلى المفرد

جاء العدول في أسلوب الالتفات في قوله تعالى : « **قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ (50) إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ (51)** ».[١]

نلاحظ في الآيات الكريمة خطاب الجمع المتمثل بالسحرة الذين خاطبوا النبي موسى عليه السلام ، والإشارة هنا إلى الرب عز وجل .

فالجمع في قوله (قالوا) و (إنّا) ثم صيغة المفرد بقوله (ربنا).

وكذلك قوله تعالى : « **قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ (96) تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (97) إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (98)** ».[٢]

إن صيغة الالتفات في العدد تشكل ظاهرة أسلوبية تعكس القيمة الجمالية في العدول من المفرد إلى الجمع أو من الجمع إلى المفرد مما يضيف ميزة بلاغية إعجازية إلى جانب مزايا الإعجاز البلاغي العديدة في القرآن الكريم ، فهو معجز في لغته و بلاغته وصياغته . ولذا جاء في الآيات المشار إليها صيغة الجمع بقوله (قالوا) ثم صيغة المفرد بقوله (تالله) و (رب العالمين) .

٩- الالتفات من المفرد إلى التثنية

و نشير هنا إلى صورة أخرى من صور أسلوب الالتفات في العدد ، حيث العدول من المفرد إلى صيغة التثنية بقوله تعالى : « **قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ (15) فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (16)** ».[٣]

وهنا يوضح الصابوني في صفوة التفاسير الحكمة من صيغة التثنية في شرح الآيات الكريمة بقوله : « أي قال الله تعالى له : كلا لن يقتلوك قال القرطبي : وهو ردع و زجرعن هذا الظن ، و أمر بالثقة بالله تعالى أي ثق بالله و انزجر عن خوفك منهم فإنهم لا يقدرون على قتلك (فاذهبا بآياتنا) أي اذهب أنت و هارون بالبراهين والمعجزات الباهرة (إنّا معكم مستمعون) أي فإنا معكم بالعون والنصرة أسمع ما تقولان وما يجيبكما به . و صيغة الجمع (معكم) أريد به ، التثنية . فكأنهما لشرفهما عند الله عاملهما في الخطاب معاملة الجمع تشريفاً لهما و تعظيماً (فأتيا فرعون فقولا إنّا رسول رب العالمين) أي فأتيا فرعون الطاغية وقولا له : إنا مرسلان من عند رب العالمين إليك لندعوك إلى الهدى «.[٤]

١٠- الالتفات من الجمع إلى الجمع

إن صيغة الجمع في الالتفات تجسد في سور القرآن الكريم ، و منها سورة الشعراء ، وبخاصة هذه الآيات التي حملت اسم الشعراء . قال تعالى : « **وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (224) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (225) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ (226) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَ انتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ (227)** ».[٥]

١. سورة الشعراء ، الآية ٥٠ – ٥١ .
٢ . سورة الشعراء ، الآية ٩٦ – ٩٨ .
٣ . سورة الشعراء ، الآية ١٥- ١٦ .
٤ . الصابوني : صفوة التفاسير ، ص ٢ من ١٢.
٥ . سورة الشعراء ، الآية ٢٢٤ – ٢٢٧ .

فالآيات الكثيرة تمحورت صيغها العددية حول الجمع ، وهو أسلوب فيه التفات من صيغة إلى أخرى بنفس العدد حيث جاءت كلمة الشعراء بصيغة الجمع ثم الغاوون و كذلك كلمة أنهم في إشارة إلى الشعراء ، و كذلك كلمة يهيمون و كلمة ظلموا و منقلبون . و لذلك فإن تعدد صيغ العدد هو أسلوب التفات يضفي قيمة فنية و جمالية في صياغة الجمل و العبارات في الآيات الكريمة ، و بالتالي فإن الانتقال و العدول في صيغ الالتفات تجسد سمة جمالية وقوة بلاغية في القرآن الكريم .

١١- الالتفات في الأفعال من الماضي إلى المضارع و من المضارع إلى الماضي

ولا بد من الإشارة إلى جمالية أخرى من جماليات أسلوب الالتفات من حيث العدول في الأفعال و هي بالتأكيد تشكل جانباً أساسياً في تناول الموضوعات و التوجيهات القرآنية التي تتحرك زمنياً بين الماضي و الحاضر وكذلك الحاضر والماضي وهذا ما يشكل قيمة بلاغية في النص القرآني .

وحول الالتفات من الماضي إلى المضارع فنرى ذلك في الآيات الآتية : قال تعالى : «**وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (10)قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ (11)قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ (12)**».[١]

و كذلك قوله تعالى : « **قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (34)يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ (35)قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَ ابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (36)يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ**«.[٢]

يلاحظ الدارس هنا الخطاب القرآني و قد تفاوت بين الفعل الماضي ثم المضارع في أسلوب التفات يقدم حركة زمنية تشد المتلقي و تؤثر فيه ذهنياً و نفسياً . فمثلاً نلاحظ استخدام الفعل نادى ثم يتقون و كذلك الفعل أخاف كما هو الحال في الآيات المشار إليها و استخدم كلمة (قال للملأ) و هنا زمنياً تعني الفعل الماضي و كذلك كلمة (يريد أن يخرجكم) و كلمة (يأتوك) . وبهذا نلاحظ قوة الخطاب من خلال قوة الأسلوب البلاغي الذي انتقل من الماضي إلى المضارع .

كما جاء الأسلوب القرآني باستخدام صيغة المضارع وكذلك الماضي ، فقد جاء بقوله تعالى : « **وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ (86)وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ (87)يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (88)إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (89)**».[٣]

فقد جاءت التفاتات صيغ الأفعال و حركتها الزمنية من الماضي إلى المضارع ، حيث استخدم كلمة (اغفر لأبي) و كلمة (كان من الضالين) إضافة إلى (ولا تخزني يوم يبعثون) إلى قوله (يوم لا ينفع) إضافة إلى كلمة (أتى) .

وهنا تأتي صيغ الأفعال و العدول فيها من الماضي إلى المضارع و كذلك من المضارع إلى الماضي لتعبر عن حالة الزمن التي كان عليها المخاطبون . فقد جاء في الآيات خطاب المضارع مثلاً ثم قدم عرضاً من الزمن الماضي ليقدم صورة لما عليه الناس سواء من الكفر أو الضلالة أو عدم الإيمان . فالخطاب يقدم التوجيه القرآني ثم العبرة مما حدث في الماضي .

---

١ . سورة الشعراء ، الآية ١٠-١٢ .

٢ . سورة الشعراء ، الآية ٣٤ – ٣٧ .

٣ . سورة الشعراء ، الآية ٨٦ – ٨٩ .

ولهذا فإن أسلوب الالتفات في القرآن الكريم قد جاء وفق قيمة جمالية و فنية هامة في بناء النص القرآني فهو معجز ببلاغته و فصاحته و بنائه ، ولذا فإن أسلوب الالتفات يشكل قيمة فنية إلى جانب قيم كثيرة تجسد الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم .

المصادرو المراجع

القرآن الكريم

١– الألوسي : محمود شكري : روح المعاني في تفسير القرآن و السبع المثاني ، دار إحياء التراث العربي ، موقع الكتروني / islamilimleri.com/kulliyat/Tefsir.15.12.2020.

٢-ابن الأثير ، ضياء الدين : المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، بيروت ١٩٩٠.

٣ - الباقلاني ، أبو بكر : إعجاز القرآن ، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الجيل ، بيروت ١٩٩١.

٤- ابن جني ، أبو الفتح عثمان بن جني : الخصائص ، تحقيق عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ٢٠٠٣ .

٥- ابن رشيق القيرواني : العمدة في محاسن الشعر و آدابه و نقده ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، بيروت .

٦- الزمخشري ، أبو القاسم جار الله محمود : الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل ، تحقيق خليل مأمون ، دار المعرفة ، بيروت ٢٠٠٩ .

٧- سيبوكر اسماعيل : تنوع صور الالتفات في القرآن الكريم و مقاصده البلاغية و الإعجازية ، جامعة أم درمان ، السودان ٢٠٠٨ .

٨- الصابوني : صفوة التفاسير ، موقع الكتروني www.prafvb.com2020-11-22.

٩- ضيف ، شوقي : البلاغة تطور و تاريخ ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٥ .

١٠- الطبري : تفسير الطبري ، موقع الكتروني.surahquran.com/tafsir-tabari2020-11-22

١١- طبل ، حسن : أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية ، المدينة المنورة ١٩٩٠.

١٢- ابن عاشور ، محمد الطاهر : التحرير والتنوير ، ضمن موقع الكتروني www.islamicbook.ws/qbook.

11 / 22/ 2020.

١٣- أبو عبيدة البصري : مجاز القرآن ، تحقيق فؤاد سزكين ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٨١.

١٤- الفيروز أبادي : القاموس المحيط ، دار المعارف ، القاهرة .

١٥- ابن قتيبة ، عبد الله : تأويل مشكل القرآن ، تحقيق السيد أحمد صقر ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة

، ١٩٥٤.

١٦- - قدامة بن جعفر : نقد الشعر ، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ١٩٧٩ .

١٧- القرطاجني ، حازم : منهاج البلغاء و سراج الأدباء ، تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة ، مكتبة الغرب الإسلامي ، بيروت.

١٨- ابن المعتز ، عبد الله : البديع ، تحقيق و ترجمة أغناطيوس كراتشقوفسكي ، دار المسيرة ، بيروت ١٩٨٢ .

١٩- ابن منظور : لسان العرب ، دار صبح ، بيروت ٢٠٠٥ .

روائع النزعات العديدة في شعر خليفة الوقيان – دراسة فنية

الدكتور/ سعيد بن مخاشن[1]

الملخص

الشاعر خليفه الوقيان علم ضخم من أعلام الشعر الكويتي في العصر الحديث بل من رواده، وهو شاعر مطبوع موهوب ومن أعمق الشعراء الكويتيين فكرا وأرفهم حسا، وإنه قد سخر موهبته العلمية وكرس طاقته الشعرية لينقذ الواقع الاجتماعي والسياسي الذي تعيش به الأمة الكويتية وما حل به من مظاهر الاستكراه ووجوه البشاعة في صور متنوعة وأشكال متشعبة. ولد خليفة عبدالله فارس الوقيان في الكويت بتاريخ ١٩٤١/١٠/١٠م . وفي عام ١٩٧٠م [٢] حصل على الليسانس من قسم اللغة العربية والآداب –جامعة الكويت. وفي مايو عام ١٩٧٤م حصل على رسالة الماجستير، وكان موضوعها «القضية العربية في الشعر الكويتي». وكانت رسالته أول رسالة توصي الجامعة بطبعها على حسابها. عام ١٩٧٧م طبعت الرسالة في كتاب يحمل نفس العنوان، وهو عبارة عن دراسة عميقة لعدد من القصائد القومية التي تخص القضية العربية التي يعيشها كل العرب، والتي احتلت أكبر مساحة في الشعر الكويتي منذ فترة مبكرة، قد تعود إلي العقد الثالث من هذا القرن.

في يونيو عام ١٩٨٠م حصل على رسالة الدكتوراة في اللغة وآدابها –جامعة عين شمس القاهرة، وهي بعنوان «دراسة فنية في شعر البحتري»، ذلك الشاعر الذي يعتبر أحد أعلام الشعر في العصر العباسي، وهو يمثل مدرسة الطبع التي تقف إزاء مدرسة التكلف التي يمثلها أبوتمام. وقد استطاع الشاعر الوقيان أن يحول أخبار البحتري وصناعته الشعرية إلى مجموعة من القضايا التي تحتمل الحوار، واختلاف الآراء إلى جانب تحليله لكثير من قصائد الديوان.

إن شعر خليفة الوقيان يمتاز عن بقية الشعراء الكويتين من وجوه متنوعة لأننا حينما نتصفح قصائده الرائعة يتجلى لنا أنها تحتوي في طياتها على تيارات عديدة ونزعات كثيرة كما يدور شعره في موضوعات مختلفة دون التركيز على بعض دون بعض، بينما نرى الشعراء الآخرين أن قصائدهم تتسم بميزة خاصة وتعالج موضوعات خاصة وتكاد تخلو من نزعات اخري وموضوعات سواها.

بناء القصيدة:

اتسمت القصائد الرائعة لشاعر خليفة الوقيان بمميزات بناء متنوع مطرد بل أكثرالقصائد له كانت متفاوتة طولا وقصرا بتفاوت متطلبات الشعر ومقتضياته، ومعظم القصائد كانت مقطوعات في أبيات محددة ذات غرض واحد بصفة عامة. كما تنوعت قصائده بين الشكلين العمودي وشعر التفعيلة أو الشعر المرسل، وقد نهج معظم الشعراء الكبار الكويتين هذا المنهج لنسج الشعر، وعبروا عن عواطفهم الطبيعية وخلجاتهم النفسية من خلالهما، حتى قال شاعر القومية العربية أحمد السقاف الذي كان محافظا على الوزن والقافية ومصرا عليهما:

---

١ . أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة مولانا آزاد الاردية الوطنية

٢ ليلى محمد صالح: أدباء وأدبيات الكويت، رابطة الأدباء في ا لكويت، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م، ص ١٣١.

«أومن بكل ما يستحق أن يسمى شعرا، فلست متعصبا للوزن الواحد والقافية الواحدة ... ومن الغرابة أن يقفز إلى كتابة الشعر الحديث من لا يستطيع أن يكتب قصيدة عمودية بعلة أنه يكتب شعرا حديثا».[١]

الأسلوب:

إن أسلوب خليفة الوقيان الشعري ممتاز بالوضوح والسلاسة والمفردات اللغوية والتعبيرات الأدبية التي تدل على مقدرته الفائقة ونبوغه التام على التعبير عن العواطف والوجدان، ففي قصيدة «الطاعون» استخدم الشاعر جميع وسائل التعبير في لغة الضاد، كما حذر تحذيرا لاذعا من الرؤية الظلامية العفنة، ومن أسراب الخفافيش والنمل الوحشي، والسل والجدري، وما يلحق بالإنسان من غدر العقبان، وعنفوان الكواسر، يقول وهو يخاطب صديقه الشاعر «علي السبتي» ويحذره من أفاعي الغابة التي لا يسمع فيها غير كلاب الصيد وعواء الذئاب:

هل تقدر أن تتنفس في هذي الغابة
فهنا جيف متفسخة
وغبار سبايا الأفيون
هل تسمع غير نباح كلاب الصيد
عواء ذئاب زرق الأنياب

ثم يشارك رفيقه علي سبتي معاناته الفكرية وهمومه الذاتية بتحد لاذع، يقول:

افقأ بالنور عيون الغربان
اكتب بمداد الشريان
أطلق نجمات الصيف المحبوسة في القضبان
افقأ بالنور عيون الغربان.[٢]

العاطفة:

الدكتور خليفة الوقيان يملك الروح العلمية والأدبية التي تجري وراء الحقيقة دون أن يقودها، أو يؤثر فيها هوى أو رغبة، يتصدى لكل أنواع الزيف والدفاع عن الإنسان العربي، ويؤثر على شتى أنواع التخلف في المجتمع، ويلعب على أوتار الكلمات من أجل التحرر الفكري، فالقصيدة عنده قضية وموقف. الشاعر خليفة الوقيان يمزج بين الحب والفكر والتأمل، يقول الدكتور محمد حسن عبدالله:[٣]

«العواطف في قصائد الوقيان تتسم بالهدوء والاتزان، وتستحيل إلى نوع من التأمل الراقي والإدراك الرصين، وتمزج بفكره الذي تلونه نفس الملامح، مما يحدو بنا أن نتحفظ في اعتباره شاعرا رومانسيا».

١ فائزة المانع : اللقاء مع أحمد السقاف , مجلة الكويت , العدد -٧٤, أكتوبر ١٩٨٨م , ص ٣٩
٢ أدباء وأديبات الكويت , ص ١٣٥
٣ د. محمد حسن عبدالله . الشعر والشعراء في الكويت . ذات السلاسل ١٩٨٧م . ص ٢٢٤

وحدة القصيدة :

إن القصيدة الكويتية المعاصرة قد تغيرت تغيرا جذريا عن القصيدة القديمة (الكلاسيكية) التي ظلت ذائعة حتى أوائل القرن العشرين، وآثرت القصيدة المعاصرة الوحدة العضوية للنص، نتيجة تغير المعطيات البيئية والاجتماعية التي طرأت على الكويت وما جاورها وعلى ثقافة الشعراء أنفسهم وتأثرهم بالحركة الشعرية المعاصرة عموما. فالشعر الحديث يقوم على وحدة القصيدة لا البيت، كما تتجلى مظاهرها في شعر خليفة الوقيان حينما يقول مخاطبا صديقه علي السبتي في قصيدة عنوانها «الطاعون»:

هل تبصر في هذي الغابة
أسراب الخفاش
الدود , النمل الوحشي
كل الطرقات مكفنة بالصدأ العفن
السل الجدري الطاعون
حاذر أن تنزلق القدمان
فعناكب هذي الغابة
لم تالف وجه الإنسان
لم تبرح تنسج سود الأكفان. [١]

هذه القصيدة أو هذا المقطع من القصيدة يقوم على أن القصيدة كلها هي جو نفسي عام وحالة فنية تؤخذ كاملة وتقرأ كاملة، وإذا هي تجزأت تبخر الجو النفسي وثلاشت حالتها الفنية، ويقول فاضل خلف في هذا الخصوص:

«وهذه الوثبة من مفهوم البيت إلى مفهوم القصيدة ككل، أربكت القارئ المتعود على قصائد التراث الذي يرى كل سطر من أسطر القصيدة الحديثة مغلفا بغمامة، والصورة الشعرية مكثفة بالغموض، حتى وإن اتحدت الأسطر الشعرية في الوزن والقافية، في حين أنه لو أخذ القصيدة كلها لارتاح من حيرته وتغير الوضع، إذن لا بد من قراءة القصيدة الحديثة على أنها وحدة واحدة». [٢]

شعر التفعيلة :

إن قصيدة خليفة الوقيان قد تجاوبت أصداء المتطلبات الجديدة للشعر الحديث، من حيث أنه قد انبثقت فيه التيارات العديدة والاتجاهات المتشعبة، فحينما نرى إلى شعر خليفة الوقيان يتجلى لنا أن قصائده تلمع بنور الألوان الشعرية الحديثة الزاهية البراقة، فنسج الشاعر خليفة الوقيان معظم قصائده على منوال شعر التفعيلة فهو يقول في قصيدة بعنوان «المجد للظلام»:

الفوز للعدم
للسائرين في جنازة الربيع

١ الدكتور فاضل خليفة الوقيان , مختارات ديوان خليفة الوقيان , ص ٧٩-٨٠ , دارالآداب , ١٩٩٦م .
٢ فاضل خلف : « كيف تتذوق الشعر الحديث» , مجلة الكويت , العدد ٢٠٠- يونيو ٢٠٠٠م , ص ٧٦

النائمين حين تنهض الجموع
كأنهم سوائم البهائم [١]

-الرمزية:

إن من أهم مظاهر شعر خليفة الوقيان هي «الرمزية» التي تتجلى بجلاء ووضوح في أبياته، ولعله هو أبرزشاعر كويتي اهتم بالأسطورة الرمزية أكثر من غيره. وديوانه «حصاد الريح» يعكس هذا الاتجاه بصورة أفضل، فهو يقول في قصيدة عنوانها «مذبحة الفواكه»:

يجيء سليمان
بعد وضوء صلاة العشاء
ثقيل الخطي
تعشش في ركبتيه
مواجع عصر من الغوص والقهر
والسفر المستديم
إلي بشاي بلا سكر
وشربة ماء
لقد هدني الضغط والربو
والسكر الأزلي اللعين. [٢]

هذه القصيدة طويلة يمكن مراجعتها في ديوان «الخروج من الدائرة» للدكتور الأديب خليفة الوقيان.

وقد تنفرد قصائد خلفية الوقيان بتوظيف العنصر الرمزي، وقد أعانها على ذلك قصائده المتنوعة التي اتخذت فنيا شكليا لهذه النزعة، وجعلت تمثل لهذا التيار مثلا قصيدة «العروس والقرصان» وقصيدة «الحصاد» من ديوانه «حصاد الريح» فهو يقول في قصيدة بعنوان «الحصاد»:

أيهذا المسافر
في رحلة الحلم والهم
قد أرهقته الليالي
وأدمت خطاه
شفار الصخور
أيها السائر المستفز
سكون البراري
وصمت البحار
وهدأة ليل

١ إسهامات الكويت في الثقافة العربية , د . شفيع أحمد هاشم الندوي , ص ٣٤١-٣٤٤
٢ خليفة الوقيان , « مختارات ديوان خليفة الوقيان « , ص ٨٣ , دار الآداب , ١٩٩٦م .

ينام باسما له المتعبون

ويشرب أنخابه العابثون.[١]

-الرومانسية :

إن الشاعر خليفة الوقيان من رواد النزعة الرومانسية في شعر الكويت في العصر الحديث، ومن كبار الشعراء الذين يعبرون عن عواطفهم النفسية وخلجاتهم الطبعية ويجعلون الرومانسية ناغما إنسانيا عاما وأصداء لما ينبثق في صدورهم من أحاسيس الوجدان وعواطف الشعور التي يغمرها جو من اللطف والحنان، وينساب انسياب الماء الصافي في مجرى الهدوء والتوازن، بعيدا عن كل نشوز، وخاليا من كل صرخة مدوية أو صخب مزعج. تقول الدكتورة نورية رومي: «وقد كان خليفة الوقيان في الكويت من أكثر هؤلاء الشعراء حرصا على السمو بلغته وصوره الشعرية، لتصبح قادرة على أن تحمل إلى قارئها الأحاسيس الوجدانية في نغم إنساني عام، فعمد إلى أن يجعل من أحاسيسه الرومانسية الذاتية أحاسيس وجدانية إنسانية، موظفا بذلك الحديث عن ذاته توظيفا عاما، حيث أخذ يبحث عن عالم مثالي يخلصه، ويخلص غيره من المقهورين والمحرومين من آلامهم وأحزانهم، كما أنه قد نجح في أن يختار للتعبير عن الأحاسيس الإنسانية لقصائده لغة عربية سليمة ليست تقليدية خالصة مأخوذة من لغة الشعر القديم «.[٢]

-الوطنية:

إن شعر خليفة الوقيان يدور حول موضوعات تعكس المجتمع وما ألم به من المصائب والمشاكل بصفة خاصة، فنرى الشاعر خليفة الوقيان صرخ للوعة الوطن، وسخر موهبته الشعرية والأدبية في معالجة قضاياه المتشعبة، وأصغى إليه بقصائده التي تصدى من خلالها للقهر والظلم والطغيان على تراب وطنه الكويت. يقول في قصيدة برقيات كويتية:

حفنة من تراب الكويت

خضبتها دماء الصغار

دموع الكبار

فكانت لمصباح داري

فتيلا وزيت

أيها القادمون من الليل

إن حوافز خيلكم

تطفئ الآن ومض الشموع

قصيدة «العروس والقرصان» أيضا من القصائد التي كتبها الشاعر أيام الاحتلال البغيض , حين انكسرت القيم العربية، وسقط العربي مضرجا بدماء أخيه، كان يرى ذلك وهو الشاعر الملتزم بقضية وطنه ونضال أمته، يصف الشاعرمن خلال هذه القصيدة الكويت العروس الجميلة حين تمسها أصابع القرصان ومخالبه في الظلام:

وحينما تمس صفحة النقاء والطهارة

١ المصدر السابق , ص ٥٩.

٢ الحركة الشعرية في الخليج العربي بين التقاليد والتطوير , د. نورية الرومي , ص ٤١٧.

أصابع القرصان
مخالب تفتال في الظلام خيط الفجر
دفء الشمس، بهجة الربيع
رونق الحضارة، يستيقظ الموج
الذي لم يألف الضغينة
لم يعرف الهوان
تزمجر الشطان

كما كتب شاعرنا «نشيد لأطفال الكويت» أثار من خلاله الكثير من الانفعالات لبشاعة ما جرى أمام أبناء الكويت:

نحن أبناء الكويت
نحن أزهار الكويت
نحن أنوار الكويت
نحن أعداء البنادق

نحن نأبى أن نرى في حقلنا وجه الحرائق.[١]

-الغربة:

إن الغربة في فؤاد الغريب بمثابة الجمرة التي تتلهب آناء الليل وآناء النهار وتشتعل أوارها وتذكو نارها فيحرق جميع ما قلبه من الاحلام والأحاسيس الوجدانية والعواطف النفسية، ويعلوبه الظلام من كل سوء فلا يتأتى له مخرج ولا يأتي إليه نور من نوافذ البهجة وتطلعات السرور، فإذا يقوم الشاعر ويذوب قلبه لينور ما حوله ويصقل في ما في يده من الأحاسيس والوجدان فاذا تشتعل شرارة غربته وتعلو حدتها لتعبر أفكاره وتبين أحاسيسه فتأتي إليه الأبيات والقصائد صفا صفا زرافات ووحدانا، فنرى ملامح الغربة تتجلى في قصائد خليفة الوقيان. وعن إحساسه بالغربة، وفضه للزيف والادعاء يضيف الدكتور عبدالله[٢] « تأتي قصيدة –غربة كتنويعة أخرى على اللحن ذاته- ولا نبالغ حين نصف هذه القصيدة بأنها من عيون الشعر العربي الحديث، وفي مستواها الفني، وصدق الاعتراف، واحتشاد المعاني وتعبيرها عن عصر بأكمله، إن لم نقل عن موقف الإنسان المعاصر في تمزقه بين فرديته، وما يدعي إليه من تضحيات قد لا يسلم بقيمتها:

غريب إن مضيت وإنه أتيت — وناء إن دنوت وإن نأيت
أقلب في وجوه الناس طرفي — وأسال في الدروب إذا مشيت
كأني واقف والدرب حولي — يموج بأهله أني مضيت[٣]

١ أدباء وأديبات الكويت , ص ١٣٦
٢ د. محمد حسن عبدالله . الشعر والشعراء في الكويت . ذات السلاسل ١٩٨٧م . ص ٢٣٢-٢٣٣
٣ المبحرون مع الرياح , الشاعر خليفة الوقيان ,شركة الربيعان , الطبعة الثانية ١٩٨٠م, ص ٦٧.

المصادروالمراجع

١. ليلى محمد صالح: أدباء وأدبيات الكويت، رابطة الأدباء في ا لكويت، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م
٢. فائزة المانع : اللقاء مع أحمد السقاف , مجلة الكويت , العدد -٧٤, أكتوبر ١٩٨٨م ,
٣. د. محمد حسن عبدالله . الشعر والشعراء في الكويت . ذات السلاسل ١٩٨٧م .
٤. الدكتور فاضل خليفة الوقيان , مختارات ديوان خليفة الوقيان, دارالآداب , ١٩٩٦م
٥. فاضل خلف : « كيف تتذوق الشعر الحديث» , مجلة الكويت , العدد ٢٠٠- يونيو ٢٠٠٠م
٦. إسهامات الكويت في الثقافة العربية , د . شفيع أحمد هاشم الندوي
٧. الحركة الشعرية في الخليج العربي بين التقاليد والتطوير , د. نورية الرومي
٨. المبحرون مع الرياح , الشاعر خليفة الوقيان ,شركة الربيعان , الطبعة الثانية ١٩٨٠م

التبادل التجاري والثقافي بين العرب و أفريقيا في 'رو اية عسل زنجبار' المر لعبد الله ناصر سلطان العامري

الدكتور/عبد المجيد أ أي[١]

الملخص

عبد الله ناصر سلطان العامري ولد في دبي عام ١٩٥٤ يحمل على شهادة الدكتوراه في العلوم السياسية و الماجستير فى علوم الطيران و ماجستير في إدارة الكوارث .وخدم في السلك العسكري والدبلوماسي. لديه مجموعة متنوعة من المساهمات الرياضية والإنسانية. حاز على جائزة الشخصية الفيدرالية لعام ٢٠١٤. لديه عدد من الدراسات والأبحاث ، وأصدر كتابًا بعنوان: على ضفاف نهر الغانج ، في عام ٢٠١٦ و كتاب الإتجاه شرقا فى عام٢٠١٩ م و رواية عسل زنجبار المر ٢٠٢١.رواية عسل زنجبار المر رواية شيقة تدورها حول مجزرة التي ارتكبها الانجليز في زنجبار[٢] والروائي يسرد بأسلوب رائع معانات الإستغراب. والكاتب يشير إلى التبادل التجاري والثقافي بين العرب وأفريقيا.

والكاتب يكتب عن محاولة كتابة روايته الأولى:

«أحاول تتبع تلك الرواية كما سمعتها من العم سالم قبل أربعين سنة أو تزيد وتحديدا في صيف ١٩٧٥م. وبالرغم من احتفاظ ذاكرتي بشيء من قصة فاخر وأخيها طارش ،الا أن تلك الذاكرة لم تعد تسعفني على استحضار كل ما قاله العم سالم بعد تلك اليمين الطويلة ،لكنني سأحاول عصر ذهني بما يمكنه من استرجاع شيء من احداث الحكاية مطلقا لمخيلتي العنان بما يتوافق وتصور الأحداث ،وبما يمكن أن يشكل ملامح واقعية لما جرى دون مبالغة»[٣]

والروائي يذكر عن مشروع كتابة رواية عسل زنجبار المر:

«بدأ مشروع الكتابة في رواية »عسل زنجبار المر« بعد زيارة إلى تنزانيا ومن هناك إلى زنجبار، ثم عاودت الكرة مرة أخرى للتحقق من بعض الأحداث التاريخية الغامضة، والتي لم يذكرها التاريخ كثيراً، ولذا بدأت في مشروع توضيح الصورة أكثر في كتابي وفك بعض شفرات الأحداث للتوصل إلى الحقائق، ومنها المجزرة الكبيرة التي حدثت في عام ١٩٦٤م، وراح ضحيتها آلاف الأبرياء من العرب على وجه الخصوص، بين قتيل وجريح، وقد زُجَّ ببعضهم في السجون، أو ما يزال حتى الآن في عداد مجهولي المصير، وقد ظل التاريخ غائباً عن تدوين مثل هذه الأحداث والتفاصيل»[٤]

---

١ أستاذ مشارك،قسم الماجستير والبحوث في اللغة العربية و آدابها كلية الأنصار العربية ولاونور- كيرالا

٢. زنجبار اسم يطلق على مجموعة جزر واقعة بالمحيط الهندي تابعة لتنزانيا في شرق أفريقيا وتبتعد عن الساحل المسمى تنجانيقا ٣٥ كلم

٣. عبد الله ناصر سلطان العامري –مقدمة رواية عسل زنجبار المر ص ٨ المجلس الوطني للاعلام دولة الامارات ٢٠٢١

٤. ريم الكمالي –الحوار حريدة البيان التاريخ: ١٥ أغسطس ٢٠٢١

ولماذا يلتزم الروائي بالأحداث والتواريخ لكتابة عسل زنجبار المر ؟ والكاتب يجيب :

«ليس سراً أن أحتفظ ببعض الروايات المتقطعة التي سمعتها من زمن طويل، وتجسد بعضها بشخصية العم سالم، التي ذكرتها في المقدمة وبنيت عليها أفكاري لكتابة رواية »عسل زنجبار المر«، وأخرج بها من نطاق أدب الرحلات إلى وضعية جديدة من القصة الروائية، ملتزماً بالأحداث والتواريخ كما كانت، وأوظف شخوص الرواية لتشكل مزيجاً من كل شيء.»[١]

عسل زنجبار المر

ماهي الأفكار التي تحمل رواية عسل زنجبار المر؟ عبد الله العامري يوضح :

«على شاطئ الذي يحتفظ بذكرياته ،وأحداثه طوال عقود مضت ،يمتد ساحل ذهبي زاخر بعبق من روائح من الماضي،معانقا حاضره بود ورأفة ورفق ،محاكيا بلداته وقراه القديمة ،وما جاورها من تجمعات سكانية أصيلة كباقي التجمعات الأخرى الممتدة,على طول ساحل خليج العربي ومناطقه الداخلية ،ولا يزال متواصلا بالحياة على مدار الزمن ،وإن اختفى شيء من بريقه الجميل إلا أنه ظل مندمجا بجذور التاريخ وبإرث ثقافي واجتماعي لا ينقطع»[٢]

مجزرة زنجبار ١٩٦٤

كاتب رواية عسل زنجبار المر يقود بنا إلى عمق تاريخ علاقة بين العرب وأفريقا .الرواية تشير إلى الأحداث التي وقعت في زنجبار في الستينات،والكاتب يرسم أمام القراء الحقائق التاريخية بلغته القوية ،علما بأن الحقائق التاريخية تربط بألأحداث المعاصرة التي تمر بها البلاد العربية وأفريقا.

والكاتب يذكر قول الروائي الأمريكي جورج آر أر مارتن «التاريخ مثل العجلة, يدور ويعيد نفسه مرارا وتكرارا لأن طبيعة البشر لا تتغير بشكل كبير, فما حدث من قبل سيحدث مرة أخرى»[٣]

مثل هذه المجازر تتكرر في العالم ,حدث من قبل سيحدث فيما بعد.الروائي يكتب «فإن مجزرة زنجبار تكرر مثيلها سابقا عدة مرات وبلغ تكرارها عصرنا في أماكن مختلفة وستتكرر مستقبلا على مسرح عديدة بأدوات وشخوص آخرين[٤].

التبادل التجاري والثقافي ومحاولات الاستعمار

زنجبار كانت وجهة تجار العرب والهنود منذ القدم وهذه البلدة الخصبة وجمالها تجذب تجار العرب والعج. العرب والهنود والانجليز والبرتغاليون قصدوا زنجبار وبعضهم للتجارة وبعضهم حملوا معهم أفكار الاستيلاء.وهم قصدوا الأراضي الخصبة،ونهبوا منها الأشياء الثمينة مثل البهارات والعاج والساج والأحجار الكريمة. ليست من هذه البلدة فقط بل من البلدان المستعمرة كلها.

١. المصدر نفسه
٢. عبد الله ناصر سلطان العامري –غلاف رواية عسل زنجبار المر المجلس الوطني للاعلام دولة الامارات ٢٠٢١
٣. عبد الله ناصر سلطان العامري – رواية عسل زنجبار المر ص٩ المجلس الوطني للاعلام دولة الامارات ٢٠٢١
٤. المصدر نفسه

والكاتب يسلط الضوء على غطرسة الإنجليز في البلاد التي وضعوا أقدامهم.وفي البلاد العربية والأفارقة والهند, اتخذ الإنجليز أسلوبا واحدا لطرد الأهالي ونهب الأموال.

وفي بلدات المستعمرة وهم سلبوا المحاصيل والمنتجات والثروات الثمينة وبعد أن أشعل فتيل العنصرية والحزبية بين مختلف أتباع الأديان هكذا رميت هذه البلاد إلى الاشتباكات العرقية الدامية والصراعات العنيفة.

الهجوم العنصري ومجزرة ضد العرب في الستينات تسببت قطع علاقات العرب في السواحل الأفارقة وطرد تجار العرب من هذه البلدة الخصبة التي ملأت العجائب والمغامرات والحضارات .

والكاتب يقود بنا أيضا إلى محاولات الاستعمارات الحديثةو الإبادة الجماعية التي تزداد يوما بيوم التي ترتكبها القوات الغاشمة والصهاينة واليمين المتطرف وهو يلاحظ: بعد ستين عاما من مجزرة زنجبار ولا نقدر أن نلحظ التغيرات الجذرية في سواحل الأفارقة.والعرب تجاوزت حقبة الفقر بمحاولاتهم المستمرة،وهم مشوا إلى الأمام تاركين مخلفات الاستعمارات ونسوا هذه الحقبة العبودية وبصمات الاستعمارات، لكن البلاد الأفارقة لا تزال تمشي عبر وحل العنصرية والصراعات العرقية والاشتباكات القبلية .خيم الفقر التخلف في أجواءهم،شبح الاستعمارات ترهبون بهم،حتى هذه الأيام المستعمرون يسلب منهم المحاصيل ويلعب بهم السياسة العدائية.

غدر الإنجليز

حاول الإنجليز على مر الزمان محاولة بشعة لطرد المسلمين من السواحل وتدمير بنية اقتصاديتهم،ونقدر أن يروي مثالا عديدة،حتى في بلدتنا هذه، يعلم الجميع ماذا فعل الإنجليز في الهند . كيف دمروا النسيج الاجتماعي في البلاد المستعمرة.

والكاتب يذكر الهجوم البشعة التي ارتكبها الانجليوز في زنجبار:

«كان الإنجليز يشعلون النيران في الأحرا ش والأشجار المحيطة بأكواخ الأفارقة فيضطر هؤلاء المساكين إلى الخروج من مساكنهم هربا من النيران فتتلقفهم رصاصات القناصة بقتل الرجال بينما يتم أسرع الاطفال والنساء «[١]

ويكتب الروائ عبد الله ناصر سلطان العامري: «أن الإنجليز قد فهموا أخيرا ،أن كل هؤلاء يشكلون فرعا من فروع النسيج الاجتماعي والسكاني مثل بقية الناس كما هو انصهار الآخرين الذين قدموا من بلدات مجاورة،في عيش مشترك وآمن ....مجتمع تشكلت هويته الجديدة بروح الإسلام التي ظلل الجميع،الأمر الذي يراه عموما الإنجليز شيئا غريبا في هذه البلدات الساحلية «[٢]

المهاجرون العرب

وهو يكتب عن المهاجرين العرب: «تزاوج العرب من نساء الأفريقيات ،اقتضتها ظروف الإغتراب الطويل والمصالح الإجتماعية والدينية ولربما المصالح التجارية في بعض الأحيان.العرب حملوا معهم ثقافة التاجر الذي

١. عبد الله ناصر سلطان العامري – رواية عسل زنجبار المر ص٢٢ المجلس الوطني للاعلام دولة الامارات ٢٠٢١

٢. عبد الله ناصر سلطان العامري – رواية عسل زنجبار المر ص٢٢ المجلس الوطني للاعلام دولة الامارات ٢٠٢١

يبحث عن منفعة تحارية مؤثرة «[١]

والكاتب يذكر:

«أسهم المهاجرون العرب الأوائل ومن الموجات المتتابعة بعدها في تنظيم العلاقات الاجتماعية في اطار إسلام متسامح دون اقصاء وازدراء لمعتقدات الطوائف المختلفة وفي قبول التداخل والإندماج الطبيعي دون تفرقة أو تمييز عنصري وكان للمعاملة الإنسانية التي حملها العرب تأثير السحر في المجتمعات الأفريقية بعد أن لامست قلوبهم ،وحققت لهم عدالة ومساواة واحتراما إجتماعيا لم يختبروه من قبل»[٢]

الخاتمة

عبد الله ناصر سلطان العامري يقدم أمام القراء أهمية المقاومة العقلية ضد الاستعمارات الثقافية والإقتصادية .وهو يقول ضمن سطوره المجازرة تتكرر على مسارح مختلفة باسم الدين والعرق والقبائل .هنا يتسلل العدو إلى ثروتنا.

المصادروالمراجع

١. رواية عسل زنجبار المر -عبد الله ناصر سلطان العامري – المجلس الوطني للاعلام دولة الامارات ٢٠٢١

٢. جريدة البيان أغسطس ٢٠٢١

٣. زنجبارالمر- محمد المر

٤. زنجبار في عهد السيد سعيد بن سلطان١٨٠٤-١٨٥٦- لـ سلميان بن عمير بن ناصر المحذوري، دارالفرقد للطباعة والنشر والتوزيع ٢٠١٤

١. المصدر نفسه ص ٣٦

٢. المصدر نفسه ص ٣٧

الخلفية الحضارية والإجتماعية لفلسطين

الدكتور/ إي. ك.ساجد[١]

الملخص

وقد لعبت في تكوين الكيان الحضاري لفلسطين عوامل عديدة من العوامل السياسية والإجتماعية ونناقش كلا من هذه العوامل في فقرات آتية، وبعد نكبة فلسطين وصدور قرار التقسيم ١٨١ من الأمم المتحدة عام ١٩٤٧ م، واستمرار الصراع مع العرب والصهاينة، وتهجير معظم الفلسطينيين إلى الضفة الغربية وقطاع غزة والدول العربية المجاورة، لم تتحسن البيئة السياسية بل ازدادت تعقيدا، عندما استولى الكيان الغاصب على الضفة الغربية وقطاع غزة، وعلى شبه جزيرة سيناء وهضبة الجولان السورية إثر هزيمه (الخامس من يونيو عام ١٩٦٧ م)

أرض فلسطين

يطلق اسم فلسطين هذا الإسم للقسم الجنوبي الغربي من بلاد الشام، وهي الأرض الواقعة غربي آسيا على الساحل الشرقي للبحر المتوسط، وفلسطين ذات موقع استراتيجي كما انه صلة الوصل بين قارتى آسيا وإفريقيا، ونقطة التقاء جناحي العالم الإسلامي.

" أرض كنعان" هذا هو الإسم المعروف لأرض فلسطين في قديم الزمان، بسبب أول شعب تاريخي استوطن فيها الكنعانيون الذين جاءوا من جزيرة العرب في أوائل الألف الثالث قبل الميلاد، ويعرف اسم فلسطين وهو اسم مشتق من اسم أقوام بحرية، جاءوا إلى هذا الأرض من غرب آسيا الصغرى ومن مناطق بحر "ايجة" حوالى قرن الثاني عشر قبل الميلاد، سكنوا في المناطق الساحلية ومع ذلك اندمجوا مع الكنعانيين بسرعة، لكنهم اعطوا لهذا الأرض إسمهم، واسمها موجود في النقوش المصرية " ب ل س ت P L S T" وربما اضيفت النون بعد ذلك للجمع.[٢]

وقد عينت الحدود الجعرافية لأرض فلسطين المتعارف عليها في عصرنا هذا في أيام الاحتلال البريطاني لفلسطين، ما بين ١٩٢٠ - ١٩٢٣ م, وتدريجيا كادت تضيق وتتسع حدود أرض فلسطين عبر العقود، غير انها ظلت تعبر بشكل عام عن الأرض الواقعة بين البحر المتوسط والبحر الميت ونهر الاردن، نرى ان مساحة الفلسطين وفق التقسيمات المعاصرة تبلغ ٢٧٠٠٩ كم.[3]

وفلسطين جزء طبيعي من بلاد الشام وقلب العالم العربي، تقع في غرب آسيا تطل على البحر المتوسط، ويحدها شمالا لبنان وجنوبا خليج العقبة، وحدودها الشرقية سوريا والاردن كما تحدها غربا البحر الأبيض

١. أستاذ مساعد ومشرف البحوث، قسم دراسات الماجستير والبحوث في اللغة العربي وآدابها، كلية فاروق(حكم ذاتي)، كالكوت،كيرلا، الهند.

٢. الموسوعة الفلسطينية: إشراف أحمد المرعشلي، هيئة الموسوعة الفلسطينية، دمشق، ١٩٨٤ م، ج ٣، ص ٤٧٤ – ٤٧٥

٣. الموسوعة الفلسطينية: إشراف أحمد المرعشلي، هيئة الموسوعة الفلسطينية، دمشق، ١٩٨٤ م، ج ٣، ص ٤٧٤ – ٤٧٥

المتوسط، هي صلة الوصل بين آسيا وافريقية كما تتوسط مفارق الطرق بينهما واوربا، وتبلغ مساحة فلسطين إلى ٢٧ الف كيلوميتر مربعا بما فيها الضفة الغربية وقطاع غزة.[١]

تنقسم فلسطين من حيث الوجهة الطبيعة إلى ثلاثة قطاعات طولية رئيسية هي السهل الساحلي، والمرتفعات الجبلية الوسطى التي تشعل معظم مساح فلسطين، والاخدود الاردني، ويضيق السهل الساحلي بمحاذاة جبل الكرمل عند حيفا إلى ٢٠٠ متر، ويتسع جنوباً ليزيد عرضه عن ثلاثين كيلومترا في منطقة غزة، وهو منطقة تركز سكانى واقتصادي كبير، وفي الوقت الحالي يتركز حوالي ثلاثة ارباع سكان فلسطين فيه، وفضلا عن النشاط الإقتصادي للمواني وخصوصا حيفا، فإنه يعد من المناطق الزراعية المهمة وخصوصا للحمضيات، أما مرتفعات وسط فلسطين فهي تشمل جبال نابلس وجبال الخليل وهضبة النقب، ويبلغ ارتفاع جبالها إلى حوالى الف متر، فيصل جبل حلحول إلى ١٠٢٠ متراً، وجبل جرزيم وعيبال إلى ٩٤٠ متراً، وفي سلسلة جبال الجليل شمال فلسطين، تقع أعلى قمم جبال فلسطين، حيث يرتفع جبل الجرمق ١٢٠٨ امتاراً.[٢]

ويرجع نشوء عدد من حواضر فلسطين المهمة إلى هذه المرتفعات، مثل القدس ونابلس والخليل وبيت لحم ورام لله، نستطيع ان نرى أن هذه المناطق كلها ظلت منذ آلاف السنين مراكز للعمران القروي، وكذلك استخدمها الفلاح الفلسطيني لإنتاج الحبوب والخضروات وزراعة أشجار الزيتون والكروم واللوزيات فضلاً عن الرعى وتربية الماشية، أما هضبة النقب التي تصل مساحتها إلى عشرة آلاف كلوميتر، فهي صحراوية قليلة الإمكانات بإستثناء مشارفها الشمالية أما اجزاؤها الاخرى فلا يصيبها سوى ٥٠ مم أو أقل من المطر، وهي أقل مناطق فلسطين كثافة سكانية.

يمتد الاخدود الاردني مسافة ٤٦٠ كم من قواعد جبل الشيخ شمالاً إلى خليج العقبة جنوباً، وعلى طول الحدود الاردنية الفلسطينية، ويجري نهر الاردن في جزئية الشمالي، ليدخل في بحيرة طبرية ثم يخرج منها ليصب في البحر الميت، أما البحر الميت وينثر على مساحة ٩٤٠ كمتر، ومياهه اشد ملوحة من أى بحر أو بحيرة اخرى على وجه الأرض، ولا توجد فيه حياة بحرية، ومنطقة غور الاردن والبحر الميت هي أكثر المناطق إنخفاضا عن سطح البحر من أي مكان آخر على وجه الأرض، وتتميز هذه المناطق بحرارتها طوال العام، ويزرع سكانها النخيل والموز والخضروات، وفي هذه المنطقة من الجانب الفلسطيني تقع أقدم مدينة في التاريخ وهي مدينة أريحا، التي نشأت حوالى سنة ٨٠٠٠ قبل الميالاد، وإلى الجنوب من البحر الميت يستمر هذا الاخدود اكثرر من ١٥٠ كم، وهو ما يطلق عليه وادي عربة، غير انه كلما إتجه جنوباً زاد ارتفاعاً، ثم يبدأ بإنخفاض من جديد إلى ان يصل إلى مستوى سطح البحر على شاطئ خليج العقبة.[٣]

عند ما نبحث عن المناخ الفلسطيني نرى أنه مناخ البحر المتوسط بشكل عام، وهو حار جاف صيفاً دافئ ممطر شتاء، وتتراوح معدلات نزول الأمطار من ٦٠٠ - ٨٠٠ مم سنوياً في مرتفعات الجليل ونابلس والخليل، وفي السهل الساحلي تتضاءل كمية الأمطار كلما اتجه جنوباً، حيث يبدأ منطقة الكرمل بحوالى ٨٠٠ مم، حتى تصل في منطقة رفح إلى حوالى ١٥٠ مم سنويا، أما في منطقة غور الاردن فيصل معدل الأمطار إلى ٢٠٠ مم سنويا، وفي النقب ٥٠ مم سنويا، أما درجات الحرارة فالمناخ معتدل نسبيا بشكل عام، فمعدل درجة الحرارة الدنيا لا برد

١. فلسطين تاريخها وقضيتها: نابلس، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ١٩٨٣ م، المكتبة الجامعة، ص ٣

٢. جعرافية فلسطين: صلاح الدين البحيري، مركز الدراسات الشرق الاوسط، عمان، ٧٩٩١ م ، ص ٥١ – ٤٢.

٣ جعرافية فلسطين: صلاح الدين البحيري، مركز الدراسات الشرق الاوسط، عمان، ١٩٩٧ م ، ص ١٥ – ٢٤.

الشهور في القدس هو في يناير ٨ م، وفي اغسطس ٢٥ م وهو اعلاها حرارة، وفي السهل الساحلي لا يتدنى معدل الحرارة عن ١٩ م، لا يزيد عن ٢٦ م في اغسطس، أما النهايات القصوى لحرارة فتنخفض إلى الصفر في الشتاء، خصوصاً في المرتفعات الجبلية وتصل إلى ٤٠ درجة في الصيف خصوصاً في مناطق غور الاردن.[١]

المنطقة الساحلية من رأس الناقورة في الشمال إلى رفع في الجنوب، ومن مدن الساحل هي عكا، حيفا، يافا، وغزة، كلها موانئ مهمة، وقد بنى اليهود مدينة تل اويل التي جعلوها عاصمة مؤقتة لهم في شمالي مدينة يافا، مكونة العمود الفقري منطقة الجبلية مدينة صفدا على مدن فلسطين ومدينة الناصر التي نشأ فيها العيسى عليه السلام وقضى معظم حياته فيها.

منطقة الاغوار هي المنطقة الشرقية من فلسطين يخترقها نهر الاردن مع بحيراته، وهي أراضي منخفضة عن مستوى سطح البحر، ومن اشهر الاغوار: غور طبرية وبيان في الشمال وغور اريحا في الجنوب، وتشتمل منطقة بئر السبع والصحرك القسم الجنوبي من فلسطين وتقدر مساحتها بما يقرب من نصف مساحة البلاد كلها، والطقس الفلسطيني معتدل بصورة عامة لوقوعها في المنطقة المعتدلة الشمالية، شمالي خط الإستواء وتنوع المناطق الفلسطينية بارتفاع وانخفاض، المت النباب المختلفة كما تزرع فيه الفواكه والحمضيات والخضروات، واشتهر بزراعة الزيتون والتين وكذلك بيارات البرتقال والليمون.[٢]

الحالة السياسية والإجتماعية

فرض الكيان الصهيوني وقائع جديدة على الأرض بعد هزيمة العرب عام ١٩٦٧ م، واخذ ينفذ سياسة التهويد، فبدأها بضم مدينة القدس الشرقية وجوارها إليه، وجعل القدس عاصمة موحدة أبدية له في السابع والعشرين من يونيو عام ١٩٦٧ م.

وفي هذه المرحلة مارس الكيان الصهيوني أبشع أنواع الوسائل للإستيلاء على الأراضي الفلسطينية واهمها:

١ – الإستيلاء على أراضي الدولة وممتلكاتها.

٢ – الإستيلاء على أراضي الغائبين وممتلكاتهم.

٣ – مصادرة الأراضي واغلاقها تحت ستار "اغراض الامن".

٤ – إجبار المزارعين على تبديل أراضيهم بأراضٍ في أمكنة اخرى[٣].

بعد صدور قرار التقسيم ١٨١ من قبل الأمم المتحدة مارس الصهاينة أبشع أنواع التعذيب والإرهاب بحق الشعب الفلسطيني الذي حمل السلاح في كل من الأراضي المحتلة والاردن ولبنان ليدافع عن نفسه أمام هذه الجرائم البشعة، وكانت هذه الجرائم اللا إنسانية تلقى دعما غربيا لا تعرف له حدود في كل محفل دولي، أو في تكوين جماعات وهيئات تخصصت في دعم الكيان الغاصب، واستطاع هذا الكيان الغاصب في غمرة هذا التأييد أن يسن قوانيين في برلمانه (الكنيست) لتشديد إجراءاتها القمعية كعدم السماح بعودة الاجئين إلى قراهم ومدنهم

١. عروبة فلسطين في التاريخ: محمد أديب العامري، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، ص ١٧٢ .
٢. الجانب الاجتماعي فى الشعر الفلسطيني الحديث: الدكتور محمد شحادة عليان، عمان، ١٩٧٨ م، ص ١٥ - ١٦.
٣. فلسطين تاريخها وقضيتها: نابلس، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ١٩٨٣ م، المكتبة الجامعة ، ص ٢٥٨ .

داخل ما يسمى بالخط الاخضر، كما لم تسمح بعودة النازحين بعد هزيمة عام ١٩٦٧ م إلى الضفة الغربية وقطاع غزة.

وكان الإستيطان الصهيوني من اخطر الممارسات التي قامت بها إسرائيل، فقد انتشر هذا الإستيطان في هضبة الجولان وعموم الضفة الغربية وقطاع غزة وشمال سيناء، وعملت الحكومة الصهيونية المتعاقبة على تنفيذ مشروع ما يسمى "مشروع يغئال الوان" الذى ينص على إنكار وجود الشعب الفلسطيني، الامر الذي يقضي بعدم الإقرار بحقوقه المشروعة، واهمها حق تقرير المصير، كما حرص الكيان الصهيوني على نقاء الطابع اليهودي للدولة العبرية، وعدم تحويلها إلى دولة ثنائية القومية تضم اقلية كبيرة من السكان العرب، وقد تحولت هذه المستعمرات إلى قرى زراعية ومواقع عسكرية، حيث يقيم الكثير من أفراد المؤسسة العسكرية الصهيونية في هذه المستعمرات.[١]

وفي غمرة هذه الممارسات القمعية بحق الأرض والإنسان الفلسطيني واصل الفلسطينيون مقاومتهم ضد المحتل الغاصب، ولم يبق أمام الشعب الفلسطيني أية وسيلة او شكلا من أشكال النضال إلا المقاومة وإستخدامه، وكذلك شملت مظاهر المقاومة وحمل القضية الفلسطينية إلى جميع محافل دولية مختلفة, ومع ذلك إلى جمعيات إسلامية مسيحية، ولجأ الفلسطينيون إلى الإضطرابات وحركات الإعتصام، والتظاهرات السلمية، ومقاطعة الإدارة العسكرية، وإرسال مذكرات الإحتجاج والإستنكار لمصادرة الأراضي وإقامة المستعمرات، نرى واجهت الإسرائيل هذه المظاهر بعنف ووحشية، ومع ذلك مارسوا أقسى أنواع القهر والتعذيب نحو الفلسطينين، ولم تستجب إسرائيل لتوصيلات وقرارات المنظمة المختصة بحقوق الانسان، ولا بقرارات الأجهزة التابعة للأمم المتحدة، وإنما استغرقت في ممارسة السياسة العنصرية النازية، وبعد خروج المقاومة الفلسطينية من لبنان وتفرقها في عدد من الدول العربية التي تبعد آلاف الأميال عن فلسطين، وبهذه الوسيلة ازدادت الأجواء السياسية قتامة، وفي التاسع من ديسمبر عام ١٩٨٧ م انفجرت الإنتفاضة الأولى، بدأت الثورة بشرارة صغيرة كنتيجة لتراكم الهزائم والويلات والفواجع التي لحقت بالأرض والإنسان، وانطلق الشعب الفلسطيني في ثورة عارمة شارك في الثورة كل فئات المجتمع الفلسطيني من الرجال والنساء والأطفال ضد المحتل الغاشم، نمكن ان نرى دخلت كلمة الإنتفاضة في القاموس العالمي بعدما أصبح الحجر معلما بارزا فيها، وقاومت الجماهير الفلسطيني العدو الصهيوني بكل ما وقع تحت أيديها من حجارة وقضبان وادوات نضال.[١]

وكان من دوافع الإنتفاضة الفلسطينية الأولى:

١. تراكم الآثار السلبية وبشكل سيء لسياسة القمع الصهيوني والقبضة في إدارة شئون في الأرض المحتلة عام ١٩٦٧م من مصادرة الأراضي، وفرض الضرائب الباهظة وهدم البيوت، واعتقال التعسفي، والإبعاد والإذلال والقهر، ومداهمة البيوت ليلاً، واخضاع الشباب لمراجعة الأجهزة الأمنية الصهيونية، وفرض الإقامة الجبرية.

٢. تراكم الآثار السلبية لسياسة التبعية الإقتصادية التي فرضها الإحتلال الصهيوني على الأراضي الفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧م، وحرمانها من الخدمات الصحية والمستشفيات ومحاربة القائم منها، وتضيق فرص العمل سواء للعمال غير المهرة أو خريجي المعاهد والجامعات

١. فلسطين تاريخها وقضيتها: نابلس ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ١٩٨٣ م، المكتبة الجامعة ، ص ٢٥٩.

٣. نمو القيم الإسلامية والشعور الديني لدى مختلف قطاعات الشعب بفعل تنامي الصحوة الإسلامية في جميع انحاء فلسطين منذ منتصف السبعينيات، وبروز دور المساجد والكتاب والأنشطة الإسلامية والمعاهد والجامعات الاسلامية.

٤. تنامي التيار الصهيوني الأكثر تعصبا واستكبارا وعدوانا، وبروز المنظمات اليهودية التي تقوم سياستها على استفزاز مشاعر المسلمين بالسباب والشتمية أو المنادات بضم فلسطين المحتلة بعد عام ١٩٦٧م لدولة العدو الصهيوني، وطرد سكانها إلى الخارج، وكذلك تعدد حالات الإعتداد على المساجد والآثار والمقدسات الاسلامية، والتركيز بشكل خاص على هدم المسجد الأقصى.

٥. اليأس من وعود التسوية السياسية او العون الخارجي، وخاصة في ضوء انعقاد القمة العربية الطارئة في عمان في شهر نوفمبر عام ١٩٨٧م، وكذلك اخفاق منظمة التحرير في إنجاز أي من وعودها على الرغم من تاميل الناس كثيرا في اعقاب انعقاد المجلس الوطني الثامن عشر، والعزف على نغمة الوحدة الوطنية الفلسطينية ودور السوفيات في انعقاد المؤتمر الدولي.

إذكاء روح الحماس للمواجهة بفعل بعض العمليات البطولة وعملية الشجاعية، وكذلك بسبب زيادة حدة اجراءات سلطات الاحتلال وهجمات المستوطنين وسقوط قتلى من الأطفال والنساء [١].

للحجر له دور كبير في المقاومة الفلسطينية، وقد برز دور الحجر الفلسطيني في قذف قوي الشر والقمع والقتل، واصبح الحجر رمزا للإنتصار على الظلم وقهر المحتل الغاصب، ويعبر عن كل القيم الإنسانية في تحقيق العدالة والحرية والاستقلال، وصار الحجر وسيلة لتحقيق الحلم بالعودة إلى الوطن، طفق الشعراء تمجيد دور الحجر في قصائدهم، من ذلك مثلا تمجيد الشاعر العربي السوري نزار قباني الحجر والطفل الفلسطيني الذى يرفعه وهو يقول:

" بهروا الدنيا
وما في أيديهم الا حجارة
وأضاءوا كالقنابل
وجاءوا بالبشارة
قاوموا وانفجروا واستشهدوا
وبقينا دببًا قطبية
صفحت أجسادنا ضد الحرارة
قاتلوا عنا إلى ان قتلوا
وبقينا في مقاهينا كبصاق المحارة " [٢]

وجرت مفاوضات عام ١٩٩١ م أثناء الانتفاضة الاولي بين الفلسطينين والصهاينة في مدريد أولا، وكان الوفد الفلسطيني ضمن الوفد الاردني، وليس بصورة مستقلة، وقد كان مؤتمر مدريد إحتفالا استغلته إسرائيل بشكل كبير في عرض رؤيتها للحل السياسي بطريق اركبت الطرف الفلسطيني الذي لم يكن موفقًا في الإشارة إلى كثير من القضايا، والتي منها الحق التاريخي والعقدي للشعب الفلسطيني في أرضه الذي لم يذكره على الإطلاق كما ابدى الوفد الفلسطيني استعداده للتعامل وفق قواعد اللعبة السياسية التي تصنفها الولايات المتحدة

١. القضية الفلسطينية من منظور إسلامي: فتحى يكن، مؤسس الرسالة, بيروت – لبنان ، ص ١٧٥، ١٧٦.
٢. الاعمال السياسية الكاملة: نزار قباني، منشورات نزار قباني، بيروت - لبنان الجزء السادس الطبعة الاولى، ١٩٩٣، ص ٢٠٣

والكيان الصهيوني.[١]

ونمكن ان نرى تفاوض الفلسطينيون مع الصهاينة في مناطق اخرى من العالم، قدم الفلسطينيون التنازل تلو الآخر، كالتي دارت بين الولايات المتحدة ومندوب منظمة التحرير في تونس السيد حكم بلعاوي، وقد ادت هذه الاتصالات إلى ما يلي:

١. الإعتراف بقرارات الأمم المتحدة ٢٤٢-٣٣٨، التي كانت مرفوضة من قبل منظمة التحرير، وكان القبول بها يعد خروجا عن الصف الوطني وخيانة للقضية،لانها كانت تقضي بالاعتراف بإسرائيل، الأمر الذي يشك في مقاومة الشعب الفلسطيني وحقه الشرعي في أرضه.

٢. إخراج النظام العربي الرسمي من المعادلة بعد ان كان يشعر بواجبه ومسئولياته تجاه القضية الفلسطينية.

٣. التنازل من مطلب المؤتمر الدولي لحل القضية تنازلا عادلا.

٤. أدت إلى الغاء الميثاق واعتبار المقاومة إرهابا.

٥. أدت إلى تأجيل القضايا الرئيسية مثل القدس والحدود والمستوطنات وحق العودة إلى مفاوضاة الحل النهائي.

٦. الرضى بالتنازل عن الشخصية السياسية الفلسطينية والدخول في المفاوضات مباشرة عن طريق الوفد الاردني.[٢]

نمكن القول عن هذه المفاوضات السرية والعلنية التي ادت إلى ميلاد اتفاق اوسلو الذي ادت الى انقسام الشعب الفلسطيني، وكان الإنقسام في الشارع الفلسطيني حول الإتفاق عميقا، فمؤيدو الإتفاق رأوا أن هذا الإتفاق هو انجاز كبير في ظل المعادلات الدولية الجديدة، التي تؤكد الهيمنة الأمريكية، وفي ظل العجز العربي المتفاقم، وبالتالي شكل الإتفاق من وجهة نظرهم اعترافا بمنظمة التحرير الفلسطيني، وبوجود الشعب الفلسطيني وسيؤدي الى اقامة الدولة الفلسطينية، واستنقاذ ما يمكن قبل ان تذوب القضية ويتبعثر الوجود السياسي للشعب الفلسطيني، وكذلك وقع الفلسطينيون مع الصهاينة إتفاقيات اخرى، كإتفاقية القاهرة ١٩٩٤ م وإتفاقية طابا ١٩٩٥ م، وإتفاقية واي ريفر ١٩٩٨ م، و إتفاق شرم الشيح ١٩٩٩ م.[٣]

دخل شارون إلى باحة الحرم القدسي الشريف عام ٢٠٠٠ م، دخول شارون إلى باحة الحرم القدسي الشريف ومع ذلك هذا التراكم الهائل من الإتفاقيات والمماطلة في تنفيذها كلها أدى إلى حالة كبيرة من الإحتقان والغليان في صفوف الشعب الفلسطيني، فاندلعت إلى الإنتفاضة الثانية في الأرض المحتلة الفلسطينية بإسم إنتفاضة الأقصى، وقد تميزت إنتفاضة الأقصى عن إنتفاضة الحجر بإستخدام الأسلحة النارية والمتفجرات بمختلف انواعها واشكالها بصورة ملحوظة، وكان من آثار ونتائج إنتفاضة الأقصى سقط آلاف الفلسطينين، وهدم آلاف من البيوت، ومع ذلك سجن عشرات الآلاف من الرجال والأطفال والنساء، وتجريف مساحات شاسعة من الأراضي الزراعية، وهدم وقصف مئات المنشآت الصناعية، كما حوصرت القيادة الفلسطينية نفسها في المدينة رام الله، وفي أثناء الإنتفاضة الأقصى لجأ الكيان الصهيوني من الغرب إلى مضاعفة الإستيطان

١. دراسات في القضية الفلسطينية: عاطف ابراهيم عدوان، الطبعة الرابعة (دون تاريخ)، ص ٢١٩.
٢. السابق، ص ٢١٩.
٣. دراسات في القضية الفلسطينية: عاطف إبراهيم عدوان، الطبعة الرابعة (دون تاريخ)، ص ٢٢٤.

في الضفة الغربية، وقام بمصادرة مئات آلاف من الدونمات من الأراضي الزراعية، وإحتلال قمم الجبال والتلال، ولم يكتف الإحتلال الصهيونيون بذلك بل لجأ إلى تقطيع أوصال الضفة الغربية ببناء جدار اسمنتي يفصل بين القرى والمدن الفلسطينية وأحيانا يفصل بين بيوت القرية الواحدة نفسها.[١]

الحالة الاقتصادية

ولا يشك أحد ان الحالة الإقتصادية عنصر يحرك جميع العوامل في مسيرة المجتمع، وكان لقرار التقسيم الصادر عن الأمم المتحدة عام ١٩٤٧م، وللمجازر والجرائم الصهيونية اسوأ الأثر على حياة الشعب الفلسطيني بشكل مباشر، حيث حاول الصهيونيون محولات كبيرة لإقتلاع أبناء الأرض من أرضهم وبيئتهم وتهجيرهم إلى المنافي والشتات، وحاصر الصهيونيون أبناء فلسطين في مناطق ضيقة كقطاع غزة ومخيمات اللاجئين في الضفة الغربية وبعض الدول العربية، وقد أصبح مئات الآلاف من الفلسطينيين المشردين بلا مأوى أو مصدر رزق، ولم يسعف الفلسطينين إلا وكالة الغوث الدولية التي أمدته ببعض المواد الغذائية الأولية، وساعدته في إنشاء المخيمات في بعض أجزاء فلسطين والدول العربية المجاورة، ومع ذلك احس الإنسان الفلسطيني أن المعانات سيطول أمدها فعمل على تحسين حياته الإقتصادية وظروف حياته اليومية، فأخذ يمارس بعض الأعمال الزراعية والصناعية، بينما توجهت انظار فريق آخر إلى العمل في الدول العربية الخليجية وليبيا، ولنيل أجل هذا العرض اقامت اعداد كبيرة من الفلسطينيين في الوطن حياة إقتصادية شبه مستقرة تعتمد على الزراعة وقليل من الحرف الصناعية البدائية، لم يستطيع الفلسطينيون الذين هجروا إلى الشتات ان يقيموا نظاما إقتصاديا يضمن لهم العيش الكريم، فقد حظرت هذه الدول النشاطا الإقتصادي على الفلسطينيين إلا بعضا منه، وفرضت قيودا وقوانين صارمة، وعمل كثير منهم في الوظائف الحكومية وبعض الأعمال التي سمحت بها الدول التي لجأوا إليها.[٢]

وبسبب سياسة مصادرة الأراضي الزراعية التي نهجتها الحكومات الصهيونية المتعاقبة لإنشاء المستوطنات الصهيونية والمواقع العسكرية أدت إلى تتناقص مساحت الأراضي الزراعية في الضفة الغربية وقطاع غزة، واما لتحويل هذه الأراضي إلى مساكن لمواجهة الزيادة الطبيعية في النسل، نمكن القول انها تحسنت بصورة ملحوظة، لكن تحسنها ظل مرهونا بالضغوط الصهيونية التي لا تسمح بحرية التسويق لخطوط الإنتاج الفلسطيني، وإنما كانت تفرض قيودا لا حصر لها على الإقتصاد الفلسطيني خوفا من المنافسة أحيانا، واخرى لكي لا يشعر الإنسان الفلسطيني بنوع من الحرية الإقتصادية، نرى اخطر ما قامت به إسرائيل على الشعب الفلسطيني هو جذب الأيدي العاملة العربية إلى العمل في المشاريع الزراعية والصناعية الصهيونية نظرا لإرتفاع أجور هذه الأعمال، واندفع آلاف من الفلسطينيين للعمل في الأعمال اليدوية الشاقة رغبة في الحصول على هذه الاجور المرتفعة، ولنيل هذا العمل اضطر الكثير من الشباب إلى ترك دراستهم والتفرغ للعمل لمواجهة ظروف الحياة القاسية التي فرضها الإحتلال، واتخذ الكيان الصهيوني إجراءات كثيرة بربط الإقتصاد الفلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة بالإقتصاد الصهيوني ساعيا إلى تحجيمه وعدم نموه، وعملت إسرائيل على خنق هذا الإقتصاد الضعيف، كإغلاق المصارف العربية التي كانت تعمل قبل الإحتلال في الضفة الغربية وقطاع غزة، وفرضت الصهاينة ضرائب باهظة على المنتجات والحرف والورش الصناعية والزراعية، ولكنها في المقابل قدمت تسهيلات للمشاريع المرتبطة بالإقتصاد الصهيوني لكي تصبح هذه المناطق سوقًا استهلاكية للمنتجات الصهيونية[٣].

١. السابق، ص ٢٢٤.

٢. فلسطين تاريخها وقضيتها: نابلس، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ١٩٨٣ م، المكتبة الجامعة، ص ٢٦١.

٣. فلسطين تاريخها وقضيتها: نابلس، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ١٩٨٣م، المكتبة الجامعية، ص ٢٦١.

"الجسور المفتوحة" هذه هي سياسة من قبل إسرائيل مع الأردن فى الضفة الغربية، وسمحت هذه السياسة بتسويق المنتوجات الزراعية والصناعية في الدول العربية، ولجأ الكيان إلى مثل هذه الخطوات الإقتصادية ليحافظ على اسعار منتجاته المشابهة لهذه المنتوجات داخل إسرائيل وفي الأسواق العالمية، ولتظل خطوط التجارة بقبضة المحتل وتحت إدارته، يسمح بها ويخضعها لقوانين وأنظمة صارمة، وليبقي متحكما بتصديرها أو منعها من التصدير، نرى ظل الحال بهذه الصورة حتى انشأت السلطة الفلسطينية، بعد توقيع إتفاقية باريس التجارية الوضع الإقتصادي ازداد سوءًا، واستطاعت إسرائيل أن تفرض ما تريد من إجراءات ضد التصدير والإستيراد، ولم تسمح بدخول الكثير من المواد الأساسية للزراعة والصناعة إلى قطاع غزة والضفة الغربية، وفي عام ٢٠٠٦ م بعد فوز الإتجاه الإسلامي بإنتخابات المجلس التشريعي، أوقف الكيان الصهيوني عمل جميع العمال الفلسطينيين داخل الخط الأخضر، كما عطل تصدير الكثير من المواد الأساسية اللازمة للزراعة والصناعة، وكانت نتيجة لذلك وجود اعداد ضخمة من العاطلين عن العمل، فازدادت قسوة الحياة ومرارتها، وأصبحت ظروف الحياة لا تطاق.[١]

إلا ان هذا الضعط والحصار الإقتصادي من قبل الصهاينة لم يضعف الإنسان الفلسطيني، وانما زاده اصرارا على التمسك بأرضه وحقه في الحياة، واخذ يرفع شعارا يهتف به بصوت عال "الجوع لا الركوع"، واستطاع ان يصمد ويقاوم، ولم تنل هذه الإجراءات وهذا التعسف من عزيمته شيئًا.

الحالة الاجتماعية

وقد عاش الشعب الفلسطيني بعد تهجيره من أرضه ووطنه بظروف إجتماعية يعجز البشر عن تحملها، فبعد النكبة عام ١٩٤٨ م تحولت البيوت والقرى التي بناها أبناء فلسطين بأيديهم إلى خراب ودمار، فقد قام الكيان الغاصب بهدم معظم القرى الفلسطينية ومحو آثارها حتى يقضي على حلم الإنسان الفلسطيني بالعودة إليها، ولجأ الفلسطينيون إلى خيام في الشتات والمنافي، ولم تستطع هذه الخيام ان تحميه من برد الشتاء ولا حر الصيف، كما نال الفقر نصيبه منه بعد أن فقد الفلسطيني أرضه ومصدر رزقه، وصار لاجئاً يعيش على فتات تقدمه بعض الهيئات والمؤسسات الدولية، وقد رفض الشعب الفلسطيني كل محاولات التوطين في الدول العربية، وقاوم هذه المحاولات مقاومة عنيدة، وظل يعيش في مخيمات يغلب عليها طابع البؤس والشقاء، لقد ظل مطلوبًا ان يظل الشعب الفلسطيني محجوزا في المخيمات، حتى يتم ترويضه والإعداد لتصفيه قضيته، وقد اتخذت محاولات التصفية شكلين أساسين:

الشكل الأول: مشروعات التوطين التي كانت تهدف إلى قيام الشعب الفلسطيني بتعمر بضعة مناطق قاحلة مجدبة، مثل صحراء سيناء، ووادي الاردن، حتى يتم قتل الكفاءات والخبرات التي اكتسبها، وعزله عن مشاركة القوى الفاعلة في المجتمع العربي في النضال من أجل التحرر والتقدم.

الشكل الثاني: هو تطوير جهاز تعليم وتدريب الأجيال الجديدة من الشعب الفلسطيني، بحيث يؤدي هذا التعليم إلى تخريج كوادر لا يجدون مجالًا للعمل في منطقة تجمع شعبهم، ويضطرون بالتالي للهجرة إلى المناطق النائية.[٢]

وقد إستقبلت الدول العربية المجاورة وفود المهاجرين الفلسطينيين بإستقبال جيدة، وفرضت عليهم قيودًا شديدة لمنعهم من ممارسة العمل لتوفير فرص العمل لمواطنيها، وهذه الممارسة أدى إلى وجود اعداد

١. السابق، ص ٢٦١.

٢. تطور القضية الفلسطينية: زيادة الصغير، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ٥٥.

ضخمة من العاطلين الفسطينين عن العمل في تلك الدول، وواجه الفلسطينيون تعقيدات اخرى كثيرة، فقد منعوا من التوسع في مخيماتهم وبناء المساكن لمواجهة الزيادة الطبيعة، وأدى ذلك إلى وجود الإكتظاظ والإزدحام داخل هذه المخيمات، وقد شجع هذا الواقع المزري بعض الأسر على الهجر إلى دول المجاورة، ولم تكن الحياة الإجتماعية في قطاع غزة والضفة الغربية أفضل حالًا من الحياة في الدول المجاورة، بدأت وكالة الغوث وعدد من الهيئات الدولية الاخرى ببناء مساكن حجرية ثابتة مكان هذه الخيام بعد ان عاش أبناء الأرض فى هذه الخيام سنوات طويلة ، كما نالت كثير منهم وظائف مختلفة في مجالات الصحة والتعليم، بعد عام ١٩٦٧ م لجأ إسرائيل إلى هدم آلاف المنازل التي بنتها وكالة الغوث الدولية في المخيمات الفلسطينية بغزة وما حولها، وكان نتيجة لذلك إضطر عدد كبيرة من الفلسطينين بترحيل إلى العريش وأماكن اخرى، عند ما كثرت الترحيل إضطر إسرائيل على إقامة مساكن على الأراضي الزراعية المثمرة كمحاولة لزيادة اعتماد الفلسطينيين على الحكم العسكري، وبعد ذلك شهدت الأراضي الزراعية الفلسطينية تراجعًا مخيفًا في مساحتها، لأن الإستيطان قد التهم أراضي كبيرة، وكان لإقامة المساكن والمصانع والورش الصناعية نصيب آخر.[١]

وليبقي الإسرائيل محتفظاً بسيطرته على جميع ميادين الحياة المختلفة، وفتح أبواب العمل لعشرات الآلاف من الفلسطينيين للعمل في داخل ما يسمى الخط الأخضر، كما نعرف كان العمال الفلسطينيون يعملون في مجالات كالزراعة والبناء وبعض الصناعات، ولا ينكر أحد ان ظروف هذه الطبقة من العمال قد تحسنت كثيرا، وأدى تحسنها إلى انتعاش طبقات اخرى في الضفة الغربية وقطاع غزة، واستطاع الفلسطينيون أن ينهضوا بتعليم أبنائهم وبناتهم تعليمًا جيدًا، بعد ان كان محصورًا في المراح التعليمية الاولى، كما تمكن كثيرون من تحسين ظروف حياتهم المعيشية، ومع ذلك قلت نسبة البطالة، كما ازداد دخول المرأة إلى ميادين العمل كالتعليم والصحة وبعض الوظائف وبعض المهن الخاصة، نرى مع إندلاع الإنتفاضة الاولى يفرض الجيش الصهيوني على أبناء الأرض الفلسطيني منع التجوال، ويمنع العمال من ممارسة أعمالهم، ولذلك ارتفعت نسبة العاطلين عن العمل، وكذلك الأوضاع الإجتماعية بدأت تسوء من قبل بعد قدوم السلطة الفلسطينية، حيث ضيق الإحتلال على الشعب الفلسطيني، فقيد قوانين العمل وحرية الحركة والسفر إلى الخارج، رغبة منه في فرض مشاريع التسوية على الفلسطينيين، وبعد الإنتخابات التشريعية الثانية التي فاز بها الإتجاه الإسلامي، منعت سلطات الإحتلال جميع العمال الفلسطينين في قطاع غزة والضفة الغربية من ممارسة أعمالهم داخل الخط الاخضر.[٢]

مر الشعب الفلسطيني مع هذه الظروف المتمردية، والزيادة المطردة في عدد السكان، وكثرة الأحداث الدامية والمآسي والفواجع التي عمقت المأساة الفلسطينية، انطلق الشعراء والكتاب الفلسطينيون يعبرون عن آلامهم وأحزانهم وعن التمزق والضياع والمقاومة الفلسطينية، فبكوا لوطنهم السليب ولأرض المقدسة ولمدنه ولقراه ولجباله ولديانه ولسهوله، ونرى قصائد الشعراء الفلسطينيين صادقة معبرة عن عواطفهم وأحاسيسهم نحو وطنهم وشعبهم، واتخذوا لهذا التعبير إتجاهات أدبية وفنية مختلفة، ونمكن القول إن الشعب الفلسطيني شعب التضحيات التي لا تعرف الحدود، وشعب لم يهن ولم يركع على مدى عقود طويلة، لكن زادت تضحياته، بل أصبح كأسطورة طائر الفينيق الذي يحضر محرقته عندما يشعر باقتراب موته، فيقوم بحرق نفسه ليولد من رماده مرة ثانية، وكان حال الشعب الفلسطيني كما قال الشاعر راشد حسين:

" سنفهم الصخر إن لم يفهم البشر أن الشعوب إذا هبت سننتصر

١. تطور القضية الفلسطينية: زيادة الصغير، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ٥٦.

٢. تطور القضية الفلسطينية: زيادة الصغير، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ٥٦.

فالثائرون على جلادهم دمهم بحر...وأشلاؤهم في وسطه جزر

شعب تمطى فلا فلا قيد يكبله و لا تغيبه في صدرها الحفر

وجمَعت في فم الثوار أغنية فالبندقية عود واليد الوتر

ما كان حبهم للقتل رائدهم بل حبهم لضياء الشمس يستعر"[١]

ان المجتمع الفلسطيني مجتمع التضحيات، وهذه الخاصية تبرز في إنتاجاتهم الثقافية، والظواهر الإجتماعية تختلف في الإنتاجات الأدبية كما أن الحالات في الشتات والمنافي تختلف.

الخاتمة

وكانت الظروف السياسية الصعبة التي مر بها الشعب الفلسطيني قد انعكست بصورة مباشرة على حياته الإقتصادية والإجتماعية والفكرية منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر، بسبب هذه العقود الطويلة ظل الإنسان الفلسطيني يعاني من الفقر والإضطهاد الإستعماري، وعانى من الضياع والتشتت والبعد عن الأهل والوطن، كما فقد حريته الفكرية والثقافية، ولكنه استطاع ان يواجه كل هذه التحديات ليدافع عن كيانه وإستقلاله.

المصادروالمراجع

١. إحسان عباس: إتجاهات الشعر العربي المعاصر، دار الشروق للنشر والطبع، الطبعة الثالثة، ١٠٠٢ م.

٢. الدكتور محمد شحادة عليان: الجانب الإجتماعي في الشعر الفلسطيني الحديث، عمان، ٨٧٩١ م.

٣. جمال أحمد الرفاعي: أثر الثقافة العربية في الشعر الفلسطينية المعاصر: دراسة في شعر محمود درويش، كلية الألسن، جامعة عين شمس.

٤. إشراف أحمد المرعشلي: الموسوعة الفلسطينية، هيئة الموسوعة الفلسطينية، دمشق، ٤٨٩١ م.

٥. نابلس: فلسطين تاريخها وقضيتها، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ٣٨٩١ م .

٦. صلاح الدين البحيري: جعرافية فلسطين ، مركز الدراسات الشرق الاوسط، عمان، ٧٩٩١ م.

٧. محمد أديب العامري: عروبة فلسطين في التاريخ ، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت .

٨. زيادة الصغير: تطور القضية الفلسطينية، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان.

٩. نزار قباني: الاعمال السياسية الكاملة، منشورات نزار قباني، بيروت - لبنان الجزء السادس الطبعة الاولى، ٣٩٩١.

٠١. فتحى يكن: القضية الفلسطينية من منظور إسلامي، مؤسس الرسالة، بيروت – لبنان

النصوص الهندية الكلاسيكية: دراسة تحليلية

الدكتور/ محمد عابد . يو. بي[١]

الملخص

النصوص الكلاسيكية تشير إلى روائع أدبية وغيرها من الحضارات القديمة. وهذا المصطلح لا يقتصر على الروايات فقط؛ يمكن أن يشمل ملحمة، غنائي ، مأساة ، كوميديا، وغيرها من أشكال الكتابة كذلك.

يشير الأدب الهندي إلى الأدبيات المنتجة في شبه القارة الهندية حتى عام ١٩٤٧ وفي جمهورية الهند بعد ذلك. لدى جمهورية الهند ٢٢ لغة معترفة رسمية. بدأ الأدب السنسكريتي بالأدب الشفهي لجمع كريغويدا (Rig Veda) وهي مجموعة من الأناشيد المقدسة التي تعود إلى الفترة من ١٥٠٠ إلى ١٢٠٠ قبل الميلاد. ظهرت الملاحم السنسكريتية رامايانا وماهابهاراتا قرب نهاية الألفية الثانية قبل الميلاد.

الأدب الهندي الكلاسيكي

الأدب الكلاسيكي مصطلح يطلق على الأعمال التي لا تزال تقرأ على الرغم من زمن طويل تحديدا من الحضارة الإغريقية والرومانية والهندية والصينية وحتى القرن العشرين. وهذا المصطلح يشمل الأعمال التي تقرأ من قبل مختلف الثقافات التي يتواصل ويتفاعل معها القراء في كل زمان ومكان، ومن مختلف المراحل العمرية. والأدب الهندي يشمل الأعمال الكلاسيكية الدينية الهندوسية والبوذية واليانية والسيخية وغيرها. والنصوص القديمة مازالت ذات نفوذ واضح.

١. المهابهارتة

ملحمة المهابهاراتة (The Mahābhārata) أطول قصيدة كتبت بالسنسكريتية على مر العصور. وهي تتألف من ٢٢٠,٠٠٠ مقطع شعري. وهي ملحمة الهند الرئيسية كما الإلياذة والأوديسة عند اليونان، وتحوي تاريخ الهنود وأساطيرهم وحكاياتهم، وتعد لدى الهنود السفر الخامس من أسفار الحكمة وتعتبر مصدرا غنيا من مصادر التصوف وقد عنى بها أيضا المسلمون في الهند. وإسم مؤلفها أسطوري، إذ ينسبها الرواة لمن يسمونه بـ فياسا (Vyasa) وهي كلمة معناها «المنظم» (Compiler)، فقد كتبها مائة شاعر وصاغها ألف منشد.

٢. الرامايانة

الراميانة (Ramayana) هي ملحمة شعرية هندية قديمة كتبت بالسنسكريتية التي تنتمي إلى الشاعر فالميكي (Valmiki) وتعتبر من التراث الهندي والنصوص المقدسة لدى الهندوس. والراميانة تعني باللغة السنسكريتية سيرة حياة راما (Rama)، والشاعر المغني الأسطوري فالميكي يذكر في بدايتها أنه تلقى أمرا إلهيا من الإله براهما (Brahma) لنظم ملحمة تروي سيرة راما كما يعتقد الهندوس. ويرجع تاريخ الملحمة إلى القرن الثاني للميلاد، وتتألف من أربعة وعشرين ألف بيت مزدوج، في سبعة فصول، تصف مغامرات وبطولات وآلام البطل الأسطوري راما، ولاسيما قصة اختطاف زوجته سيتا (Sita) والعثور عليها وتحريرها، وبذلك يمكن تشبيهها أو

١ أستاذ مساعد ومشرف البحوث، قسم الماجستير والبحوث في اللغة العربية وآدابها، كلية فاروق ، كاليكوت، كيرالا، الهند

مقارنتها بـ «الأوديسة» اليونانية.

٣. بنجاتنترا

بنجاتنترا (The Panchatantra) مجموعة حكايات من الأساطير على لسان الحيوانات والطيور. ألفه بيدبا (Baidaba)، الفيلسوف والحكيم الهندي. انه كتب مجموعة قصص في الحكمة والأخلاق وجمعها في كتاب أسماه بنجاتنترا (The Panchatantra) والتي تعني الفصول الخمسة باللغة السنسكريتية وقد ترجم بعد ذلك إلى الفهلوية والفارسية ومن ثم ترجمه عبد الله بن المقفع إلى اللغة العربية في العصر العباسي تحت عنوان «كليلة ودمنة» ومعظم شخصيات هذا الكتاب من الحيوانات والبهائم.

٤. أدب سانجام

تم تأليف مجموعة من القصائد المعروفة باسم أدب سانجام على مدى ستة قرون ، من حوالي ٣٠٠ قبل الميلاد إلى ٣٠٠ بعد الميلاد ، من قبل التاميل من خلفيات اجتماعية متنوعة للغاية. وتسمى الفترة التي تتكون فيها هذه القصائد فترة سانجام. تقدم هذه الأعمال نظرة ثاقبة لثقافة التاميل المبكرة والعلاقات التجارية بين جنوب الهند والبحر الأبيض المتوسط وغرب آسيا وجنوب شرق آسيا. تحتوي هذه المجموعة على ٢٣٨١ قصيدة باللغة التاميلية ألفها ٤٧٣ شاعرا ، ما زال ١٠٢ منهم مجهولين. جمعت هذه القصائد في وقت لاحق إلى مختارات مختلفة ، تم تحريرها ، ومعها نسخ من قبل المختصين.

٥. أبيجان شاكنتلام (Abhijnanasakuntalam)

هي قصة جميلة من الحب والرومانسية ، ودراما قصة شاكنتلا (Shakuntala)، والدة الامبراطور بارتا (Bharata) التي تم تصويرها في ملحمة ماهابهاراتا. تاريخها غير مؤكد. أبيجان شاكنتلام هو أول مسرحية هندية يتم ترجمتها إلى اللغات الغربية.

٦. الكاماسوترا

الكاماسوترا (Kamasutram)هو نص هندي قديم يتناول السلوك الجنسي لدى الإنسان. واضع هذا النص الفيلسوف الهندي فاتسيايانا (Vatsyayana) ، كخلاصة قصيرة للكثير من مؤلفات سابقة قديمة مختلفة تعود إلى تقليد يعرف باسم كاما شاسترا (Kama Shastra)، وهو يعني علم الحب، كلمة كاما (Kama) تعني الرغبة، بينما كلمة سوترا (Sutra) فتدلل على سلسلة من الحكم.

٧. شيشوبالا فادها

شيشوبالا فادها (Shishupala Vadha) هي ملحمة سنسكريتية تتناول حياة شيشوبالا ، ملك مقاطعة هندية قديمة ، ووفاته من قبل كريشنا. والقصة مأخوذة من ماهابهاراتا. وهي عبارة عن قصيدة ملحمية في ٢٠ مقطع من حوالي ١٨٠٠ المقاطع المزخرفة للغاية ، وتعتبر واحدة من ستة ملاحم كبيرة سنسكريتية. وقد حظيت الملحمة باستحسان واسع النطاق لاستخدامها الأسلوب المزخرف والتقنيات الشعرية.

٨. كرتاجنيا

كرتاجنيا (Kiratarjuniya) ملحمة سنسكريتية كتبت في القرن ٦ أو في وقت سابق. إنها قصيدة ملحمية في ثمانية عشر مقطع حيث يختبر شيفا قوة أرجونا. على الرغم من أن فشل أرجونا في المنافسة، إنه حصل على فرصة للقاء شيفا والحصول على بركاته. والقصة أخلاقية على كل إنسان أن نحترم الآخرين مهما كان وضعهم وحالهم . والنص يشرح جوهر الفكر الديني الهندي أن كل إنسان هو جزء من القاهر.

٩. أرتا شاسترا

أرتا شاسترا (The Arthasastra) تحفة عمرها ٢٣٠٠ عاما عن الحكم والاقتصاد والسياسة. هذا الكتاب عمل ضخم وله خمسة عشر جزءا ، يتناول كل منها بعض جوانب فن الحكومة. وقد كان أرتا شاسترا مؤلفا وموسعا ومنقحا بين القرن الثاني قبل الميلاد والثاني في القرن الثالث الميلادي. تم اكتشافه في عام ١٩٠٥ من قبل شمساستري (R. Shamasastry)، الذي نشره في عام ١٩٠٩.

١٠. بوذاوشاريتا

بوذاوشاريتا (Buddhacarita) عبارة عن ملحمة عظيمة تروي حياة بوذا - من ولادته إلى السكينة. وقد كتبها أشوكا (Asvogosha)، الشاعر البوذي في القرن الثاني الميلادي. تشتهر هذه الملحمة بالتفاصيل المتعلقة بحياة بوذا والتي يمكن أن تدعمها السجلات التاريخية لتلك الفترة. تتكون هذه الملحمة من ٢٨ مقطع.

الخاتمة

يعتقد أن الأدب الهندي هو أقدم أدب في العالم. والأدب الهندي أدرج خلال هذا الوقت إلى الفن إلى حد كبير. تم تصوير الآلهة التي صورت في القصة كانت كبيرة. وتطور الأدب السنسكريتي الكلاسيكي بسرعة خلال القرون القليلة الأولى من الألفية الأولى قبل الميلاد، كما فعل أدب سانجام التاميلي، والبالي في العصور الوسطى، والأدب في الكانادا والتيلوجو في القرنين التاسع والحادي عشر على التوالي. وهذه الورقة تضيئ الى ماهية وملامح النصوص الهندية الكلاسيكية.

المصادروالمراجع

١. http://ar.theasian.asia/archives/33345

٢. https://ar.wikipedia.org/wiki

٣. https://www.marefa.org

٤. https://stringfixer.com/ar/Indian_classical

٥. https://mimirbook.com/ar/0477b281f8f

العروبة في شعر محمّد العيد آل خليفة

الدكتور/عبد الجليل يم[١]

الملخص

للجزائر كما للأمم تراث أدبي ومجد علمي يربطان حاضرها بماضيها فتبنى عليه مستقبلها، وهذا الذي صنعه علماؤها ومبدعوها، ومنهم من لهقصب السبق في الشعر الجزائري الحديث، هو الشاعر محمد العيد آل خليفة، وقد احتل مكانة مرموقة بإبداعاته الغزيرة، وقد أجاد في تناول قضية العروبة بصدق فنه ومشاعره، فعدّ بذلك صوتا جوهريا في تناول قضية الهوية العربية.

محمد العيد آل خلفية – حياته وشعره:

محمد العيد آل خليفة أديب وشاعر جزائري، ولد في ٢٨ أكتوبر ١٩٠٤ في بلدية عين البيضاء (Ain Bei-da) بولاية أم البواقي (Oum El Bouaghi Province) في الجزائر في عائلة دينية محافظة متصوفة التي تنتمي إلى الطريقة التيجانية الصوفية، وكان نجلا شهيرا لأب صالح صوفي، فترعرع في الجو المليئ بالتقى والتقشف، ونشأ على الحب الخالص للإسلام والأخلاق الفاضلة، وكان متحمّسا بهويته الدينية والعربية، ونلاحظ ذلك في أشعاره، وكانت نشأته نشأة دينية، وكان شغوفا بالعلوم الشرعية والتراث العربي منذ الصغر، وكان من مشايخه في الجزائر في الصغر الشيخ علي بن إبراهيم العقبي، وتوجّه إلى تونس لمواصلة دراسته في جامع الزيتونية، وعاد إلى الجزائر وأكمل مسيرته العلمية على يد علمائها ومشايخها منهم الشيخ المختار اليعلاوي.

وقد تقلّد عدّة مناصب وذلك بسبب ثقافته وتضلّعه في العلوم المتعددة، وقد تولّى عدّة مناصب إدارية في المدارس مثل: جميعة الشبيبة الإسلامية في مدينة الجزائر سنوات ١٩٢٨- ١٩٤٠م، وكان مديرا لها عام ١٩٣١م، وكذا مدرسة التربية والتعليم في باتنة (Batna) سنوات ١٩٤٠-١٩٤٧م ومدرسة العرفان بعين مليلة سنوات ١٩٤٧-١٩٥٤م، وقد التحق بجميعة العلماء المسلمين الجزائريين منذ تأسيسها، وكان شعره آلية للدفاع من أجل مبادئها، وأصبح شعره السجل التاريخي لها، وقد شارك في حركة الانبعاث الفكري بالتعليم والنشر في الصحف والمجلات مثل مجلات صدى الصحراء والمنقذ والإصلاح والشهاب، وهو يعتبر أحد أبرز العلماء والمدرسين والشعراء الجزائريين الذين كافحوا الاحتلال، وخدموا دينهم وأمتهم ووطنهم.

وكان مولعا بالشعر والأدب، ويتحمس في ذلك، وهو يقول في قصيدته عن ذاك، وهي قصيدة جميلة تحت عنوان 'الشعر والأدب' مفتخرا بهويته العربية وتمكنه في الأدب والشعر:

أنا ابن جدي وقومي السادة العرب وحرفتي ما حييت: الشعر والأدب
أنفقت وقتي في شعر وفي أدب لا شغل عندي إلا: الشعر والأدب
ولا غذاء به أحيا بغير طوى منعم البال إلا: الشعر والأدب
أسالم الناس في عيشي فإن عمدوا إلى خصامي فسيفي: الشعر والأدب

١. أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية، كلية فاروق، كاليكوت

وإن دعاني قومي أن أناصرهم فعدتي في انتصاري: الشعر والأدب
قل للملوك مقالا من أخي ثقة دليله في الحياة: الشعر والأدب
لا ملك لا عز فيما تفخرون به ما الملك والعز إلا: الشعر والأدب
وقل لمن هام في مال له لبد ما المال ويحك إلا: الشعر والأدب
وقل لمن هام في حب الجمال لقد أخطأت إن الجمال: الشعر والأدب
وقل لمن هام في رشف المدام هوى ما نشوة الخلد إلا: الشعر والأدب
ورب عاتبة لي في سبيلهما تقول لي قد شجاك: الشعر والأدب
ترجو بقائي بلا شعر ولا أدب وما حياتي إلا: الشعر والأدب
فقلت عفي وكفي عن معاتبتي ما نعمة العيش إلا: الشعر والأدب
لقد فنيت غراما فيهما فهما روحي وما أنا إلا: الشعر والأدب

وقد سجن مرتين لنضاله ضد الاستعمار في سجن المدينة وفي سجن الكدية بقسنطينة (Constantine)، وأطلق سراحه بعد ذلك فجعلوه حبيسا في زنزانة في فترة الثورة، واصل محمد العيد مجهوداته من أجل الحرية والتبشير بالنصر والاستقلال والدعوة إلى دعم الثورة، فألف قصيدة 'من جبالنا طلع صوت الأحرار'، لعيلن أنه في حالة وجه لوجه أمام الاستعمار، وأما بعد الاستقلال فقد لازم بيته زاهدا في الدنيا قليل المشاركة في الفعاليات السياسية والثقافية، وتوفي سنة سنة ١٩٧٩م ودفن في بسكرة (Biskra).

دراسة عن أشعار محمد العيد آل خليفة

المتتبع لأشعاره يلاحظ أن شعر محمد العيد ساير نهضة الجزائر الحديثة وواكبها، فهو قلبها الخافق ولسانها الناطق وترجمانها الصادق، وكان شعره ملتزما بأربع مبادئ، هي: الإسلام، الوطن، العروبة، الإنسانية، ومن أبياته في الدعوة إلى الثورة على الاستعمار:

قم يا ابن البلاد وانهض بلا مهل فقد طال القعود
وقل يا ابن البلاد لكل لص تجلّى الصبح وانته الرقود
فخفض يا ابن الجزائر في المنايا تظللك البنود أو اللحود

آراء العلماء والنقاد في شعره:

أطلق عليه الشيخ عبد الحميد بن باديس لقب 'أمير شعراء الجزائر'، وقال فيه الشيخ البشير الإبراهيمي: «الأستاذ محمد العيد شاعر الشباب وشاعر الجزائر الفتاة، بل شاعر الشمال الأفريقي بلا منازع»[١]، وقال فيه الشيخ الإبراهيمي أيضا: «رافق شعره النهضة الجزائرية في جميع مراحلها، وله في كل نواحيها وفي كل طور من أطوارها، وفي كل أثر من آثارها القصائد الغر والمقاطع الخالدة، شعره لو جمع سجل صادق لهذه النهضة وعرض رائع لأطوارها[٢]».

وقال عنه الأمير شكيب أرسلان: «كلما قرأت شعرا لمحمد العيد الجزائري تأخذني هزة طرب تملك على

١. محمد الطيب، محمد العيد آل خليفة الأديب الشاعر المناضل، مقالة في موقع عبد الحميد بن باديس: www.binbadis.net، تاريخ النشر: ٢٠٢٠/٨/٤م، تاريخ الاسترجاع: ٢٠٢٢/٠٩/١٠م.
٢. المرجع السابق

جميع مشاعري»، ويقول الشيخ الإبراهيمي محلّلا عن شعره: «هو شاعر مستكمل الأدوات، خصيب أذهن، رهب الخيال، متسع جوانب الفكر طائر اللمحة، مشرق الديباجة، متين التركيب، فحل الأسلوب، فخم الألفاظ، محكم النسج ملتحمه، مترقرق القوافي، لبق في تصريف الألفاظ وتنزيلها في مواضعها، بصير بدقائق استعمالات البلغاء، فقيه محقق في مفرادات اللغة علما وعملا، وقاف عند حدود القواعد العلمية، محترم للأوضاع الصحيحة في علوم اللغة كلها، لا تقف في شعره كلى كثرته على شذوذ أو رخصة أو تعقيد في تركيب أو معاظلة في أسلوب، بارع الصنعة في الجناس والطباق، وإرسال المثل والترصيع بالنكت الأدبية والقصص التاريخية[١]». وقد قسّم الأستاذ أحمد بوعدو وهو أول من جمع شعر أستاذه محمد العيد في ديوان ضخم وقسّم قصائد الشاعر إلى الأدبيات والقوميات والفلسفيات والاجتماعيات.

العروبة في أشعار محمد العيد آل خليفة

العروبة في مفهومها المعاصر هي الإيمان بأن الشعب العربي شعب واحد تجمعه اللغة والثقافة والتاريخ والجغرافيا والمصالح وبأن دولة عربية واحدة ستقوم لتجمع العرب ضمن حدودها من المحيط إلى الخليج[٢]، والعروبة في الأساس هوية وليست برنامجا سياسيا أو نهجا سياسيا وإن استلزم الدفاع عن الهوية العمل السياسي فشكّل ما نعرفه بالقومية العربية[٣].

والأبعاد الأربعة التي نلاحظها في شعره هي: البعد الاجتماعي والبعد الإسلامي والبعد العربي والبعد الوطني، والانتماء للعروبة لدى الشاعر محمد العيد آل خليفة جزء أساسي من الانتماء القومي الأشمل للأمة الإسلامية كما أن لا عروبة من دون الإسلام، ويقول:

نبني العروبة من جديدة قلعة من حولها قصف المدافع يرعد
فلتحي وحدتنا بها في منعة ومن المحيط إلى الخليج تمدّد
وليحي في ظل العروبة ودّنا ملء القلوب وعهدنا المتأبد

ونلاحظ أيضا ذلك الإصرار القوي على هذا التلاحم بين العروبة والإسلام عند محمد العيد آل خليفة الذي آمن بضرورة مسح الحدود الجغرافية المخلقة بين أبناء الأمة العربية ثم الإسلامية:

وطن العروبة كله وطن لنا في مصر أو بغداد أو في الشام
فتحي دولة شعبنا عربية عرباء، إسلامية الأحكام

كما يعلن الشاعر إيمانه بضرورة الوحدة الكحتمية تاريخية لمغادرة التخلف نحة العزة والمجد والسؤدد:

ومن مطلبي جمع العروبة كلها على وحدة عظمة بشرق ومغرب

ويؤكد أيضا في مواضع مختلفة من الديوان هذا الانتماء لأمة عربية إسلامية، بتكامل العنصرين لا تنافرهما في مثل قوله:

يسألني عن نسبي كل واقد علي وعن شعري وعن كنه مطلبي

١. المرجع السابق
٢. عبد العزيز الدوري،. الجذور التاريخية للقومية العربية. مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت. ص ٢٤، ٢٠٠٨م.
٣. زياد حافظ، مقالة 'في معنى العروبة' في موقع www.raialyoum.com ، تاريخ النشر: غير موجود، تاريخ الدخول ٢٠٢٢/٠٩/١٠م.

فقلت لهم أرض العروبة موطني وديني هو الإسلام والقدوة النبي

وكان الشاعر محمد العيد مصلحا صوفيا داعيا إلى الإصلاح ناشرا للمفهوم الصحيح للإسلام ومقاوما للانحراف، ولا عجب في ذلك فقد عرفت هذه الثنائية بين الصوفية والإصلاح، وبين العمل نماذج غارقة للتصوف الحقيقي، وكان يقول: «كتاب الله وسنة رسوله، هذا القول هو شعاري في صوفيتي»، ولصوفيته مرجعية معرفية تترى وفق تعاليم الإسلام، ومن زهدياته:

هجدت فضاع حظي في جهودي ولم أقض اللبانة من وجودي
ردقت فضاع في الأحلام عمري كذاك تضيع أعمار الرقود

ومن قصيدة 'جمال الريف':

والحقل محتقل الأشجار من طرب تشدو وتهفو به ورق وأوراق
والنهر في جنبات السفح منبسط والماء في جنبات النهر رقرارق
وفي الكروم عناقيد تحف بها كأنها نحور الغيد أطواق
وفي المزارع قطعان منوعة ضأن ومعز وأبقار وأنياق
تشدو الرعاة بسوق للغناء بها وللغناء كما للشعر أسواق
لهم مزامير بالألحان صادحة كأنها في صدى الوديان أبواق
والوحش سلوان في الغابات منطلق والطير جذلان في الأوكار رقراق

الخاتمة:

محمد العيد آل خليفة شاعر برز من صلب بيئة عربية إسلامية فهو شخصية متميزة في مسيرة الشعر الحديث، من خلال القضايا التي عكسها شعره والموضوعات التي تناولها وحسه الخاص والعام وطنيا وقوميا أولا، وإنسانيا بعد ذلك بصفة أشمل، فكان شعره نتاج مرحلة هامة من نهوض الحركة الوطنية عموما، والحركة الإصلاحية خصوصا، تفاعل معها وعبر عنها تعبيرا حيا صادقا فجسد شعره جوانب مختلفة مما كان يحدث في المجتمع حتى مطلع السبعينات من قضايا وانشغالات وآمال، إن محمد العيد آل خليفة من أكثر الشعراء الجزائريين الذين اهتموا بالقضايا الاجتماعية والإنسانية والوطنية في العصر الحديث، ولهذا جاء شعره نتيجة اقتناعه وشعوره بالمسؤولية إزاء مجتمعه، وكان شعر محمد العيد آل خليفة مرآة صافية عكست عواطف وحياة الشعب وكفاحه، كما كان لسانا صادقا عبر فيه عن آلام الشعب وطموحه وكان الشاعر ثورة على الحياة الاجتماعية التعسفية، وثورة على الجهل والفقر، وثورة على عدوّ الجزائر، ويتضح هنا كان محمد العيد شاعر المبدأ والدفاع عن الهوية عربية كانت أو دينية، وكان يؤسس بشعره مبدأ العروبة قائلا بأن الشعب العربي شعب واحد تجمعه اللغة والثقافة.

المصادروالمراجع:

١. مقدمة 'ديوان محمد العيد آل خليفة'، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر – ٢٠١٠م.
٢. 'ديوان محمد العيد آل خليفة'، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر – ٢٠١٠م.
٣. البعد الاجتماعي في الشعر الجزائري، أطروحة جامعية لطالبتين: ميراد بركاهم وقنور صليحة تحت إشراف

يحياوي حفيظة، المركز الجامعي، أكلي محند أولحاج، البويرة، السنة الجامعية ٢٠١١-٢٠١٢.

٤. محمد العيد آل خليفة – رائد الشعر الجزائري الحديث، د. أبو القاسم سعد الله، دار المعارف، الجزائر، ط -١، ١٩٩٨م.

٥. د. إبراهيم نويري، مقالة 'محمد العيد آل خليفة شاعر المبدأ والدفاع عن الهوية'، في موقع www.alarabi.nccal.gov.kw، تاريخ النشر: غير موجود، تاريخ الدخول: ٢٠٢٢/١٠/١٠م.

الدراسات الأسلوبية و أبعادها

الدكتور/أسامة أي وي[١]

الدكتور/محمد رياض كي[٢]

الملخص

لا مشاحة في أن للأدب أربعة عناصر؛ العاطفة والخيال والمعاني والأسلوب كماأن هناك عديدة من أشكال الدراسات وأنواعها كدراسة وصفية وتحليلية ونقدية ومقارنة وأسلوبية وما إليها والباحث ههنا بصدد الأسلوب والأسلوبية يحاول أن ينم عن مفاهيم كليهما وطواياهما و خفاياهما حرصاعلى أن يكون باحثو اللغة والأدب على بصيرة بالغة الدقة وعلى دراية فائقة لما علم بأن عدة دراسات تمت في الأدب ولا تزال تتم هي عن أساليب الأدباء وتنوع أشكالهم.

الكلمة المقابلة للأسلوب في اللغة الأوروبية هي styleمعناه طريقة الكلام مأخوذة من الكلمة اللاتينية stylus بمعنى عود من الصلب يستخدم في الكتابة ثم أخذت تطلق على طريقة التعبير عند الكاتب[٣]بينما اللغة الفرنسية القديمة وردت فيهاكلمة Stile وتوسع الفرنسيون في المعنى ففي القرون المتوسطة أخذت stile معنى طريقة وجود، عيش، تصرف، تفكير وقيل إن الأسلوب يستعمل للدلالة على الطرائق المختلفة التي يسلكها كل إنسان في أفعاله[٤]

أما كلمة أسلوبفلها معاني شتى مع اتحاد بعضها مع بعض إلا أنه يوجد أدني فرق في بعضها فهي تعني لغةً الطريق[٥]كما يقال: سلكت أسلوب فلان في كذا: طريقته ومذهبه يقال أخذنا في أساليب من القول: فنون متنوعة[٦]ومعناه على ما في لسان العرب الطريق والوجه والمذهب[٧]وأراد به الزمخشري: سلكت أسلوب فلان: أي طريقته وكلامه على أساليب حسنة[٨] عرفه ابن قتيبة بأنه طريقة التعبير وطريقة العرب في النظم[٩] ويقول عبد القاهر الجرجاني هو الضرب من النظم والطريقة فيه[١٠] في حين يقول حازم القرطاجني الأسلوب صورة التعبير أو هيئته التي تحصل عن التأليفات المعنوية والنظم هيئة تحصل عن التأليفات اللفظية[١١] كما عرف به عند العلوي

١ . باحث الدكتوراه، كلية أم إي أس، ممباد

٢ . مشرف وأستاذ مساعد في كلية كي وي أم، ولانجيري

٣ محمد عبد المطلب، قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني، الشركة المصرية العالمية للنسر، لونجمان، ط١، ١٩٩٠م، ص١٩

٤. الدكتور علي جواد الطاهر، مقدمة في النقد الأدبي، ط١، ١٩٧٩، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ص ٣٠٦

٥. القاموس المحيط والمعجم الوسيط

٦. المعجم الوسيط

٧. لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٩م، ج٢، ص٣١٩

٨. الزمخشري، أساس البلاغة، دار الفكر، ١٩٨٩، ص٣٠٥

٩. الشعر والشعراء، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتينة، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط٢، دار المعارف، القاهرة، ج١، ص٧٥

١٠. دلائل الإعجاز، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، ط٣، مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٩٢م، ص٤٦٩

١١. منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني، ط٣، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٦م، ص٣٦٤

بمعنى العبارة والتفاوت فيه[١]

إقرارا بأن تحديد تعريف الأسلوب اصطلاحا صعب جدا لكثرة التعريفات المختلفة عند الأدباء والنقاد كما قيل إن تعريفات الأسلوب زادت على عشرين تعريفا[٢] ولكنا نحاول التحديد منها وفق ما عثرت عليهويعدعبد القاهر الجرجاني مؤسس علم البلاغة أول من استعمل هذه الكلمة استعمالا دقيقا في حديثه عن الاحتذاء حيث قال «واعلم أن الاحتذاء عند الشعراء وأهل العلم بالشعر وتقديره وتمييزه أن يبتدئ الشاعر في معنى له وغرضا أسلوبا، والأسلوب الضرب من النظم والطريقة فيه فيعمد شاعر آخر إلى ذلك الأسلوب فيجيء به في شعره بمن يقطع أديمه نعلا على مثال نعل قد قطعها صاحبها فيقال قد احتذى على مثاله[٣]

يقول علي الجارم ومصطفى أمين في البلاغة الواضحة إن الأسلوب هو المعنى المصوغ في ألفاظ مؤلفة على صورة تكون أقرب لنيل الغرض المقصود من الكلام وأفعل في نفوس سامعيه[٤] ويعرفه برند شبلنر بأنهالتركيب المتآلف في العمل الأدبي كما يمكن وصفه بأنه خاصة مشتركة في العمل الأدبي المتناسق[٥]ومن النقاد من حدده بأنه طريقة الكتابة أو طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها تعبيرا عن المعناي قصد الإيضاح والتأثير[٦]أما إصطلاحا فهو طريقة الكتابة أو طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها تعبيرا عن المعناي قصد الإيضاح والتأثير[٧].

يتجلى مما ذكر من التعريفات أن الأسلوب طريقة الأديب الخاصة به يعبر بها عما يجول في خاطره ويدور في خلده ويخطر على باله ويلعب فيه اللفظ والمعنى دورا لا يستهان به كما يشير إليه الدكتور عبد العزيز عتيق حين يقول: إن الأسلوب خلق مستمر: خلق الألفاظ بواسطة المعاني وخلق المعاني بواسطة الألفاظ ومن ذلك نرى أن الأسلوب ليس هو المعنى وحده ولا اللفظ وحده وإنما هو مركب فني من عناصر مختلفة يستمدها الفنان من ذهنه ومن نفسه ومن ذوقه تلك العناصر هي الأفكار والصور والعواطف ثم الألفاظ المركبة والمحسنات المختلفة[٨]

يؤيده ما يعرّفه البعض بقولهم إن الأسلوب شكل ومضمون ثم أطالوا في تحدثهما قائلين "إن الشكل هو ما يتراءى للقارئ أو السامع من النص الأدبي هو مظهر النص وتدخل فيه اللفظة المفردة الألفاظ المركبة في جمل وفقر وما ينتج عن التركيب من إيقاع وموازنة هارمونية، البناء العام الذي تتصل حركاته وموجاته فترتبط الفقرة بالفقرة في تسلسل واطراد، الوزن والقافية.... وما إلى هنالك من أمور النحو والصرف والبلاغة والعروض

أما المضمون فيشمل ما وراء الوجه المرئي من النص الأدبي وفيه العاطفة مثل الحب والكره وما بينهما من فرح وغيرة وحسد وغضب وانتقام وخوف وحزن وما يتصل بذلك من انفعالات وحالات نفسية..... وفيه كذلك الأفكار والآراء والعقائد ووجهات النظر مما يراه الأديب في الحياة والعيش والنظم والخير والشر[٩]

١. الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة العلوي، دار الكتب الخدوية، القاهرة، ١٩١٤م، ج١، ص١٥٨

٢. بيير جيرو، الأسلوبية، ترجمة منذر العياشي، ط٢، مركز الإمناء الحضاري، حلب، ١٩٩٤م، ص١٠

٣. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، شرحه وقدم له ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٢م ص٤٢٨

٤. علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة: البيان والمعاني والبديع، دار المعارف، لبنان، ص ١٢

٥. برند شبلنر، علم اللغة والدراسات الأدبية، ترجمة محمود جاد الرب، الدار الفنية للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٩٨٧م، ص٥٣

٦. أحمد الشائب، الأسلوب، ٤٤

٧. أحمد الشائب، الأسلوب، ٤٤

٨. الدكتور عبد العزيز عتيق، في النقد الآدبي، ط٢، دار النهضة العربية، بيروت، ص١٤٦-١٤٧

٩. الدكتور علي جواد الطاهر، مقدمة في النقد الأدبي، ط١، بيروت، المؤسسة العربية للدراسة والنشر، ص ٣٠٨

تعدد مفهوم الأسلوب

وفي العصر الحديث حدد علماء الأسلوب الغربيين مفهوم الأسلوب بناء على تحديد أطراف العملية الإبداعية وبالتالي تتعدد مفهوماته:

- بالنظر إلى المرسل أو المخاطب عرفه «بوفون» أن الأسلوب هو الرجل نفسه وهو يعتبر الكاشف عن الخواص المبرزة للطابع الشخصي للكتاب ويبين ملامح التعبيرية المميزة لهم وهكذا يدل الأسلوب على اختيارات المرسل اللغوية التي تشي بشخصيته
- بالنظر إلى النص ذاته أو الرسالة: ركزت تعريفاتهم على الخواص النوعية المتمثلة في النص وتعتبر الأسلوب انحرافا عن القواعد الجارية المستوى العادي أو المألوف في الكلام وتتشكل السمات الأسلوبية من مجموع الملامح والخواص والانحرافات.
- بالنظر إلى المتلقي أو المرسل إليه: وتربط بعض التعريفات الأسلوب بالطرفين السابقين, غير أنها ترد الخواص الأسلوبية إلى ردود أفعال المتلقي، وبهذا فإن الملامح الأسلوبية للنص تتحدد من خلال إخضاع نتائج استجابات المتلقي للتحليل والتفسير. إن هذه التعريفات تعتبر المتلقي الطريف إلى معرفة الملامح الأسلوبية وبعبارة آخرى فإن هذه التعريفات تعتمد على القارئ النموذجي عند «ريفاتير» وتعتبر الخطاب عامل إثار ة يحرك نوازع المتلقي[١]

ينقسم الأسلوب من حيث كونه نشاطا عقليا ثقافيا إلى ثلاثة أقسام

- الأسلوب الخطابي: ويعتمد على العبارات الجزلة القوية والجمل الرصينة والنبرة المؤثرة ويحسن فيه التكرار والتنويع في حركة الإلقاء
- الأسلوب العلمي: ويقوم على قوة الحجة والبراعة في الإقناع وترتيب الأدلة والقوة في دفع الشهوات وإدحاض حجة الخصم
- الأسلوب الأدبي: ولا بد له من العبارة السلسلة وجمال التصوير ورقة التعبير ويمس هذا العواطف والأحاسيس

أن هناك أسسا ومرتكزات لا ينبغي إغفالها في عملية التحليل الأسلوبي. هذه المرتكزات فيما يلي:

١. اقتناع الباحث الأسلوبي أن النص جدير بالتحليل وهذا لا بد أن يكون قبل القيام بعملية التحليل

٢. ملاحظة تجاوزات نصية وتسجيلها أثناء التحليل بهدف الوقوف على شيوع الظاهرة أو ندرتها وذلك بتجزيء النص ومن ثم تحليله لغويا

٣. الوصول عقب التحليل إلى تحديد السمات والخصائص الأسلوبية الخاصة بالنص. ويتم ذلك بطريقتين:

١) حصر السمات الجزئية الناتجة عن التحليل واستخلاص النتائج العامة منها للوصلول إلى الكليات انطلاقا من الجزئيات

٢) تحليل البنية اللغوية للنص[٢]

١. سعد أبو الرضا، النقد الأدبي الحديث أسسه الجمالية ومناهجه المعاصرة رؤية إسلامية، ص ١١١-١١٣

٢. الأسلوبية: مدخل نظري ودراسات تطبيقية، سليمان فتح الله، ط١، الدار الفنية للنشر، القاهرة، ١٩٩٠م، ٥٣

وقد عرف العرب أربعة أنواع من الأساليب

١. الأسلوب الجزل: الجزل في اللغة القوي والكثير من كل شيء ورجل جزِلُ الرأي أي جيده وما أبين الجزاله فيه أي ما أجود رأيه

ولعل أبا هلال العسكري خير من عرض للأسلوب الجزل فهو يعرفه بقوله: أماالجزل والمختار من الكلام فهو الذي تعرفه العامة إذا سمعته ولا تستعمله في محاوراتها.ويعين صفاته ويقرر أنه أجود الأساليب عنده وذلك إذ يقول: وأجود الكلام ما يكون جزلا سهلا لا ينغلق معناه ولا يستبهم مغزاه ولا يكون مكدودا مستكرها ومتوعرا ومتقعرا ويكون بريئا من الغثاثة عاريا من الرثاثة[١]

٢. الأسلوب السهل: وهو ما خلا من ألفاظ الخاصة وارتفع عن ألفاظ السوقة وبعبارة أخرى هو الأسلول الذي يجمع بين حسن المعنى وسهولة اللفظ وعبر عنه أحد نقاد العرب بأنه هو الحسن المعنى السهل اللفظ القليل النظير المطمع الممتنع البعيد مع قربه الصعب في سهولته[٢]

٣. الأسلوب السوقي: وهو ما كان المعنى فيه صوابا واللفظ باردا وفاترا والفاتر شر من البارد فمثل هذا الأسلوب يكون مهلهلا دونا ومستهجنا ملفوظا ومذموما مردودا[٣]

٤. الأسلوب الحوشي: وهو ما تغلب عليه الألفاظ الغريبة الحوشية أو الوحشية تلك التي تحجب جوهر المعنى وتنزلق به إلى الغموض والإبهاموعامة نقاد العرب يستهجنون الأسلوب الحوشي ومنهم الجاحظ الذي يقول: وكما لا ينبغي أن يكون اللفظ عاميا وساقطا سوقيا فكذلك لا ينبغي أن يكون غريبا وحشيا إلا أن يكون المتكلم بدويا أعرابيا[٤]

نخوض بعد هذا في بيان اتجاهات أسلوبية وتلك ثلاث كما يلى:

١. الأسلوبية التعبيرية أو الوصفية: رائد هذا الاتجاه الأسلوبي هو شارل بالي (Charles Bally) وأولى الاهتمام البالغ بالطابع العاطفي للغة في دراسته فالأسلوبية عنده هي العلم الذي يدرس وقائع التعبير اللغوي من ناحية محتواها العاطفي أي للتعبير عن واقع الحساسية الشعورية من خلال اللغة وواقع اللغة عبر هذه الحساسية[٥]

٢. الأسلوبية الفردية: وهي تسمى بأسلوبية الكاتب وبالأسلوبية التكوينية أيضا تولد هذا الاتجاه على يد الألماني ليوسبيتزر (Leospitzer)

٣. الأسلوبية البنيوية: البنيوية أو الهيكلية إحدى المناهج البحث والدراسة وهي طريقة اعتمدت جديدة في مباشرة النص الأدبي تسعى إلى إبراز خصائصه البنيوية بصورة علمية موضوعية وهي تعد اليوم من أهم

١. الدكتور عبد العزيز عتيق، في النقد الأدبي، ط٢، ١٩٧٢، دار النهضة العربية، بيروت،ص ١٥٢
٢. كتاب الصناعتين، ص٦١
٣. الدكتور عبد العزيز عتيق، في النقد الأدبي، ط٢، ١٩٧٢، دار النهضة العربية، بيروت،ص ١٥٥
٤. البيان والتبيين، ج ١، ص ١٤٤
٥. صلاح فضل، علم الأسلوب: مبادئه وإجراءاته، ص ١٧

المناهج الأسلوبية[١]

وقد أكثر نقاد العرب من العناية بقيمة الأسلوب وغالى بعضهم في هذا الاهتمام حتى جعلوا للأسلوب فضلا كثيرا من المعنى لأن النفوس تتأثر بنظم الكلام وصياغته تأثرا بالغا منهم الجاحظ إذ يخاصم من آثر المعنى على الأسلوب بقوله: والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي والمدني وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولة المخرج وكثرة الماء وفي صحة الطبع وجودة السبك[٢]

وهذا هو موقف أبي هلال العسكري من الأسلوب حين يقول:على أن المعاني مشتركة بين العقلاء، فربما وقع المعنى الجيد للسوقي والنبطي والزنجي وإنما تتفاضل الناس في الألفاظ ورصفها وتأليفها ونظمها[٣] وقال أيضا في موضع آخر على غرار ما قال الجاحظ في الفقرة السابقة.

الخاتمة

ويتضح مما أسلفنا الإشارة إليه أنه ليس للأسلوب تعريف معين ومحدد بل يتغير في عصر دون عصر وعند أديب دون غيره ويمكن تحديده بأنه طريقة الأديب أو الكاتب الخاصة به التي تطبع بطابعه ويختلف أسلوب كاتب عن أسلوب غيره تمام الاختلاف لأن الأسلوب امتداد من بيئات الأديب التي يعيش فيه ويختلط بما اختلج في نفسه من عواطف وأحاسيس وانفعالات.

المصادروالمراجع

١. محمد عبد المطلب، قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني، الشركة المصرية العالمية للنسر، لونجمان، ط١، ١٩٩٠م

٢. الدكتور علي جواد الطاهر، مقدمة في النقد الأدبي، ط١، ١٩٧٩، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت

٣. لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٩م

٤. الزمخشري، أساس البلاغة، دار الفكر، ١٩٨٩الشعر والشعراء، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتينة، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط٢، دار المعارف، القاهرة

٥. دلائل الإعجاز، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، ط٣، مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٩٢م

٦. منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني، ط٣، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٦م

١. الهادي جلطاوي، مدخل إلى الأسلوبية: تنظير وتطبيقا، ص ٦٨

٢. الجاحظ، كتاب الحيوان، ج ٢، ص ١٢١

٣. أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، ص ٥٨

٧. الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة العلوي، دار الكتب الخدوية، القاهرة، ١٩١٤م

٨. بيير جيرو، الأسلوبية، ترجمة منذر العياشي، ط٢، مركز الإمناء الحضاري، حلب، ١٩٩٤م

٩. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، شرحه وقدم له ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٢م

١٠. علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة: البيان والمعاني والبديع، دار المعارف، لبنان

١١. برند شبلنر، علم اللغة والدراسات الأدبية، ترجمة محمود جاد الرب، الدار الفنية للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٩٨٧م

١٢. أحمد الشائب، الأسلوب، ط ٨، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٩١م

١٣. سعد أبو الرضا، النقد الأدبي الحديث أسسه الجمالية ومناهجه المعاصرة رؤية إسلامية، ط٣، ٢٠١٦

١٤. سليمان فتح الله، الأسلوبية: مدخل نظري ودراسات تطبيقية، ط١، الدار الفنية للنشر، القاهرة، ١٩٩٠م،

١٥. الدكتور عبد العزيز عتيق، في النقد الأدبي، ط٢، ١٩٧٢، دار النهضة العربية، بيروت

١٦. أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، ط١، دار أحياء الكتب العربية، ١٩٥٢

الخلفية السياسية الاجتماعية والثقافية لمسلمي ولاية كيرالا

الدكتور/ جعفر ام[١]

الملخص

بلاد كيرالا إحدى ولايات الهند، على بحر العرب في الجهة الجنوبية، وتتميز عن ولاياتأخرى بموقعها الجغرافي ومكانتها المرموقة في التاريخ. أغلبية أهل كيرالا هم الهنادكة ثم المسلمون والمسيحيون، ويوجد أيضا اليهود وأصحاب بوذا وجينا وغيرهم. وكل منهم مع اختلاف الدين يختلطون فيما بينهم في حياتهم الاجتماعية ويعيشون مع الود والأخوة. وبذلك صارت ثقافة كيرالا ولغتها ممزوجة ومتراكمة من ثقافات شتى وتقاليد متنوعة. حينما بزغ الإسلام في مكة كان في كيرالا جماعة تتصلون بالعرب. وتأثر الإسلام فيهم كما تأثر بين العرب. والعلاقة التجارية والصلة الاقتصادية لكيرالا مع العرب سببت في وجود المسلمين في كيرالا. واستيطان العرب في كيرالا وأخلاقهم ومعاملاتهم مع المواطنين أدت إلى تسريع نمو الإسلام في هذه المنطقة.

صلة المليبار بالأمم القديمة

شهدت ولاية كيرالا من حيث موقعها على شاطىء بحر العرب غدو ورواح مراكب لا تحصى ولا تقدر من أقطار مختلفة مثل الجزيرة العرب واليونان والروم وما إلى ذلك حسب التقارير التاريخية، ومما يدل على قدم العلاقات بين العرب والهند خاصة على كيرالا ما يحكيه الإنجيل من أن السفن التجارية كانت تصل إلى 'أُوفِيرَا' مرة في كل ثلاث سنوات في عهد نبي الله سليمان عليه السلام. وتحمل من هنا الذهب والفضة والمجوهرات والعاج والقردة والطاؤوس وغيرها. وقد أثبت المؤرخون الهنديون ومن جملتهم الدكتور تارا شاند: «أن 'أوفيرا' المذكورفي التوراة إنما هي بِيفُورْ (Beypore) القريبة من مدينة كاليكوت في جنوب الهند»[٢]. وتتابعت هذه التجارة بيد الفينيقيين واليونان والصابئين وأهل مصر ثم انقضت بأيدى العرب. «فمراكبهم الكبيرة كانت تجلب المنتجات الهندية وتسير إلى يونان والروم والصين وسيلان بطريق المعبر بجنوب الهند».[٣]

ولكيرالا صلة تجارية أيضا مع الفرنسا واليونان والرومان والصين. وقال ابن بطوطة إنه رأى الصيني في ميناء كُولَمْ(Koyilandi-Quilon):»ثم سافرنا منها إلى مدينة قاليقوط (كاليكوت)، وهي احدى البنادر العظام ببلاد المليبار يقصدها أهل الصين والجاوة وسيلان والمهل وأهل اليمن وفارس ويجتمع بها تجار الآفاق ومرساها من أعظم مراسي الدنيا، وسلطانها كافر يعرف بالسامري، ..... وأمير التجار بها إبراهيم شاه بندر من أهل البحرين، فاضل ذو مكارم يجتمع إليه التجار ويأكلون في سماطه، وقاضيها فخر الدين عثمان، فاضل كريم، وصاحب الزاوية بها الشيخ شهاب الدين الكازروني نفع الله به، وبهذه المدينة الناخوذة مثقال الشهير الاسم، صاحب الأموال الطائلة والمراكب الكثيرة لتجارته بالهند والصين واليمن وفارس».[٤]

وقد ذكر بعض المؤرخين ان التجار الفرس والعرب استقروا في القرن السابع وما بعده بعدد كبير على

١. أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية، كلية أنوار الإسلام العربية للبنات، مونغام، ملابورام، كيرالا، الهند

٢. الدكتور تاراشند: تأثير الإسلام في الثقافة الهندية (الإنجليزية)، ص ٣٨.

٣. نفس المرجع، ص ٣.

٤. محمد سعيد الطريحي: في تقديمه وتحقيقه وتعليقه لكتاب تحفة المجاهدين في أحوال البرتغاليين لزين الدين المخدوم، ص ١٣٧.

السواحل الغربية من الهند متفرقين بأماكن مختلفة وتزوجوا النساء الوطنيات، وكانت جالياتهم في مليبار خاصة كبيرة هامة.

وفي العصر القديم كان العرب وسطاء في التجارة بين الهند وبين بلاد الغرب مثل الروم واليونان. وهم يصدرون المحصولات من المليبار إلى سواحل جزيرة العرب، ثم ينقلونها إلى سوريا ومصر. ويشتري الغربيون تلك المحصولات ثم يصدرون إلى بلادهم.

وكانت هذه العلاقة موجودة حية في عهد نبينا المصطفى صلى الله عليه وسلم وعهد الصحابة ومن بعدهم. وذهب ملك تشيرمان بيرمال (CheramanPerumal) إلى مكة للقاء النبي صلى الله عليه وسلم. يحكي عن هذا أبو عبد الله الحاكم في المستدرك عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه:»أهدى ملك الهند إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم جرة فيها زنجبيل فأطعم أصحابه قطعة قطعة وأطعمني منها قطعة».[١] ودامت هذه الروابط على شكل تام ومنهج سوي من عهد قديم إلى أيام فاسكودا غاما (Vasco da Gama) البرتغالي الذي حاول السيطرة على تجارة الهند وممتلكاتها الثمينة عام ٩٠٤هـ/١٤٩٨م.

زيارات السياح والرحال إلى مليبار

زار مليبار السياح والرحال في مختلف العصور من مختلف أنحاء العالم وخاصة من العرب. يجد من مذكراتهم وتقريراتهم بيانات الأولى عن تاريخ كيرالا وأسلوب حياة الناس وعاداتهم فيها. وبينوا فيه عن الزي والزواج والدفن والشهادة وآيُورْوِيدَا (Ayurveda) وعلم الفلك والسحر والنساك وغيرها. وبعد وصول الإسلام زاد عدد الرحال والتجار العرب إلى مليبار. ومنهم سليمان سنة ٢٣٧هـ/ ٨٥١ م، وهو تاجر عربي سجل تقرير عن رحلته وعن أحوال كيرالا. وابن خرداذبه سنة ٢٣٦هـ/ ٨٥٠ م، وهو رحال عربي بين عن سواحل كيرالا وموانئها، وعلاقتها بين سيلون (Sri Lanka) وما إلى ذلك.

وصول الإسلام إلى ولاية كيرالا

إن نور الإسلام حين بزغ في أفق مكة المكرمة قد وصل شعاعه إلى بلاد الهند. فالتجار العرب المسلمون الذين كانوا على صلة وثيقة بالهند وأبنائها هدوا إخوانهم إلى شاطىء الأمن. يقول زين الدين المخدوم في كتابه تحفة المجاهدين:»وقد أكرم الله أهل مليبار من الهند بقبول دينالإسلام طائعين راغبين لا راهبين ولامخزيين. وإن جمعا من المسلمين دخلوا في بنادر مليبار وتوطنوا فيها ودخل أهلها في دين الله يوما فيوما وظهر فيها الإسلام ظهورا بالغا حتى كثر المسلمون فيها وعمر بهم بلدانها مع قلة ظلم رعاتها الكفرة وعدم تعذبهم عن رسومهم القديمة وآتاهم الله رحمة وسعة فغيروا على ذلك زمانا».[٢] انتشر الإسلام سريعا وباكرا في البلاد المليبارية بفضل التجار العرب.

وإن أكثر المؤرخين ينسبون دخول الإسلام المليبار إلى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ومنهم المؤرخ الشهير فرشته وغيره. وبين صاحب تحفة المجاهدين في كتابه «تحفة المجاهدين في بعض أخبار البرتغالين» القصة المشتهرة على مالك بن دينار وجيرمان بيرومال. يقول المؤرخ المشهور فرشته:»ان الملك السامري حاكم مليبار رأى بنفسه في زمانه عليه السلام معجزة شق القمر في أرضه. فأرسل رسلا إلى أماكن شتى لتحقيق الأمر فاختبر بأن رجلا من العرب يسمى محمدا ادعى النبوة فشق القمر لكي يرى قومه بعض معجزاته فهو ذاك. فالسامري ركب

١. أبو عبد الله الحاكم النيسابوري: كتاب الأطعمة، المستدرك على الصحيحين،رقم الحديث ٧١٩٠.

٢. الشيخ زين الدين المخدوم، المخطوطة تحفة المجاهدين في بعض أخبار البرتغالين، ص - ٣

البحر وارتحل إلى الحجاز لأنه دفعه الشوق الشديد إلى الرحيل إلى الحجاز ليتشرف برؤيا هذا النبي الجديد العظيم. وكان معه جماعة من حاشيته وأتى مكة وتشرف بالإسلام وأقام فيها عدة أيام.»[١]

وقد قال الطبري أن هذا الملك أقام مع الرسول سبعة عشر يوما، ثم خرج من عنده إلى اليمن حين رحب به إليها ملكها مالك بن حبيب وعاش فيها أربع سنين، وتزوج من أخت مالك بن دينار ثم عاد إلى كيرالا عن طرق البحر ومعه رجال محترمون من أهل اليمن على رأسهم مالك بن دينار وأبناؤه، ولما وصلوا «شحر محلقة» من مملكة عمان قضى الملك نحبه وانتقل إلى جوار ربه، وصاروا يترددون في الأمر إلى أن مرت بهم سنوات فاعتزموا أخيرا على متابعة السير والوصول إلى بلاد الملك المتوفى وكان مما سهل لهم الأمور أن الملك تاج الدين وكلهم رسالة وقت وفاته يوصي فيها أصحاب مملكته أن ينظروا إلى هؤلاء الرجال بعين الاعتبار والتقدير، وبنهاية الكد والتعب وصلوا إلى مملكة الملك المتوفى. وقدموا الرسالة إلى الأولياء. فلما رأوا ما فيها أعطوهم كل ما يحتاجون من المباني والأراضي والمزارع وكان أول ما قام به هؤلاء الرجال في المنطقة بناء مساجد في شتى أنحاء الولاية وأول مسجد في الهند مسجد شيرمان برمال بمدينة كدونغلور على مقربة من قصر الملك. وبالتحديد بنوا عشرين مسجداً في مدن كيرالا.

واكتشف دينار من تيرونالويلي (Thirunelveli) نسخ عليها ٧١هـ (٦٩١م) ودينار من بونجار (Poonjar) الذي كتب فيه١١٨ هـ (٧٣٦ م). ويثبت من التواريخ المعروفة لبعض المساجد أن بنائها قد انتشرت في أنحاء ملبار قبل ١٢٠٠ سنة من الآن كمثل مسجد تشاليام (Chaliyam) وكويلاندي (Koyilandi). وفي آراء بعض المؤرخين مثل الشيخ شهاب الدين أحمد كويا التشالياتي إن مغيرة بن شعبة الصحابي وصل إلى كاليكوت في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه. واسم مسجد 'مغدار' (مغيرة دار) مشتق من اسمه.

أحوال المسلمين تحت الملوك والسيطرة المختلفة

عاش المسلمون في الهدوء والسلام ومع الود والأخُوة تحت ملوك الهندوكيين. وكانوا مواطنون الصديقين ومطيعون للقانون. منح الملوك للمسلمين ملاءمة للعبادة وغيرها. وحتى أنه فرض على المسلمين الغرامة إن لم يحضر لصلاة الجمعة. وعين الملوك القاضي والمؤذن ودفع راتبهم. وإذا كان قاتل من المسلمين شنقه مع إذن زعماء المسلمين ويرجع الجيفة إليهم للدفن. وإذا كان القاتل غير مسلم لا يدفن جيفته بعد شنقه ويترك للحيوانات مثل الكلب والثعلب.

حصل للمسلمين حق عظيم في السيطرة تحت ملوك سامودري. وأمر الملك سامودري لأن يعتنق الإسلام لذكر واحد أو اثنين من أهالي صياد السمك. وجاز لزعيم المسلم أن يسافر مع السامودري في حمالته. وكان مستشاره وسفيره وأعضاء الأسطول من المسلمين. وكان المخدومون المستشارين لملك السامودري. وأذن لقضاة كاليكوت وتشاليام مكانة خاصة في جلسة الملك، وقضوا الحكم على جريم المسلم. وحتى يقول أحد المؤرخ «المسلمون أغنياء، وإنهم تعايشون معا. وفي يدهم التجارة والنقل البحري. وإذا لم يجد الملك البرتغالي الهند يكون مليبار في أيدي المسلمين. ويكون هناك ملك مسلم»[٢]. وبعد وصول الإسلام والمسلمين اتسعت العلاقة بين كيرالا والعرب في التجارة وفي حقل الدين والثقافة. واستمرت هذه العلاقة وطيدة على هذا النمط حوالي سبعة قرون إلى قدوم واسكو دي غاما (Vasco de Gama) إلى ميناء كاليكوت.

١. كما نقل عبد الغفور عبد الله القاسمي في كتابه المسلمون في كيرالا، ص ٤٠ – ٤١.

٢. إي شريدرا مينون: تاريخ ثقافة كيرالا واجتماعها (الإنجليزية)، ص ١٨٤.

قدوم البرتغاليين وبداية المشكلات

وأرسل الأمير البرتغالي هنري (Henry) كثيرا من البعثات للاكتشاف حول أفريقية للوصول إلى الهند. أن البابا المسيحي أعطى الإجازة للملك البرتغالي لأخذ الهند وغيرها من البلدان النائية سنة ٨٥٨هـ/ ١٤٥٤م. تحركت حملة البرتغالي بقيادة واسكو دي غاما في الثامن من أغسطس سنة ٩٠٤هـ/ ١٤٩٨م. ومع ارشاد ومصاحبة الملاح العربي المشهور أحمد بن ماجد وصل غاما وأصحابه إلى ساحل كاليكوت ٢٠ رمضان ٩٠٣هـ/ ٢٠ مايو ١٤٩٨م.

بدأت القوات البرتغالية حملات قاسية ووحشية جدا على الناس خاصة على المسلمين والعرب. «إنهم رأوا المسلمين عدوا لدودا، لذا سعوا لأخذ تجارتهم وقبضهم وقتلهم بابشع ما يمكن».[١] وصرح البحار البرتغالي البوكارك عن أحوال بعد احتلال غووا (Goa)، كانت الشوارع مملوئة بجثة والجرحى. ثم أحرق المدينة في أربعة أيام. وكان عدد أموات المسلمين زيادا على ستين ألفا. وكان البوكارك ممقوت على المسلمين حتى قال «أريد أن أدمر المكة».[٢] وكان سبب لهذه العداوة زعامة المسلمين في كيرالا ودولة مصر ومقاومتهم عليهم.

وقف العرب بكل امكانيتهم واحتماليتهم وجهدهم ضد البرتغاليين بعد ما تبين لهم بوضوح أن هدف هولاء هو القضاء على الوجود العربي في المحيط الهندي. وقد أدرك القادة البرتغاليون ضخامة العقبات التي ستوجههم بوجود العرب والمسلمين في تلك المنطقة. ولذلك بدأت الخطط والتفكير وتنظيم القوي للقضاء عليهم والتخلص منهم بأي طريقة كانت.

وتتابع فوج البرتغاليون واحدا وواحدا بقيادة جديدة. وأخيرا عرف البرتغاليون لا يقدرون لهم قبض كاليكوت إذا كان السامودري حيا. وعزموا على قتله بالسم في الطعام. ثم استولى الملك محالفا مع البرتغاليين وأجاز لبناء قلعة فيها. واتفق البرتغاليون والسامودري الجديد على عهد، «واضطر فيه على المسلمين لاكتساب الإذن من رباينة البرتغاليين».[٣] ولم يبق أحد من العرب في كاليكوت سنة ٩٢٦هـ/١٥٢٠م.

المعركة ضد البرتغاليين

ومع احتلال البرتغاليين سواحل كيرالا فقد خسر أمنها وهدوئها وشعر الناس بالبؤس والفقر. وكان المسلمون اشد من تعرض هذا الإحتلال. ولم تبق أمام الناس إلا طريقان إما أن يموتوا أحرارا أو يعيشوا عبيدا. كون المسلمون الأسطول الخاص تحت ملك السامودري وقاوموهم باستمرار في البحر وسواحلها. وكانوا حذاقا في الحرب البحرية. وواجهوا حملتهم باسلحة تقليدية وكان أمير البحر ومعظم الجنود مسلمين وشنوا حربا شديدا عليهم.

تعارك الأسطول السامودري تحت زعامة كونجالي مع البرتغاليين مرارا حول قرن واحد. وصنع كونجالي القلعة في كاليكوت سنة ٩٧٩هـ/١٥٧٢ م. ولما عجز السامري للمقاومة التمس المساعدة من تركيا. وأمر السلطان لأمير مصر سليمان باشا أن يساعد السامودري. وخرج مع سبعين سفينة وسبعة آلاف جندي. ووصلوا إلى كاليكوت إلا أنهم قبل الانضمام لجنود السامودري حمل عليهم البرتغاليين، ورجعوا خائبين. وجاء جيش مصر ثلاث مرات بين ستين سنة إلى مليبار للحرب على البرتغاليين. ولكن لم يستطع لهم لأن يفعل شيئا لنيل الهذف.

---

١. نفس المرجع.

٢. في كى محمد كنجي:المسلمون وثقافة كيرالا، ص ٩٣.

٣. اى في إبراهيم كنج: دراسات في تاريخ العصور الوسطى (الإنجليزية)،ص ١٣٥.

وفي سنة ٩٨٣هـ/١٥٧٥ م دمر البرتغاليون الأسطول كونجاليماراكار في فناني (Ponnani) مع معاونة ملك جامباكاشيري (Chempakassery). وانتقم لهذا كوتي علي (Kutti Ali) في كوتشي بتدمير كل سفينة المرساة في ميناء كوتشي وحصر حصنهم ومنع حصول المساعدة من أي جهة ونجح في هذه المقاومة. وخاف البرتغاليون وقطعوا التعلق بين كوتشي وغووا طوال سنين. وفاز البرتغاليون معركتين ضد كوتى علي وقبضه.

وأخيرا تحالف سامودري أيضا مع العدو بوساطة ملك تانور (Tanur) وكودنغالور (Kodungallur). ومن شروط الحالف أن لا يصنع سامودري آلات الحرب وأن لا يركب الجنود السفن وأن يقطع التعلق بملوك العرب والمسلمين. وبعد قبض كونجالي الرابع ذهب أهله إلى تاملنادو وسريلنكا.[١]

وبين هذه الحروب والمعركة حكم كاليكوت خمسة عشر ساموديريا. وكان فيهم الأقوياء والضعفاء. وتحالف بعض منهم مع العدو والبعض الآخر تعارك معهم. ولكن كونجالي وأتباعهم تحاربوا عليهم طوال قرن. وكان للعدو العلم والتكنولوجيا الحديثة ولكن كان للمسلمين أسلحة تقليدية فقط. اشتغل المسلمون في كيرالا من أوائل القرن الخامس عشر إلى نصف القرن العشرين بحركات المكافحة والمقاومة على السيطرة البرتغالية أولا ثم على الاستعمار الأوروبيين مثل الهولنديون والفرنسيون والبريطاني. سمي البحرية الهندية بأي ان اس كونجاليINS Kunjali للقاعدة الجوية البحرية في مومباي (Mumbai) مذكرة لكونجاليماراكار.

الخاتمة

حينما بزغ الإسلام في مكة كان في كيرالا جماعة تتصلون بالعرب. وتأثر الإسلام فيهم كما تأثر بين العرب. والعلاقة التجارية والصلة الاقتصادية لكيرالا مع العرب سببت في وجود المسلمين في كيرالا. واستيطان العرب في كيرالا وأخلاقهم ومعاملاتهم مع المواطنين أدت إلى تسريع نمو الإسلام في هذه المنطقة. وقد نمى الإسلام بوفرة بعد اعتناق الملك فيرومالوما تبعه من تحريض الملوك على الاعتناق وعلى الزواج بين العرب والمواطنين. اشتغل المسلمون في كيرالا من أوائل القرن الخامس عشر إلى نصف القرن العشرين بحركات المكافحة والمقاومة على السيطرة البرتغالية أولا ثم على الاستعمار الأوروبيين مثل الهولنديون والفرنسيون والبريطانيون. وهذا هو السبب الرئيسي لتخلف مسلمي كيرالا اقتصادا وعلميا. ضحوا ما عندهم في سبيل الدين والوطن واعتقدوا لدودا لهم. وهذا الاعتقاد قد أخذوهم إلى التخلف واستغل موقف المسلمين بعض القوم وأخذوا زمام التجارة وغيرها.

المصادروالمراجع

١. أبو عبد الله الحاكم النيسابوري: كتاب الأطعمة، المستدرك على الصحيحين، رقم الحديث ٧١٩٠.
٢. اى في إبراهيم كنج: دراسات في تاريخ العصور الوسطى (الإنجليزية)،ص ١٣٥.
٣. إي شريدرا مينون: تاريخ ثقافة كيرالا واجتماعها (الإنجليزية)، ص ١٨٤.
٤. الدكتور تاراشند: تأثير الإسلام في الثقافة الهندية (الإنجليزية)، ص ٣٨.
٥. الشيخ زين الدين المخدوم، المخطوطة تحفة المجاهدين في بعض أخبار البرتغالين، ص - ٣
٦. عبد الغفور عبد الله القاسمي في كتابه المسلمون في كيرالا، ص ٤٠ – ٤١.
٧. في كى محمد كنجي: المسلمون وثقافة كيرالا، ص ٩٣.
٨. محمد سعيد الطريحي: في تقديمه وتحقيقه وتعليقه لكتاب تحفة المجاهدين في أحوال البرتغاليين لزين الدين المخدوم، ص ١٣٧.

١. في كى محمد كنجي: المسلمون وثقافة كيرالا (ملايالام)، ص ١٠٠.

اللغة العربية وعباقرتها في الهند في الحكم الإسلامي

الدكتورة/ جبيلية بي[١]

الملخص

بنظرة خاطفة أن اللغة العربية دخلت في الهند بعد اتساع رقعة الإسلامية في جزيرة العرب بدخول القائد العربي محمد بن القاسم إلى شمال الهند في نحو ٩١ هـ. وأصبحت اللغة العربية وآدابها منتشرة في أنحاء الهند بواسطة التجار المسلمين والقوادين وغيرهم. ولذا اعتنقت الهنود الدين الإسلامي. واستمروا أكداحهم في احياء اللغة العربية وآدابها حتى استقرت اللغة العربية وآدابها في بلاد مناطق السند وغيرها. فبرز في العصور المختلفة علماء عباقرة كانوا ولا يزالون فخرا للهند والعالم الإسلامي كله. وفي طليعتهم الشاعر العربي المشهور أبو عطاء السندي، والإمام حسن محمد الصغاني، والإمام علي بن صام الدين المتقي، والمجدد الكبير أحمد بن محمد عبد الأحد السرهندي، وشاه ولي الله الدهلوي، والسيد غلام علي آزاد البلغرامي وغيرهم.

بعد فترة جاء المسلمون فاتحين مع محمود الغزنوي، ثم توالت الفتوحات واستمر ملكهم نحو ثمانية قرون ونصف قرن. ولم يكونوا من السلالة العربية. بل ينتمون إلى الأصول الفارسية حملوا معهم لغتهم الفارسية وحضارة بلادهم في أفغانستان وفارس وما وراء النهر. ولذا صارت الفارسية لغة المسلمين السائدة، ولم يلبث أن صارت رسمية. وبالتمازج بالفارسية تولدت في الهند لغة جديدة، وهي الأردية التي صارت فيما بعد اللغة الشعبية ولغة الحكم والملوك، ومع ذلك كان يوجد في الهند من يحسن اللغة العربية أيضا، والشاعر الأمير خسرو بن سيف الدهلوي كان بارعا في اللغة الفارسية والعربية.

أبو عطاء السندي

ولد أبوعطاء السندي في الكوفة في مطلع القرن الثاني للهجرة واسمه الحقيقي «أفلح» ورد هذا في كتاب الأغاني واشتهر بكنيته « أبو عطاء» وعطاء اسم غلامه الذى اختاره لرواية أشعاره وإنشادها. وقد اجتمع الرواة على أنه كان سنديا أعجميا، إلا أنه نال اسمه العربي من مواليه من بني أسد. والأرجح أن أسرته من عداد الأسارى وقت فتح السند على يد محمد بن قاسم، ولذلك صار سندي الأصل، وكان أبو العطاء في أوائل أيامه مملوكا لعنبر من سماك بن الحصين الأسدي ، ولكن العلاقة ساءت بينهما ، يدل عليه قوله:

إذا ما كنت متخذا خليلا فلا تثقن بكل أخي أخاء
وإن خيرت بينهم فالصق بأهل العقل منهم والحياء
فلا تثقن من النوكي بشيء ولو كانوا بني ماء السماء

وعاش أبو عطاء في فترة بين العصر الأموي والعباسي إلا أنه يعد من شعراء بني أمية إذكان ميله إليهم. وقد ذكر الشاعر أبو تمام بعض أشعاره في ديوان الحماسة.

وكان في أشعاره حرا طليق الفكرة ملتزما بقيودها ونظامها. ناطقا بعذوبة روحه وسذاجة طبعه ونقاوة

١. عميدة وأستاذة مشاركة، كلية أنوار الإسلام العربية للبنات، مونغام، ملابورام، كيرالا، الهند.

ضميره، وكان يقادي فيها منوال الشعراء الفحول من الجاهلين.

كانت له صلة وثيقة بالأمراء الأمويين ، وخاص بيزيد بن عمروبن هبيرة، ونصر بن سيار وسليمان بن سليم كيسان. ولما آل الحكم إلى بنى العباس مال إليه وبدأ يمدحهم مثلما ما نراه في شأن أبي العباس السفاح الخليفة الأول :

إن الخيار من البرية هاشم وبنو أميةأرذل الأشرار

وبنو أمية عودهم من خروع ولهاشم في المجد عود نضار

ولما قل عطاءه من بني عباس بدأ يهجوهم كما فعل المتنبي لكافور الأخشيدي وهو يقول :

يا ليت جور مروان عادلنا وأن عدل بني العباس في النار

مكانته في شعره

أبو عطاء السندي طرق معظمَ أبواب الشعر في عصره مثل الحماسة و المدح والرثاء والأدب والحكمة ، كما تناول القليل من الشؤون السياسية، وقد اثنى عليه النقاد كابن قتيبة الذى قال فيه «كان جيد الشعر « ويقول أبو الفرج الأصفهاني في الأغاني « كان من احسن الناس بديهة وأشدهم عارضة وتقدما.

يتجلى شاعريته في الأبيات التى أوردها أبو تمام في ديوان الحماسة وقال في مطلع مدحه للولاة الأمويين :

ذكرتك والخطى يخطر بيننا وقد نهلت منا المثقفة السمر

فو الله ماأدرى وإني لصادق أداء عراني من حبابك أم سحر

وإن كان سحرا فاعذريني على هوى وإن كان داء غيره فلك العذر

ومن شعره الحماسي البطولي قوله:

ويوم كيوم البعث ما فيه حاكم ولاعاصم الأقنا ودروع

حبست به نفسي على موفق الردى حفاظ واطراف الرماح شروع

وما يستوى عند الملمات إن عرت صبور على مكروهها وجزوع" [1]

وقد اختلف المؤرخون في وفاته ويذكر صاحب الأغاني إنه مات في آخر أيام المنصور، ولكنه يخالف الواقع إذ كان يمدح الخليفة المهدي ، وعليه يقول القاضي أطهر المباركبوري في كتابه رجال السند والهند إنه مات سنة ١٦٠هـ.

الإمام رضي الدين (حسن بن محمد) الصغاني اللآهوري

الإمام أبو الفضائل رضي الدين محمد بن الحسين علي إسماعيل القرشي العدوبي اللآهوري من رجال القرن السابع الهجري وينسب إلى ضغانيان،إحدى ولايات ما وراء النهر. ثم نزلت أسرته إلى لاهور واستوطنتها، وينسب إلى عمر الفاروق وهو يشير إلى هذا النسب.

فقلت يادهر سالمني مسالمة فانني عمري ثم صاغاني

١. ديوان الحماسة أبو تمام، الجزء الأول ص ١٢

ولد بمدينة لاهور في صفر ٥٧٧ هـ ، ولكن نشأته في غزنة، وأخذ العلم عن والده الشيخ محمدبن الحسن. العالم الجليل في اللغة والأدب والعلوم المختلفة، وكان في عهده الدروس في المساجد أو في المنازل، وفي أثناء دراساته كان يزور لاهور، ولما أنهى دراسته في الهند رحل إلى أقصى البلاد وقرأ الحديث على كبار المحدثين ومنهم أبو الفتوح نصر بن أبي الفرح محمد على البغدادي الحنبلي المتوفى ٦١٩ هـوأبو منصور بن الرزار سعيد بن محمد البغدادي المتوفى سنة٦١٦ هـوأخذ اللغة بفصاحتها وأصالتها وكان يلتقط ألفاظها ونطقها من ألسنة أهلها.

رحلاته

لما توفي والده عام ٥٩٠ هـ غادر إلى لاهور حيث ازدهرت العلوم بوجود العلماء الذين يترددون إليها . وهناك سمع عنه الملك قطب الدين أيبك حاكم الهند فاستدعاه وعرض عليه منصب القضاء ولكنه رفض.

ثم زار الحرمين وبعد الحج أقام بالحجاز نحو خمس سنوات، ثم رحل إلى المدينة وقضى أكثر أوقاته في حرم النبي ومنها إلى اليمن حيث كان القاضي إبراهيم بن أحمد بن سالم العالم الفقيه الشافعي . وبعد فريضة الحج عاد إلى الهند عن طريق اليمن. ووصل السند وتجوّل في أقطار بنجاب فرأى تقاليد الهنود وطقوسهم، واجتمع حوله عدد من تلاميذه ليستفيدوا منه فمكث في الهند نحو ثلاث سنوات، ووصل بغداد عام ٦١٥هـ ، وهي وقتئذ ملجأ العلماء والمحدثين والفضلاء والفقهاء وأخذ منها الأحاديث المتواترة ما يزيد على أربعمائة فصار مشهورا في بغداد. وكان مدرسا في شتى مدارسها عاملا فيها مرشدا وواعظا. وتولى القضاء فيها ٦١٥ هـ في عهد الخليفة العباسي ناصر دين الله. وكان يرسل الرسل والبعثات إلى سلاطين الدول الأخرى لتوثيق العلاقات بين الأقطار الإسلامية.

صار الإمام سفيرا إلى الهند من قبل الخليفة العباسي، وكان الملك يومئذ في الهند السلطان شمس الدين التمش فمكث فيها نحو ثماني سنوات. تجول خلالها في مختلف المدن الهندية يدرس الحديث وينشر العلم. ولما تولى المستنصر بالله الخلافة العباسية استدعاه إليه ثم أرسل إلى الهند مع الهدايا إلى السلطان، فرحب به الملك ، وما زال في التجول في أنحاء الهند حتى صار مشهورا بينهم. ومرة زار ناكور واجتمع حوله العلماء ومنهم القاضي عبد الحميد الناكوري والقاضي كمال الدين وكان يلقى لهم دروسا من كتابه مصباح الدجى.

ولما مات السلطان شمس الدين التمش وقع الخلاف بين أبنائه فيمن يتولى الخلافة ثم صارت الخلافة إلى بنته رضية بنت التمش. فاستأذنها الإمام الصغاني لأداء الحج في سنة ٦٣٤ هـوبقي في الحجاز حتى أتم تأليف كتابه تكملة صحاح الجوهري، ثم رجع إلى الهند ولكنه مل الحياة في ظل الملكة رضية ، فرحل إلى بغداد وظل فيها حتى توفي عام ٦٥٠ بالغا من العمر ٧٣ سنة ونقلت جثته إلى مكة على وصية منه ليدفن في جنة المعلاه.

دوره في التأليف العربي

للإمام الصغاني المحدث ستة وأربعون كتابا، ٢٢ في اللغة العربية ، مما يعده من عمالقة اللغة من أمثال الخليل بن أحمد الفراهيدي وابن دريد الجهولي وابن الفاري والزنجاني، ويقول الإمام الذهبي : كان إليه المنتهى في معرفة علم اللغة. وقال الدمياطي : إنه كان إماما في اللغة والفقه والحديث . ومن أعماله كتاب التكملة والذيل والصلة في ستة أجزاء، وهو مكمل لما فات الإمام الجوهري في كتابه الصحاح وما أهمله. واهتم في ذلك بتصحيح الأخطاء التى وقع فيها الجوهري في الكلمات والأعلام ، وأكمل الشواهد الشعرية وصحح نسبته ، ويليه

كتاب صغير خصّصه لبيان ما فاته في الأول « العباب الزاخر واللباب الفاخر» الذى يعد من مراجع اللغة العربية، ألفه باسم مؤيد الدين بن العلقمي وزير المستعصم. ويعد الكتاب من أكبر تصانيف الصغاني وأكثرها شهرة ، يقع في عشرين مجلد ، وبه خلد ذكره . وقدمات الصغاني قبل أن يكمله وبلغ إلى حرف الميم . وقد اثنى العلماء عليه وقدروه بالغ التقدير.

قال عنه السيوطي : أعظم كتاب ألف في اللغة بعدعصر الصحاح كتاب المحكم والمحيط الأعظم لأبي الحسن بن سيد الأندلسي الضرير سنة ٤٥٨ هـ . ثم كتاب العباب لرضي الصغاني وقال أيضا « إنه كان حامل لواء اللغة".

مجمع البحرين : وهو كتاب ضخم في اثني عشر مجلدا جمع فيه المؤلف بين الصحاح والتكملة مما أهمله الجوهري يذكر فيه الصحاح والتكملة، وأردف هما بحاشية ويذكر ما ليس فيهما . والصغاني يصحح بعض أخطاء المؤرخين الذين نسبوا الأمكنة إلى غير موطنها الأصلي وعلى سبيل المثال يقول البلاذري في كتاب البلدان : بليمان بالسند والهند. قال الصغاني : لا أعرف بالهند والسند موضعا يقال له بليمان.

مشارق الأنوار النبوية في صحاح الأخبار المصطفوية : هذا الكتاب شهير في الحديث جمع الصغاني فيه من الصحاح ٢٢٤٦ حديثا.

الإمام علي الدين حسام الدين المتقي

ولد العلامة المحدث علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي سنة ٧٧٥ هـ بمدينة برهانفور. وقضى في صغر سنه مريدا للشيخ بهاء الدين الصوفي البرهانفوري، فصار قلبه ونفسه راسخا في التقوى والإيمان والورع مما كان يطلع عليه آثار الرسول صلى الله عليه وسلم. ثم سافر إلى الهند ولازم الشيخ حسام الدين المتقي الملتاني قرأ عليه تفسير البيضاوي، ثم سافر إلى الحرمين الشريفين وأخذ الحديث عن الشيخ أبي الحسن الشافعي البكري والشيخ شهاب الدين أحمد بن حجر المكي.

ومن مؤلفاته : كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال. يعد هذا الكتاب من أجل ما صنف في الحديث وهو أشبه بموسوعة للأحاديث النبوية.

الإمام أحمد السرهندي

الإمام الرباني مجدد الألف الثاني الشيخ أحمد بن عبد الله الأحد السرهندي ، ولد عام ٩٧١ هـ وتوفي عام ١٠٣٤ هـ . وهذه الفترة تميزت بازدهار علوم الحديث ورجالها في مصر والشام و العراق كما ازدهرت العلوم العقلية والمنطق والفلسفة في إيران وازدهار الفقه الحنفي في الهند وتركستان. وكانت إيران تزدهر وتفتخر بالعلامة جلال الدين الدواني والعلامة عماد بن محمود الطارسي والعلامة غياث الدين المنصور الذين بثوا العلوم . وكانت تتفجر منهم ينابيع العلوم والحكمة مما تجاوبت أصداؤه في الهند.

وقد شهد هذا العصر اضطرابا في الأفكار وانحلالا في العقائد مما تأثر بالصوفية والثقافة الهندوكية في الهند.كما انتشر في الهنود التشيع الوارد من إيران، وقد اعتنق برهان نظام شاه المذهب الشيعي بتأثير طاهر بن رضا ، كما انتشر التشيع في كشمير بجهود مير شمس الدين العراقي، ويقال أن قد تم إدخال ٣٤ ألفا من

الهنادكة في التشيع، وأنشأوا دينا جديدا باسم نر بخشي، الذي يعارض تماما روح الدين الإسلامي والذي من أجله شاعت البدع والتقاليد الباطلة التي تنافي روح الإسلام . هذا إلى جانب النزعات الفاسدة من قبل المتطرفين والغلاة في الدين ممن أدخلوا في الدين عقائدهم مبادئهم الهدامة لتضليل الناشئين، حتى في ظل الملك والحكم بدت التقاليد الدنسة ، ومنها السجود بين يدي الملوك الأمراء تعظيما لهم ، وتقديس الشعائرالدينية الهندوسية. ويمكن القول إن هذه الفترة تتمثل الجاهلية الحالكة مثل جاهلية ما قبل الإسلام.

وفي هذا الوقت المظلم بُعث الإمام السرهندي، الذي فطن إلى خطورة الأمور وما آلت إليه الأمة في العقيدة والعادات، ولم يلبث أن أرسل عددا من خلفائه إلى مختلف أرجاء البلاد للتربية والدعوة والإرشاد. ولمسوا نجاحا ملحوظا في مهمتهم هذه.

الإقامة الجبرية في قلعة كواليار

وحدث أن سمع السلطان شاهجهان عن الإمام السرهندي وإقبال الناس عليه، وأمر بالحضور أمامه، وبعث الأمراء و الأعيان ليتقبلوه في الطريق ونصب له خيمة بجوار قصره.. ولما دخل عليه في البلاط لم يلتزم بالآداب والتقاليد التى كانت يلتزم بها الوافدون، فنظر السلطان وأدرك أن الإمام لم يراع الآداب ولم يأت بالتحية المعتادة ، فسأله عن السبب، فقال إنني لم أزل متقيدا بالآداب والأحكام التى دعا إليها الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ولا أعرف غير هذه الآداب. فغضب السلطان وقال اسجد فقال الإمام : ما سجدت لغير الله قط ولن أسجد لغيره أبدا فتغيظ السلطان وزاد غضبه إلى أن أمر بحبسه جبرا في قلعة كواليار. وقعت هذه الحادثة الأليمة في ربيع الآخر ١٠٢٨ هـ، وقضى فيها سنة واحدة.

يقول عبد الحي اللكهنوي: "كانت هذه التحية تقليدا شائدا في البلاط منذ عهد الملك أكبر ، وكانت تعد من الأدب بالآداب الملوكية، وكانت على ثلاثة أصناف الكورنش وهو أن يضع يمينه على جبينه ويطأطأ رأسه إلى الصدر ، وثانيها التسليم أن يضع ظهر الكف من يمناه على الأرض ويقوم ويضع باطنه على الرأس ، وثالثها السجدة كما يسجد في الصلاة».[١]

وفي آخر لحظاته أوصى الإمام أبناءه باتباع السنة واجتناب البدعة والمداومة على الذكر والمراقبة والعض على السنة بالنواجد والعمل بقوله صلى الله عليه وسلم « الدين النصيحة « والطاعة الكاملة للرسول، وقال لزوجته : اتبعوا السنة في تكفيني ودفني ولا تنكروا شيئا من السنة واشترى ثوب الكفن من مال صداقك ، وقال أيضا : تدفونني في مكان مجهول فقال له أبناؤه : كنتم أوصيتم قبل أن يكون قبر حضرتكم يجاور قبر أخينا الأكبر وتوصون الآن بغير ذلك. فقال أجلْ، إنني أرغب كذلك، فلما رأى سكوت أبنائه قال لهم: لكم الخيار ادفنوني حيث شئتم وليكن قبري غير مجصص حتى لا يبقى بعد مضى أيام عين ولا أثر.

لفظ نفسه الأخير عام ١٠٣٤ بعد قيامه بتطهير المجتمع من التقاليد والبدع الباطلة وقيادتهم إلي العقيدة الصحيحة . فجدّد العالم تجديدا صحيحا من الخرافات والبدع التى سادت في عهد المغول . ومات وعمره ثلاث وستون سنة .

إن الإمام السرهندي يعرف بمجدد الألف الثاني، لأنه استعاد الهند إلى حظيرة الإسلام وصانها من ظلمات الجهالة إلى نور الهداية ، وبأعماله الإصلاحية ضعف أثر الدين الإلهي الذي أتى به الملك أكبر ، كما

١. الهند في عهد الإسلام، علامة عبد الحي اللكهنوي، ص ٢٧٣

رجعت الأمة من التقاليد الفاسدة والعادات المنكرة إلى الحق الصحيح. وشهادة السيد أبو الحسن على الندوي خير دليل لتأثير أعماله، وهو يقول: « وهكذا فتح الإمام السرهندي بمفتاح تجديد إيمان محمد صلى الله عليه وسلم وإعادة الثقة برسالته . جميع الأقفال المعقدة الثقيلة التى اخترعها الفلسفة الإيرانية واليونانية والإشراقية المصرية والهندية ، وأصاب مقتل هذه الفتن كلها التى تهدف الطبقة المثقفة من المسلمين بينهم واحد مسدد ورمية مصيبة فاتلة" .[١]

فقد حظيت العربية من إسهاماته كثيرا ، إذ كان جلّ مقالاته إرشاداته الدينية في العربية. وفيما يلي يقول منذرا عن مظاهر الشرك والثنيات:

" إن تعظيم مظاهر الشرك، وأعياد الجاهلية من أعظم أنواع الاشتراك بالله عزوجل، وإن من يعتقد بصحة دينين وصلاحيتهما في وقت واحد، فهو مشرك ، وإن من يعمل بأحكام الإسلام وأعمال الكفر والشرك فهو مشرك ، ولا يتم الإسلام إلا بالبراءة من الشرك ومحاذاته ومعاداته. وإن التوحيد هو الاشمئزاز والنفور من كل شائبة من شوائب الشرك» . كما يقول رأيه في الاستعانة بغير الله:

"إن الاستعانة بالطواغيت والأصنام في دفع الأمراض وشفاء الأسقام التى راجت في المسلمين وعمت في دهمائهم عين الشرك والضلال ، وإن طلب قضاء الحاجات من الأحجار المنحوتة جحود صريح بالله تعالى وعين الكفر ، يقول الله تبارك وتعالى مبينا حال بعض الغواة الضالين,

"يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا». وإن كثيرا من النساء لغاية جهلهن وضلالهن يطلبن قضاء حوائجهن من غير الله ويسألن بأسماء ما أنزل بها الله من سلطان، لدفع البليات وكشف الكربات أنهن لأسيرات في أغلال الشرك وطقوسه وتقاليده.[2]

الإمام شاه ولي الله الدهلوي

ولد شيخ الإسلام وحكيم الأمة قطب الدين أحمد المعروف بشاه ولي الله الدهلوي عام١١١٤هـ في بيت أخواله بقرية « فلت « في مدينة « مظفرنكر». ويصل نسبه إلى أمير المؤمنين عمر الفاروق. وكانت أسرته عريقة في العلوم والتقوي والقضاء والتدريس والفتيا، وكان أمه فخر النساء، تمتاز ببراعة فائقة في العلوم الدينية، وكانت عالمة بالعلوم الشرعية كالتفسير والحديث وعارفة بأسرار الحقيقة، وكان والده الشيخ عبد الرحيم من العلماء الذبن رتبوا الفتاوي الهندية في عهد أورنعزيب عالمكير، كما أنه مؤسس المدرسة الرحيمية في دهلي التى صارت منارة العلم والهدى والإصلاح زمنا طويلا في الهند .

برز نبوغ شاه ولي الله الدهلوي في علوم التفسير والحديث والفقه والتصوف والشعر العربي والفارسي ، مما اكتسب به كفاءته في الاجتهاد حتى صار يعد من بين الأئمة من أمثال الإمام الشافعي وأحمد بنن حنبل وأحمد بن تيمية، كما أنه وضع بصمامته واضحة جلية في الإصلاح الديني وتجديد الفكر الإسلامي.

رحلته العلمية :

١. رجال الفكر والدعوة في الإسلام، أبو الحسن علي الندوي، ج ٣، ص ١٨٠.

٢. المصدر السابق

بدأت دراسته وهو ابن خمس وحفظ القرآن وعمره سبعة ومع الخامسة عشر استطاع التحصيل العلمي في معظم العلوم. وقصد بعد ذلك الحجاز ، وهذه الرحلة صارت نقطة تحول في مسيرته العلمية والفكرية والأفكار الإصلاحية،إذ نال الفرصة لملازمة كبار العلماء ومطالعة الأحاديث النبوية والوقوف على منهج التحقيق والتنقيح. ومن أبرز أساتذته في هذه الفترة الشيخ أبو طاهر المديني.

وفي الثلاثين من عمره قصد الحج ، مما صار فرصة أخرى للتفرغ إلى العلوم، وفي أثناء إقامته في الحجاز ألف كتابه ' إنسان العين في مشايخ الحرمين' وذلك في تراجم أساتذته في الحرمين الذين استقى منهم الدهلوي نزعاته السلفية . كما أن ملازمته إياهم مهد السبيل في التعمق في علوم الحديث.

بعد عودته من الحجاز بدأ تدريس الحديث الشريف في المدرسة الرحيمية، ولم يلبث أن يفد إليه جماعات من الطلاب من مختلف الأقطار وأنحاء البلاد حتى ضاق بهم المكان، ثم صارت هذه المدرسة في بيت فخم وكانت تعتبر «دار العلوم الكبرى « . ولم تزل على حالها حتى ثورة ١٨٥٧ . ومن أشهر تلاميذه السيدمحمد مرتضى الزبيدي البلكرامي صاحب تاج العروس شرح القاموس والقاضي ثناء الله الباني المعروف ببيهقي الهند بعمله 'التفسير المظهري'. وبعد حياة حافلة بالعلم والعمل والتأليف انتقل إلى رحمة الله عام ١١٧٦. وتم دفنه في مهدين بالقرب من دلهي دروازا، حيث كان قبر والده عبد الرحيم.

عصره

نشأ الإمام الدهلوي في عصر الجهل، بما نشر من البدع والعادات المنكرة والعادات الشيعية والمجوسية ونفوذ التصوف في أواخر الحكم المغولي، والسلطان أورنغزيب الذي تصدى للقضاء عليها ، قام بأعمال طيبة بهذا الصدد، ومن هذا القبيل جمع الفتاوى العالمكيكرية في عهده، لتكون مرجعا للعلماء وتبصرة للعوام وحجة لشعائر الدين ، والشيخ الدهلوي يتمثل شخصيته كما يقول الكتور محمد إقبال في بيت من شعره :

" كان فراشة لشمعة التوحيد ، وكان في بيت الأصنام والأوثان كإبراهيم عليه السلام" .[1]

والشيخ الدهلوي بنفسه يشير إلى سوء حال هذا العصر:» إننا في زمان الجهل والعصبية واتباع الهوى واعجاب كل امرئ بآرائه الرديئة وإن المعاصرة أهل المنافرة ، وإن من صنف فقد استهدف".[2]

وهذا العصر بلغ فيه الإنحطاط السياسي والإداري والخلقي وفساد النظام غايته إلى جانب سوء إدارة ملوك الطوائف وما ساد في أيامهم من القلق والاضطرابات والمعارك بين الهنادكة والسيخ وأمراء المسلمين، مما يجعل ظهور الإمام الدهلوي منة إلهية ، لصبح مجدد قرنه ومصلح أمته.

وقد نهض الإمام بمسسؤوليته في هذه الأزمة، واستدعى الملك الأفغاني أحمد شاه أبدالي لقطع دابر الثوار من الشيخ وقبائل الجاط والمراهتا الذين أشعلوا نيران الفتن والفساد. فاستجاب له الملك ، فغزا تسع غزوات على هؤلاء الثائرين حتى هزموهم، وفي المعركة الأخيرة انهزموا شر هزيمة. ثم جمعوا قوتهم وشملهم وتخالفوا مع الإنجليز بعد رجوع أحمد شاه أبدالي إلى أفعانستان حتى انقضت حكومة دهلي.

الإمام الدهلوي خدماته ومساهماته في علوم الحديث

١. المصدر السابق ج ٤، ص ٤٠

٢. المصدر السابق ج ٤، ص ١٦٠

إن الإمام الدهلوي انقطع إلى خدمة الحديث ونشره وتدريسه، أقبل عليه بقلبه وقالبه وهو يعبر عنه: « نسيت كل ما قرأت سوى علم الحديث الشريف».[١] كما أنه يشير بنفس الشعور إلى شخصية أستاذه الشيخ أبا طاهر المديني :

نسيت كل طريق كنت أعرفه إلا الطريق يؤدني لربعكم.

ومن مؤلفاته

1، المصفى شرح موطأ للإمام مالك بالفارسية.

2، المسوى شرح الموطأ المختصر بالعربية.

3، شرح تراجم الأبواب لصحيح البخاري.

4، مجموعة الرسائل العربية.

5، الفضل المبين في المسلسل من حديث النبي المبين. والنوادرمن حديث سيد الأوائل والأواخر. والأربعين.

6. حجة الله البالغة

هذا الكتاب المفيد المشهور يحتل الصدارة بين مؤلفات علوم أسرار الشريعة، والكتاب يشمل على قسمين بين الإمام الدهلوي الأصول التى توارد عليها الأمم ،وهي تنقسم إلى سبعة مباحث. وفي القسم الثاني أسرار الأحاديث مستدلا بالآيات وأقوال الصحابة والتحقيقات التى قدمها المتقدمون من أبواب الإيمان والعلم والطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحج والإحسان والمعاملات وتدبير المنازل وسياسة المدن وآداب المعيشة وغيرها.

أثنى العلامة أبوالحسن علي الندوي على هذا الكتاب فقال « إن الإمام الدهلوي من المصنف الأول من المصنفين الهنود الذى نجد في تصانيفه وبالأخص حجة الله البالغة السلامة وقدرة البيان وعذوبة اللسان مثل أهل اللغة وعربيته يضاهي عربيته أدباء العرب فلا ترى فيها الأسقاط والأقسام التى توجد في غالب الأحيان في كتابات علماء العجم.»[٢]

إذا قرأنا حجة الله البالغة يسحرنا بأسلوبه الجذاب الذي يخلو من التكلف والتصنّع ، وكان يختار الألفاظ والكلمات عن الأفكار والمعاني ذات الحيوية والجدية، ويتجنب الألفاظ الغريبة ووحشية الكلام الثقيلة فهمها ، وكان متوسطا في صناعته بين الطول القصر، وهذا الأسلوب يرفعه إلى ذورة العلماء الكتاب قياسا إلى الفترة التاريخية التى عاشها. يشير إليه العلامة السيد سليمان الندوي : إنه لم يكن يشعر أحد حتى بعد قراءة آلاف الصفحات من تصانيف الإمام ولي الله الدهلوي بأنه من نتاج القرن الثاني عشر. عصر الأرباك والاضطراب والقلق والعرج. وقد أعاد إلى اللغة العربية بأعماله التأليفية رواءها ورونقها وصفاءها ونقاءها بعد أن تكبدت الخسائر على أيدى المتلاعبين والعابثين.

غلام علي آزاد البلكرامي

١. المصدر السابق

٢. المصدر السابق

غلام علي آزاد البلكرامي المعروف بحسان الهند ولد سنة ١١١٦ هـ بقرية بلكرام المشهورة في تاريخ الهند المسلمة ، تقع في مقاطعة هريدوار. وقد وهبت هذه القرية كثيرا من العلماء والأدباء والشعراء والمصلحين الذين سجلوا خدماتهم للعلم والثقافة والأدب العربي . والسيد محمد بن على الحسني نزل أولا بهذه القرية بسنة ٦١٤ هـ بأمر من السيد قطب الدين بختيار، وقاتل أهلها وهزم راجه شري أمير القرية، واستقر هناك يدرسون المواطنين ويدعوهم إلى الإسلام حتى اشتهر باسم محمد الصغرى وإليه ينتهى نسب السيد غلام علي آزاد.

كانت أسرته ممن يخدمون الملوك والأمراء، ووالدته بنت ميسر عبد الجليل البلكرامي أحد العلماء البارزين، وأخذ عنه اللغة والحديث والسير ، ثم تلقى مختلف العلوم من الشيخين: ميرطفيل محمد وابن خاله محمد يوسف.

لازم السيد غلام آزاد كثيرا من العلماء والشعراء والمحدثين والأمراء والمشايخ في رحلاته .وأول رحلته كانت إلى دهلي حيث قضى سنتين في دراسة علوم الحديث والتفسير وصناعة الشعر. ثم رحل إلى سوستان السند حيث كان خال والدته مير محمد. وفي أثناء الطريق إلى السند لقى الشاعر فقير الله عفريين ، وعلاقته به عزز قدرته الشعرية.

ثم كانت رحلته لأداء فريضة الحج سنة ١١٥٠ هـ مرورًا بمالواه ، مما تمكن من زيارة الأماكن التاريخية حتى بلغ الأراضى المقدسة عام ١١٥١ هـ ، وقرأ صحيح البخاري في المدينة على الشيخ محمد حياة السندي ونال منه الإجازة ثم صحب الشيخ عبد الوهاب الطنطاوي المصري خمس سنوات فأدهشه علو كعبه في علمه ونسب إلى اسمه لقبه (آزاد) قائلا له « أنت من عتقاء الله تعالى «. ثم عاد إلى الهند سنة ١١٨٦هـ ونزل في أورنغاباد ، وبعد قليل رحل إلى حيدرآباد حتى صحب السلطان ناصر جنك آصف الذى عرض عليه منصب الإمارة ولكنه أبى أن يتولاه وقال : هذه الدنيا مثلها مثل النهر طالوت غرفة منه حلال والزيادة عليها حرام . وهذا الكلام يدل على قناعة نفسه وتقشفه في الحياة ونزاهته.

مؤلفاته العربية

١. سبحة المرجان في آثار هندستان
٢. السبعة السيارة
٣. مظهر البركات
٤. ضوء الدراري في شرح صحيح البخاري
٥. تسلية الفؤاد في قصائد آزاد
٦. شفاء الغليل
٧. الشجرة الطيبة في أنساب السادة من أهل البلكرام
٨. سند السعادات في حسن خاتمة السادات
٩. أوج الصفا في مدح المصطفى
١٠. الدر الثمين في محاسن التضمين
١١. لامية المشرق

١٢. المرآة الجمال

السيد غلام علي آزاد البلكرامي صار مشهورا بكتابه سبحة المرجان، ألفه سنة ١١٧٧ هـ. ويحكى فيه عن الهند وسجياها وفضائلها، ويورد فيه الآيات والأحاديث ويبين فيه ميزة الهند ويقول» إن آدم هبط من الجنة إلى سيلان « ويقسم هذا الكتاب إلى فصول: وفي الفصل الأول يبحث الكاتب عن ذكر الهند فيما جاء في التفسر والحديث ، والفصل الثاني في تراجم علماء الهند وأعمالهم في النثر والشعر العربي ، أورد فيه تراجم ٤٣ عالما، والفصل الثالث في محسنات الكلام، يشير فيه ما تم اقتباسه في اللعربية من بلاغة أهل الهند ومحسنات كلامهم.

المصادروالمراجع

١. تاريخ الأدب العربي، عمر فروخ.
٢. تاريخ الإسلام في الهند، عبد المنعم النمر
٣. تاريخ الثقافة الإسلامية، محمد واضح رشيد الحسني الندوي.
٤. تاريخ الدعوة الإسلاميةفي الهند ، الشيخ مسعود عالم الندوي.
٥. حركة التعليم الإسلامي في الهند وتطور المنهج، محمد واضح رشيد الحسن الندوي،
٦. ديوان الحماسة، أبو تمام، الجزء الأول
٧. رجال الفكر والدعوة الإسلام، أبو الحسن علي الندوي، الجزء ٣.
٨. نزهة الخواطر، عبد الحي الحسني.
٩. الهند في الإسلام، علامة عيد الحي اللكهنوي

القصة القصيرة في سلطنة عمان

السيّد/ حميد وي.[١]

الدكتور/ زين الدّين بي. تي.[٢]

الملخص

يشتمل البحث على دراسة موجزة عن فنّ القصّة القصيرة عامة وعلى تطوّر القصّة في سلطنة عمان خاصّة. يعتمد الباحث في هذه الدراسة على المنهج التحليلي، يرتكز البحث على تحليل الموضوع بجوانبه اللّازمة فقط بدون استطراد قطّ. يتحلّل عن الفنّ القصّة مع تعاريفها المهمّة وتطوّرها في العالم وفي سلطنة عمان مع بيان مراحلها المعروفة. ويتحلّل البحث عن روّاد فنّ القصة العماني وعن القضايا المعالجة العامة في القصص العماني. إعتمد الباحث على الأدوات البحث من الإستبان والكتب والمجلات والمقالات لتجهيز هذه المقالة.

فنّ القصّة

فنّ القصّة هو فنّ حديث وفنّ عالمي. القصّة هي ظاهرة بديعة إنسانية ظهرت مع ظهور الإنسان. وتطوّرت مع تطوّر الإنسان. وبدأت مع بداية الكلام. يحبّها جميع الإنسان من صغير وكبير. وهي سجلّ عام لحياة الإنسان الخيالي. ومن هذا الفنّ نشأ علم التاريخ. القصّة تدرّجت على أسماء عديدة إلى إسم القصة. إنها عرفت من قبل في أسماء عديدة مثل الحكاية والسمر والأسطورة والخرافة والمثل والخبر والنادرة والحديث والمقامات. حتّى وصلت في القرن التاسع عشر إلى إسم قصّة قصيرة في صورتها الإجمالية. وكذلك تنوّع فنّ القصّة إلى فنّية أخرى كالسيرة والسيرة الذاتية والرواية والقصّة الطويلة والقصّة القصيرة والأقصوصة. إنها أيضا تدرّجت إلى فنون أخرى حديثة كالتمثيليات الإذاعيّة والتلفزيونيّة والسينمائيّة والأخبار. وتنوّع فنّ القصّة أيضا إلى فنّ الصّحافة والسّرد الخبري، كلها من أنواع القصّة.

تعريف القصّة القصيرة

القصّة القصيرة هي نوع أدبي عبارة عن سرد حكائي نثري أقصر من الرواية، وتهدف إلى تقديم حدث وحيد غالبا ضمن مدّة زمنيّة قصيرة ومكان محدود غالبا لتعبّر عن موقف أو جانب من جوانب الحياة، لا بد لسرد الحدث في القصّة القصيرة أن يكون متّحدا ومنسجما دون تشتيت. وغالبا ما تكون وحيدة الشّخصية او عدّة شخصيّات متقاربة يجمعها مكان واحد وزمان واحد على خلفية الحدث والوضع المراد الحديث عنه، ويزعم البعض أنّ تاريخ القصّة القصيرة يعود إلى أزمان قديمة مثل قصص العهد القديم عن الملك داود، وسيّدنا يوسف وراعوث[٣]. لكن بعض الناقدين يعدّ القصّة القصيرة نتاج تحرّر الفرد من ربقة التقاليد والمجتمع وبروز

١. باحث الدكتورة في كليّة تي. أم. الحكوميّة، ترور، كيرلا،الهند

٢. أستاذ مشارك في جامعة كالكوت، كيرلا، الهند

٣. راعوث الموآبية هي أحد الشّخصيّات الكتاب المقدّس وهي الشخصية الرئيسية في سفر راعوث، تاريخ ميلادها ١٢٣٠ ق م

الخصائص الفردية على عكس النماط النموذجية الخلاقية المتباينة في السرد القصصي القديم.

وأما القصّة القصيرة عند النّاقد والقاص الشهير «إدجار الآلن بو» مثلا - هي التي تستغرق قراءتها من نصف ساعة إلى ساعة واحدة، أو ساعتين، عكس الرواية التي يصعب أن تقرأ في جلسة واحدة. ويوازن «بو» بين القصيدة والقصّة القصيرة ويرى أنّ الثّانية تتفوّق على الأولى. وذلك أن الوزن في القصيدة كثيرا ما يشكل عائقا أمام التعبير»[١] .

ظهور القصّة القصيرة في العالم

وفي رأي الأدباء والنقاد ظهرت القصّة القصيرة الحديثة في العالم كله على أيدي نيقولاى جوجول في روسيا وإدجار آلن بو في أمريكا في القرن التاسع عشر، وهما يعتبران إبداعيين هذا الفنّ. وبعدهما انتشر هذا الفنّ إلى فرنسا وبريطانيا، ثم ظهر ونشأ هذا الفنّ على أيدي الروّاد الكبار مثل بوشكين وتشيخوف وهوثورن وملفيل وجوته وتيك ومارمية وموباسان وفلوبير ودودية وزولا وسكوت وهاردي وكونراد وكبلبنج، وخاصة للموباسان له مساهمة كبيرة في تطوّر هذا الفنّ على الشكل الفنّي الحديث للقصّة. ثم استمرّت التطوّر بعده في العالم حتّى اليوم.

ظهور القصّة القصيرة في الوطن العربي

إن القصّة نشأت عند العرب مع المجتمع الجاهلي. وهم معروفون في القصّة منذ القديم بموروثاتهم الضخمة. كذلك وردت القصّة في القرآن أولا مثل قصّة يوسف وقصّة أهل الكهف، وكذلك من الدلائل التّاريخية أنّ النّبي صلّى الله عليه وسلّم قد استعان بالقصّاص ليرووا للنّاس حكايات الأوّلين وبطولاتهم. وكان النّبي صلّى الله عليه وسلّم يهتمّ بفنّ القصّة وفضّلها في الدّعوة الإسلاميّة كحملة مسلحة ضدّ الكفّار. وربط رواة القصص بمساجده منهم تميم الداري في مسجد النّبي بمكّة المكرّمة وجندب الهذلي في مسجد المدينة وغيرهما. وكذلك هناك حكايات وأخبار مرويّة عربيّة مثل ألف ليلة وليلة وكليلة ودمنة والبخلاء والأساطير ومقامات الحريري. ولكن هذا التراث لم يعتبره النقّاد كأصل القصّة.

وفي آراء الأدباء العربيين أنّ فنّ القصّة بدأت في اللّغة العربيّة وتعدّ إنّها بنت اللّغة العربيّة، وليس القصّة دخيلة إلى العربيّة من الثقافة الأوروبيّة. وفي رأيهم أنّ أوّل من صاغ في القصّة في شكلها الكتابيّة هو وهب بن منبه اليمني من كبار التّابعين في عصر الأموي في كتابه «التيجان في ملوك حمير» ثمّ ظهر الكاتب عبيد بن شريه الجرهمي من أهل اليمن. وهذان الكتابين لهما دور كبير في نقل القصّة العربيّة القديمة عامة والقصّة اليمنية خاصّة بكتابة القصّة. ثمّ صارت مقامات وقصصا مثل كتاب «رسالة الغفران» للمعري و»البخلاء» للجاحظ حتى تأثّرت بالقصّة التي وردت من أوربا في القرن التاسع عشر الميلادي. وحسب التاريخ في الوطن العربي أن الأدب القصصي العربي الحديث ظهرت بتنوّعه منذ أواخر القرن التاسع عشر. وتقدّم الشام في ريادتها إلى عام ١٨٧٠م ثم جاء مصر مع ظهور أوّل رواية عربيّة حديثة «بزينب» لمحمد حسين هيكل صدرت عام ١٩١٣م وفي العالم

١. د. إبراهيم الفيومي، نقد القصّة القصيرة الأردنية في الثمانينيات ، مجلة فكر نوذجا،ص١٧٢ بحث في كتاب (القصّة القصيرة في الاردن وموقعها من القصّة العربية – أوراق ملتقى عمان الثقافي ٢٢-١٩٩٣/٨/٢٥م،الطبعة الأولى -١٩٩٤م،منشورات وزارة الثقافة.)

العربي بلغت القصّة القصيرة درجة عاليّة من النضج على أيدي يوسف إدريس في مصر، ومحمد بوزفور في المغرب، وزكريا تامر في سوريا.القصّة بصورتها الفنّي كانت في من التراث الغربي لم يعرفها العرب إلّا في القرن العشرين عن طريق التعريب والترجمة. فولدت القصّة القصيرة بصورتها الفنّية في الأدب العربي على يد محمود تيمور، وكان ذلك بنشر قصّته «في القطار» في جريدة «السفور» عام ١٩١٧م.

نشأة القصّة القصيرة في سلطنة عمان

تتحيّز القصّة القصيرة مكانة متقدمة في المشهد الأدبي في سلطنة عمان، قد نشأ الفنّ القصصي في سلطنة عمان ظلّ أصول تاريخية وحديثة مهّدت لها طريقة من جانب فنّ المقامات، والقصّة الشّعريّة، والحكايات الشّعبيّة، وكتابة الخواطر، والتّأثّر بكتابة القصّة في العالم العربي. ومن خلال تتبع تطوّر أشكال القصّ من حيث ابتكار أساليب وأنماط جديدة للسرد، أصبحت القصّة القصيرة في سلطنة عُمان خلال الفترة الأخيرة الإبداع الأبرز في كتابة الأجناس الأدبيّة وأكثرها إنتاجًا وتنوّعًا وغنى، وشكلت مَعلمًا متميزًا في الحركة الثقافيّة العمانيّة.

مراحل تطوّر القصّة القصيرة في سلطنة عمان

مرت القصّة القصيرة في سلطنة عمان بعدّة مراحل :البدايات فالتكوين، والتجريب فالتحديث، ويمكن تخليص تلك المراحل إلى مرحلتين أساسيتين: الأولى مرحلة الريادة، والتالية مرحلة النّضوج، وتختلف مستويات هاتين المرحلتين فنّيًا وزمنيًا وأسلوبيًا، إنّ الرّوّاد الأوائل من كتّاب القصّة القصيرة في عمان بدأ الكتابة مستندا إلى حقيقة فلسفية تتخلّص في «أنّ الشّاعر ينظر في المرآة بينما القاصّ ينظر من النّافذة» جيل وقد ركز كتّاب القصّة في بدايات كتاباتهم القصصيّة على الحديث عن التغيير الكبير في العادات والتقاليد التي تتم داخل إطار المجتمع، وذلك في بدايات تحوّلاته من مجتمع قبلي محافظ إلى مجتمع يعتنق مفاهيم المدينة، ويتبنى طرقا وعادات جديدة على تقاليده وأعرافه، حيث دخلت الحياة الاجتماعية أشياء عديدة بسبب التحولات الاجتماعية المعروفة.حيث يعتمد كتّاب المرحلة الأولى على الأسلوب التقليدي في كتابة القصّة، ويعتمدون على فنيات القصّة التقليدية التي تتبع البداية، ثم العقدة، ثم الحل، والاعتماد على الحوار المطول، ولغة السرد المباشر من دون محاولة منهم لاستخدام أساليب القصّة الحديثة، بينما يعتمد كتّاب المرحلة التالية: على أساليب قد تكون أكثر حداثة وتنوّعا، من خلال استعمال فنيّات أخرى نحو، الاسترجاع، والمناجاة الداخلية، وتكثيف لغة الحوار.ففي مرحلة البدايات قام عبدالله الطائي برايادة القصّة القصيرة في سلطنة عمانمع قصصه الأولى عام ١٩٤٠م. وهي مجموعته القصصيّة «المغلغل»،[١] وهي إختفاء إمرأة، وأسف، وخيانات. واستمدّ مواد قصصه من الواقع العماني الضيّق، ثمّ انتقل في بعض قصصه إلى واقع العالم العربي كالقضيّة الفلسطينيّة، ثمّ نشر الشاعر محمود الخصيبي مجموعته القصصيّة «قلب للبيع» بتاريخ ٢٠ مايو عام ١٩٦٢م. في مجلّة أخبار الأسبوع، ونشرت هذه القصّة بتاريخ ٢١ أبريل ١٩٧٤ في جريدة عمان أيضا. ولقد كشفت كتابات الخصيبي القصصيّة أنّه يمتلك الفكرة القصصية، ولكن لم يحوّلها إلى قصّة ذات عناصر فنيّة واضحة، فهو يمتلك معظم العناصر القصصية نحو الحدث القصصي والحوار والشخصيّات، ولكن تنقصه الخبرة الكافية لكتابة قصّة قصيرة مكتملة الأحداث والعناصر.

١. مع تصرف .آمنة الربيع ،البنية السردية للقصة القصيرة في سلطنة عمان (١٩٨٠-٢٠٠٠)،المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٥م.

ولقد تلا مرحلة البدايات مرحلة الإنطلاقة الفنية، وتمثلها المجموعة القصصية «سور المنايا» لأحمد بلال وتلاها بمجموعتيه «وأخرجت الأرض « و»لا يا غريب»، وجاء بعدهما سيف الرحبي من خلال أعماله القصصية «من تجليات النزهة الجبلية، هذيان الدمى، الانطفاء الباكر»، وهذه الأعمال القصصيّة خليط من الرمزيّة والأسطوريّة والفنتازيّة والسورياليّة، وفيه إشارة إلى التراث العربي والعالمي، ثم جاء محمد القرمطي من خلال مجموعته القصصيّة «ساعة الرحيل الملتهبة»، وتفوح من قصص القرمطي الرموز الأسطوريّة وعناصر الفلكلور، ويتفاعل مع تراثه الشعبي، وقصصه صاخبة بالانفعالات.وقد جاء القاصّ يحي بن سلام المنذري بالقصّة الفنيّة مع مجموعته القصصيّة «نافذتان لذلك البحر»، وتُعدّ مجموعته القصصيّة «رماد اللوحة» نقلة فنيّة رائعة في مضمون القصص، وفي التقنيات القصصيّة المتبعة من قبل الكاتب، ومستويات الكتابة الإبداعية، وهي تتّسم كغيرها من قصص هذه الفترة بالرومانسية والتحليق في الفضاء الواقعي والإنساني،بعد ذلك جاءت مرحلة الحداثة، وأخذت القصّة شكلها الفني الذي يتفق وروح العصر ومعطياته كالتكثّف واللّغة الشعريّة المتوهّجة، وأدّى هذا التطوّر إلى تغيير مفهوم الحبكة، وظهر ذلك في قصص سليمان المعمري التي حقّقت انسجامًا متميّزا بين الشكل والمضمون.

والقصّة القصيرة في سلطنة عمان منذ منتصف عقد الثمانيات، وأوائل التّسعينات، كانت قد تحرّكت في إطار المغامرة، والتّجريب والانفتاح على تجارب مغايرة، وهذا يعني أن القصّة القصيرة في سلطنة عمان قد تطوّرت تطوّرا جيّدا[١]. ويتجلّى حضور القصّة القصيرة في الفترة الأخيرة من خلال زيادة عدد الإصدارات القصصيّة، وظهور أسماء جديدة مقارنة بما كان عليه الحال في العقدين الماضيين.فعدد المجموعات القصصيّة التي صدرت خلال السنوات السبع الأولى من هذا العقد تجاوز عدد ما صدر منها خلال العقدين الماضيين. وبعد قيام النهضة العمانية عام ١٩٧٠ توالى نشر القصص القصيرة في الصحافة المحلية وخصوصا في جريدتي عمان والوطن ومجلات العقيدة والسراج والغدير، وقد ظهر في هذه الفترة عدد من الكتاب الذين أسسوا لكتابة القصة القصيرة في عمان ومنهم، محمود الخصيبي، سعود المظفر وأحمد بلال بحار وحمود السيابي، وكان البعض منهم يلجأ إلى الكتابة تحت اسم مستعار.فما بين "سور المنايا" للمرحوم أحمد بلال، وهي أول مجموعة قصصيّة عمانيّة، والتي صدرت عام ١٩٨١، و"ما قالته الريح" لمحمد سيف الرحبي، التي صدرت عام ١٩٩٩، هناك حوالي ٤٠ مجموعة قصصيّة في حين بلغ عدد المجموعات القصصيّة التي صدرت في سبع، ما بين مجموعة "حد الشوف" لـ: سالم آل تويه، التي صدرت عام ٢٠٠٠م.، و»عيون الفتى الميت» لـ: ناصر المنجي، هناك حوالي ٤٧ مجموعة قصصيّة،ثمّ تتابعت القصص.وفي تلك الفترة عددًا من الشعراء المتمكنين في المشهد الشعري العماني، خاضوا تجربة كتابة القصة القصيرة أيضا. والساحة القصصية العمانية في غنى متزايد بالمجموعات القصصية لأسماء إبداعية متميزة تمسكت بصنعتها وسعت لإبراز موهبتها وإبداعها بإصدار المجموعات القصصية، سواء ما كان بجهد ذاتي أو ما دعم بالمؤسّسات الحكوميّة كوزارة التّراث والثّقافة والنّادي الثّقافي أو الأهلية كالجمعيّة العمانيّة للكتّاب والأدباء . وقد أظهرت أسرة كتّاب القصّة والنّادي الثّقافي جهدًا كبيرًا في احتواء الأسماء الإبداعيّة الجديدة، وتبني إصدار المجموعات القصصيّة لأسماء اكتفت بالنّشر في الصّحف المحليّة والعربيّة، وهي ذات موهبة فنيّة راقيّة. فالسّاحة السرديّة العمانيّة في غنى وكثافة إنتاجية كمّا وكيفا. ولقد كان للبيئة العمانية أثر كبير في كتابة القصة القصيرة، وتتبع المؤثرات التي تدفع بالشخوص للتحرك وأداء الفعل القصصي من خلال حركة البيئة العمانية سلبا أو إيجابا، ونعني هنا المؤثرات البيئية التي تسهم في تشكيل الأحداث، وتطورها من خلال حركة البيئة والناس.

١. ماهر حسن فهمي : تطور الشعر الحديث بمنطقة الخليج العربي،مؤسسة الرسالة، الدوحة، ١٩٨١م. مع تصرف.

حيث إن للبيئة البحرية والقروية والزراعية، وبعض المفاهيم الشعبية تأثيرات واضحة في بناء حركة القصة، وفي تحريك أحداثها في العديد من القصص العمانية.

ويكاد البحر يكون شخصية مركزية في خلفية كثير من القصص العمانية، كأنه بطل من أبطالها غير المرئيين، ولكنه فاعل أساسي في بناء هذه القصص وحركتها، فالبحر هاجس مركزي للقصة القصيرة العمانية، وحقل دلالي ترميزي من طراز خاص، ويمثل هذا العنصر إحدى خصوصيات القصة العمانية، والبحر يعني في السياق القصصي الفضاء المكاني الطبوغرافي، الذي يؤطر الأحداث والشخوص، ويحدد هويتها وخصوصيتها. هذا وقد ارتبطت نفوس الناس بالبحر، وغدا شيئا كبيرا في وجدانهم، وكثرت مغامراتهم معه، الأمر الذي جعله حاضرا في الإبداع، فهو لوحة رمزية يعكس منزلة الإنسانية الوجودية. وتعد بيئة البحر الأكثر حضورا في القصة العمانية، وموضوع البحر من الموضوعات الأثيرة لدى الكثير من الكتاب، وله تأثير مباشر في بناء الحدث القصصي أو نهايته وفي تشكيل الرؤية القصصية، وقد يشترك البحر في تشكيل أحداث القصّة وتطوّرها بشكل سلبي وإيجابي أحيانا حسب رؤية القاص. وبالإضافة إلى كون البحر مصدرا من مصادر الرزق، مثلما يرد في كثير من القصص، فإنه يكون في قصص أخرى مصدرا من مصادر العذاب والشقاء لبعض الأسر العمانية، وتبدو صورة البحر السلبية مسيطرة على معظم القصص العمانية، لكنه يبدو في بعض القصص الأخرى مكانا رومانسيا جميلا هادئا، وفي البعض الآخر يبدو مكانا آمنا للانتحار أو الانتهاء من حياة بعض الشخصيات المنهارة. ويستخدم الكتّاب العمانيون البحر مؤديا لوظائف دلالية مختلفة، ويتفاوت استخدامه وتوظيفه من قاص لآخر، ومن قصة لأخرى، حيث يتحول المشهد القصصي من واقع آني أو ماض إلى دلالات أخرى، لها ارتباطات مباشرة بالبيئة وأبعادها المختلفة، وذلك من خلال رصد الواقع الإنساني والاجتماعي لدور البحر في حياة مجتمع الصيّادين والمناطق القريبة من البحر.

وقد تبنى بعض كتاب القصّة مشاكل المجتمع ذات الأبعاد الاجتماعية، وحاولوا تقديم رؤيتهم حول القضايا الاجتماعية ونظرتهم إلى التطوّرات الحضاريّة الّتي مرّ بها المجتمع، والإتّصال بالوافدين الجدد، والصّراع بين قيم المجتمع المحافظة، والمفاهيم التي تبشّر بها المدنيّة الجديدة، ولقد تعدّدت أنماط تناول الرؤية الإجتماعيّة لدى كتّاب القصّة. وتناول العديد من كتّاب القصّة قضيّة الصّراع الحضاري بين قيم المجتمع المحافظ والقيم الغربية المستحدثة، التي جاءت بها حركة التّغييرات الجديدة التي أصابت المجتمع، والّتي انتشرت من خلال أدوات الحضارة الغربيّة في تلك الفترة.

لقد نجح الكتّاب العمانيّين بنيل جوائز عربية شتّى بثراء الساحة الأدبيّة المحليّة، مثل الكاتب سليمان المعمري الذي فاز بجائزة يوسف إدريس العربية في دورتها الأولى عام ٢٠٠٧م. عن مجموعته القصصيّة «الأشياء أقرب مما تبدو في المرآة»، والكاتب محمود الرحبي الفائز بجائزة دبي الثقافية في دورتها السادسة عام ٢٠٠٩م. عن مجموعته «أرجوحة فوق زمنين»، وقد رشّحت رواية «تبكي الأرض يضحك زحل» للكاتب عبد العزيز الفارسي للقائمة الطويلة للبوكر العربية في دورتها الأولى عام ٢٠٠٨م.، إضافة إلى الجوائز التي حصلت عليها جوخة الحارثي وأصبحت كاتبة عربية مشهورة في العالم مع نيل جائزة مان بوكر الدّوليّة بالمشاركة مع الأكاديميّة الأمريكية مارلين بوث عن روايتها سيّدات القمربسنة ٢٠١٩م. وهدى الجهورية في جائزة الشارقة للإبداع، وغيرها من الجوائز الدولية التي استحوذ عليها جيل الشباب البارز بشخصية قصصية متميزة، وبقدرة على البوح، صانعًا بذلك فنًّا

قصصيًا راقيًا، ولا نشك أبدًا في أن قاصين عمانيين مثل سليمان المعمري ومحمود الرحبي وعبد العزيز الفارسي وآخرين غيرهم، يرتقون في كثير مما كتبوه إلى أعلى المستويات التي بلغها السرد العربي الحديث رؤية وبلاغة خطاب ومعرفة بآليات القصّ وأساليبه.

وكان للنسوة حضور بارز في الفنّ القصصي العماني، لقد برزت أكثر من عشرين قاصة عمانية خلال الفترة الأخيرة جئن إلى عالم الإبداع القصصي، تتقدمهن «بشرى خلفان» بلا منافس في جرأة بلا ضفاف ولغة تحطم الحواجز بين عالم المرأة والرجل لتحكي قصة الإنسان خارج إطار المكان ومعها «أزهار أحمد»، و»رحمة المغيزوية»، و»حنان المنذرية». وجوخة الحارثي وهدى الجهورية وخولة الظاهرية وسواهن، واستطاعت هذه الأسماء إبراز شخصيتها في سماء السرد العربي، وذلك بتميز كتابتها تقنيّة وأسلوبًا، وبمشاركاتها العديدة في المحافل الإبداعية التي نالت بها مراتب لا ينالها إلا ذوو المحتوى الراقي المتسم بجودة المحتوى. والمستشرف للمستقبل يراهن على أن الكاتبة العمانية تتبوأ منزلة عالية بين مثيلاتها في العالم العربي.

نشاط الحركة القصصيّة

يعدّ من العوامل التي ساعدت على نشاط الحركة القصصيّة في سلطنة عمان «نشاط المؤسّسات الثقافيّة والأدبيّة» ويتمثّل نشاط المؤسّسات الثّقافية والأدبيّة في أنشطة النّادي الثّقافي، المنتدى الأدبي، والجمعيّة العمانيّة للكتّاب والأدباء، والجماعات الأدبيّة بالكليّات والجامعات، وقد قامت هذه المؤسّسات والجماعات بدورها الفعّال في مسيرة الحركة الثّقافيّة وتطوّرها، بما في ذلك فنّ القصّة القصيرة، والأخرى من أنشطة ثقافيّة فعّالة كالنّدوات والدّراسات التّخصصية أو القراءات القصصيّة والنقديّة وغيرها، وقد استقدمت النّوادي الثّقافيّة والأدبيّة المفكّرين العرب، وكانت حصيلة هذه المواسم مجموعة من المحاضرات والدّراسات التّخصصية في فروع المعرفة المختلفة، وإثراء للحياة الفكريّة بصورة عامة، ويكفي أن نقرأ محاضرات الموسم الثّقافي في أيّ دولة من دول الخليج، لندرك تطوّر الحياة الفكريّة فيها والشوط الذي قطعته في هذا السبيل، ومن هذه الإصدارات في سلطنة عمان فعّاليّات ومناشط وهي «حصاد أنشطة المنتدى الأدبي» و»سعفة تحرّك قرص الشّمس» إصدار النّادي الثّقافي، وغيرها من الإصدارات. مع أنّها قامت هذه المؤسّسات بإقامة المسابقات الأدبيّة والقصصيّة، التي يتبارى فيها القصّاصون بالمشاركة بآخر إبداعاتهم المتميّزة، والتي تضمّن فيها القصص الفائزة كتابا تنشر فيه وتوثّق.

الصّحافة

كانت الصحافة عاملًا بارزا ساعد على نشاط الحركة القصصيّة بسلطنة عمان، إذ شجّعت الصّحافة بأنواعها من المجلّات والصّحف اليوميّة القاصّين على نشر إبداعاتهم، من خلال الملاحق الثقافيّة والأدبيّة. وتعتبر الصّحف وسيلة حيّة وسريعة لإبراز الجديد من الكتابات الإبداعيّة، ومن خلال متابعة الاهتمام بنشر القصّة القصيرة في الصّحيفة نالت القصّة انتشارًا واسعا في السّلطنة، وجدت عناية جيدة بهذا الفنّ، إذ يحوى كل ملحق ثقافي أسبوعي قصّتين قصيرتين إضافة إلى الدّراسات القصصيّة النقديّة التي نطالعها بين الفنّية والأخرى، وهذه العناية بالقصّة القصيرة تشي بمدى التّلقي الذي يحظى به هذا الفنّ في الأوساط الشعبيّة، وتبرز اهتمام الكتّاب بهذه الصنعة الأدبيّة من خلال متابعة النّشر وإثراء الحركة القصصيّة. إنّ مساحة الفكر والأدب والثّقافة في الصّحافة اليوميّة والأسبوعيّة والشهريّة، إنّما هي مساحة جيدة تغطي فعّاليّات المجتمع الثّقافي المحلّي، وتستقطب

كتابات خارجيّة قائمة على شؤون الفكر، فهي تتبادل الأخذ والعطاء وتقدّم الصّورة الثّقافية العمانيّة للخارج، وتحيط المتلقي والقارئ العماني بمجريّات الأمور الفكرية والثّقافيّة في العالم الخارجي، كما تسهم في إثراء حياتنا الثّقافيّة، وتعميق قضايا الأدب والفنّ والفكر، وزيادة مؤشّرات الوعي الثّقافي لدى العماني الذي تعد الآداب والفنون أحد أهمّ عناوين ذوقه وتذوّقه وشخصيته.

الإذاعة

لا يخفى الدور الذي تقوم به الإذاعة في نشر فن القصة القصيرة في الأوساط الشعبية، إذ انتظمت إذاعة سلطنة عمان بتقديم قراءة يومية لقصة قصيرة للمبدعين العمانيّن أو لقصص مترجمة من لغات أخرى. ويأتي دور الإذاعة مكملًا لدور الصحافة في بث الوعي بجمالية القصة القصيرة، وإمتاع ذائقة المتلقي باختيار نخب من الإبداعات، التي تغرس مفهوم القصة، وأرسل رسالتها إلى المستمعين، إضافة إلى إبراز هذا الفن كفن سردي مستقل عن الفنون الأخرى، له بناؤه، وأسلوبه، وعليه اشتغلت أسماء سطرت حضورها في ساحة الإبداع الأدبي.

جماعة الترجمة

قامت جماعة الترجمة بجامعة السلطان قابوس والجامعات الأخرى بترجمة بعض القصص القصيرة لمبدعين من لغات عدة، بهدف اطلاع المتلقي العماني على إبداعات الآخر، وصقل موهبة الكتّاب باطلاعهم على الكيفية التي يكتب بها الكتّاب العالميون ، والأساليب والتقنيات الحكائية التي يستخدمونها،ولم يقتصر دور الترجمة على نقل السرديات من اللّغات الأخرى إلى العربية، إنما تعدى ذلك إلى نقل مجموعة كبيرة من الإبداعات العربيّة والعمانيّة إلى اللّغة الإنجليزية واللّغات الأخرى.[١]

الخاتمة

بخلاصة القول إن القصّة القصيرة في سلطنة عمان قد خطّت خطواتها الصعبة ووصلت إلى نجاحها الكاملة مع جهود بعض المبدعين العمانيّين منهم الذّكور والإلى نجاحها الكاملة مع جهود بعض المبدعين العمانيّين منهم الذّكور والإناث مثل رائد القصّة العماني عبدالله الطائي وصاحبة جائزة مان بوكر جوخة الحارثي، من خلال هذه الدّراسة نتمكّن أن نثبت أنّ القصة القصيرة في سلطنة عمان أصبحت متميّزة في خصائصها الماديّة والمعنويّة بين البلدان العربيّة الأخرى.

المصادروالمراجع

١. آمنة الربيع ،البنية السردية للقصة القصيرة في سلطنة عمان (١٩٨٠-٢٠٠٠)،المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٥م.

٢. أحمد بلال بحار: سور المنايا،المطابع العالمية، مسقط،١٩٨١م.

١. ناصر أبو عون: القصة القصيرة في عمان.. شعرية القص وجماليات السرد والمكان، عمان، مسقط، دار كنوز المعرفة،٢٠١٥م . مع تصرف.

٣. أحمد بلال بحار: وأخرجت الأرض، مطابع العقيدة، روي،١٩٨٣م.

٤. أحمد بلال بحار: لا يا غريب، المطابع العالمية، روي،١٩٨٧م.

٥. سليمان المعمري، ومازن حبيب: سعفة تحرك قرص الشمس"، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٩م

٦. سيف الرحبي: ديوان الجبل الأخضر ، دمشق ،١٩٨٣م.

٧. شبر الموسوي، القصة القصيرة في عُمان من عام ١٩٧٠ وحتى ٢٠٠٠م، وزارة التراث والثقافة، مسقط، ٢٠٠٦م

٨. ضياء خضير: القلعة الثانية، دراسة نقدية في القصة العمانية المعاصرة، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٩م.

٩. عبد الله الطائي،المغلغل، مطابع العقيدة، مسقط، عمان،١٩٩٤م.

١٠. علي سالم المانعي،القصة العمانية القصيرة – التاريخ والواقع،ملحق نون- العدد الخامس عشر- الاثنين ٢٠١٠/٩/٦م.

١١. ماهر حسن فهمي : تطور الشعر الحديث بمنطقة الخليج العربي،مؤسسة الرسالة، الدوحة، ١٩٨١م.

١٢. محمد عيد العريمي: توظيف المتخيل الشعبي في القصة العمانية القصيرة، ندوة القصة القصيرة العمانية.. أفق التحولات ((٢٠٠١. ٢٠٠٦ « «،النادي الثقافي»١٠.١١ نوفمبر ٢٠٠٧م».

١٣. محمد مروشية، القصة القصيرة العمانية المعاصرة (الريادة والتأصيل)،مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، العدد٥، ٢٠٠١م، ص(١١٥-١٣٨).

١٤. محمد القرمطي، ساعة الرحيل الملتهبة، مسقط،مطبعة الألوان الحديثة، ١٩٨٨م.

١٥. محمود الخصيبي، (قلب للبيع) ، مطابع العقيدة ،روي ،١٩٨٣م.

١٦. ناصر أبو عون: القصة القصيرة في عمان، شعرية القص وجماليات السرد والمكان، عمان، مسقط، دار كنوز المعرفة، ٢٠١٥م.

الفروق الفردية في القرآن الكريم

الدكتور/ يونس سليم

الملخص

الفروق الفردية (Individual Difference) مبحث هام في علم النفس الحديث وفي علم النفس القرآني كليهما، ونرى فروق كثيرة بين الناس في إستعدادهم وقوّاتهم البدنية والنفسية والعقلية. وترجع هذه الفروق إلى تفاعل كل من العوامل الوراثية والبيئية. وقد أشار القرآن الكريم إلى الفروق بين الناس في كثير من المواضع» وهُو الّذي جَعلَكُمْ خَلائِفَ الأرضِ وَرَفعَ بَعْضُكُمْ فَوقَ بَعْضٍ دَرَجاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِيمَا ءَاتَاكُمْ..»[١] وقد نرى أيضاً يقول الله تعالى: «ومن ءايَاتِهِ خَلْقُ السّماَوَاتِ والأَرضِ واخْتِلاَفُ أَلْسِنتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إنَّ في ذلك لآيَاتٍ لِّلْعَالَمِين»[٢] وفي الآية «إن سعيكم لشتى»[٣] والآية» قُلْ كُلٌّ يَعمَلُ على شَاكِلَتِهِ..»[٤]

القرآن وجنسية الإنسان

وهكذا نرى كثيرا من الآيات القرآنية في هذا الموضوع. فيها إشارات واضحة إلى وجود الفروق الفردية بين الناس، كما أن هذه الآيات تتضمن أن هذه الفروق ترجع إلى كل من العوامل الوراثية والبيئية. فقوله تعالى:» أنظر كيف فضّلنا بعضهم على بعض...»[٥] إنما يشمل كل أنواع الفروق بين الناس سواء كانت وراثية أم مكتسبة، وسواء كانت بدنية أو نفسية أو عقلية، أو في الثروة والممتلكات، أو النفوذ. وقوله تعالى: يا أيّها الناس إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم»[٦] إن من آياته إختلاف ألسنة الناس وألوانهم إنما يشير إلى أثر كل من العوامل الوراثية والبيئة في الفروق الفردية. فمن الواضح أن إختلاف الألوان إنما يرجع إلى العوامل الوراثية، وأن إختلاف الألسنة واللغات واللهجات بين الناس لإنما يرجع إلى العوامل البيئية والإجتماعية والثقافية .وتوجد فروق بين الناس في العلم والحكمة، ويتضمن ذلك وجود فروق بينهم في القدرات العقلية والذكاء. يفهم ذلك من مضمون الآيات التي ورد هنا سابقاً.

١. سورة الأنعام ،الآية رقم ١٦٥
٢. سورة الرومالآية رقم ٢٢
٣. سورة الليل الآية رقم ٤
٤. سورة الإسراء ،الآية رقم ٨٤
٥. سورة الإسراء الآية رقم ٢١
٦. سورة الحجرات، الآية رقم: ١٣

وقال ابن كثير في تفسيره عن ذلك: قال حسن البصري: ليس عالِمٌ إلاّ فوقه عالِمٌ حتى ينتهي إلى الله سبحانه. وعن سعيد بن جبير قال: كنا عند ابن عباس (ر) فحدّث بحديث عجيب، فتعجب رجل فقال: الحمدلله، فوق كل ذي علم عليم، فقال ابن عباس: بئس ما قلت، الله العليم فوق كل عالم، يكون هذا أعلم من هذا، وهذا أعلم من هذا، والله فوق كل عالم»[١] إن الناس مختلفون في قدراتهم وإستعداداتهم، وفي ظروفهم الثقافية والإجتماعية وخبراتهم الشخصية فإننا،لاشك، نتوقّع وجود اختلافات كثيرة في سلوكهم.

والآية» قُلْ كُلٌّ يَعمَلُ على شَاكِلَتِهِ..»[٢] المراد هنا كل إنسان يعمل على طبيعته وطريقته. واختلاف الإنسان في استعداداته وقدرته البدنية والعقلية يؤدي بطبيعة الحال إلى اختلاف قدراتهم على العمل والكسب، وتحصيل العلم ، وتختلف طبعاً لذلك واجباتهم ومسؤولياتهم، وذلك بناءا على قوله تعالى» لا يكلّف اللهُ نفْساً إلاّ وُسْعَهاَ لَهاَ مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ..»[٣]

والإعتبار بالفروق الفردية موضوع هام في علم النفس الحديث، وفي نفس الوقت، أصل قرآني أيضًا، بناءا على قوله تعالى: «لايكلّف الله نفسًا إلا وسعها» ويستعين علماء النفس المحدثون أيضاً بقياس الفروق الفردية بهدف تحسين عملية التوجيه المهني والإختيار المهني بحيث يمكن وضع كل شخص في العمل المناسب لإستعداداته وقدراته.

الفروق الفردية (Individual Difference) مبحث هام في علم النفس الحديث وفي علم النفس القرآني كليهما، ونرى فروق كثيرة بين الناس في إستعدادهم وقوّاتهم البدنية والنفسية والعقلية. وترجع هذه الفروق إلى تفاعل كل من العوامل الوراثية والبيئية. وقد أشار القرآن الكريم إلى الفروق بين الناس في كثير من المواضع» وهُو الّذي جَعلَكُمْ خَلائِفَ الأرضِ وَرَفعَ بَعْضُكُمْ فَوقَ بَعْضٍ دَرَجاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِيمَا ءَاتَاكُمْ..»[٤].وقد نرى أيضاً يقول الله تعالى: «ومن ءايَاتِهِ خَلْقُ السّماَوَاتِ والأَرضِ واخْتِلاَفُ أَلْسِنتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إنَّ في ذلك لآيَاتٍ لِّلْعَالَمِين»[٥] وفي الآية «إن سعيكم لشتى»[٦]والآية» قُلْ كُلٌّ يَعمَلُ على شَاكِلَتِهِ..»[٧]

الخاتمة

ويلاحظ أن مظاهر النمو ترتبط مع بعضها ارتباطاً وثيقاً، فالطفل الذي يمتاز بذكائه ويمتاز أيضاً بإستعداداته الأخرى وقدراته المختلفة وفي ثباته الإنفعالي وفي تفاعله الإجتماعي وفي نموه العام، وتدلّ الملاحظات

١. مختصر تفسير إبن كثير ،ج٢،ص ٢٥٧
٢. سورة الإسراء ،الآية رقم ٨٤
٣. سورة االبقرة،الآية رقم٢٨٦
٤. سورة الأنعام ،الآية رقم ١٦٥
٥. سورة الرومالآية رقم ٢٢
٦. سورة الليل الآية رقم ٤
٧. سورة الإسراء ،الآية رقم ٨٤

العلمية على أن ضعاف العقول من البلهاء والمعوقين يتأخرون في نموّهم الجسمي والنفسي والإجتماعي، وتدلّ أيضاً على أن الأذكياء يراهقون قبل الأغبياء،هذا وإذا تساوت جميع الظروف المختلفة تختلف سرعة النمو عند الذكور عن سرعة النمو عند الإناث وتدل الملاحظات العلمية الدقيقة على أن الذكور يفوقون الإناث في حجمهم وفي وزن أجسامهم بعد الميلاد ثم تزداد سرعة نمو الإناث حتى تفوق نمو الذكور، وبذلك تميل الفروق الفردية بين الأطفال إلى الثبات

المصادروالمراجع

١. القرآن الكريم

٢. محمد على الصابونى، مختصر تفسير ابن كثير، دار القرآن الكريم، بيروت، لبنان، ٢٠٠٦

نشأة النحو العربي وتطوره عبر الزمان

السيد/ أحمد كويا[١]

الدكتور/ سيد علوي[٢]

الملخص

لما أن نحو كل لغة هو المدار الرئيسي لإدراك مضمونها وتحليل موادها يعرف علمَ كُلِّ العلوم اللغوية كما أن النحو العربي يعبَّر بأنه علم كل العلوم العربية. وهو من العلوم التي تولد كحاجية عصرية بحيث احتاجت المتطلبات العصرية نشأتها، واشتاقت ألباب اللغويين ولادتها، واضطرت أصوات الأزمنة لظهورها، وذلك كما سنفسر تفاصيله فيما بعد إن شاء الله تعالى. وليس في مقدور أحد يمارس لغة من اللغات العالمية أن يتخلص من العلوم النحوية فيهالأن يتمهر في مضامينها ويتبحر في أغوارها.

وإنما عدّه العلماء من اللغويين وغيرهم من اللوازم اللغوية التي لا يتم إدراك اللغة إلا به كما يقول النحوي الكبير والتابعي الجليل عامر الشعبي «النحو في العلم كالملح للطعام لا يستغنى عنه»[٣].ومن كلام مالك بن أنس رضي الله عنه «الإعراب حلي اللسان، ولا تمنعوا ألسنتكم حليها».[٤] وقد أطال بعضهم في تفصيله حتى قال بأن حق من لم يعرف النحو أن يسكت من أن ينطق شيئا من الكلام العربي..! ومن الحقيقة الواضحة أن معرفة القوانين النحوية هي التي تصوّب المعاني والأفكار في العبارات اللغوية حتى يقتدر بها القارئ والمستمع الفهم الصحيح.

والنحو العربي يحمل تاريخًا عظيمًا بهيًّا يعلن مزيته ويُظهر خاصيته من سائر الفنون العربية. وازدهرت العلوم النحوية على مر الزمان فيما يتعلق بقدوم النحاة العباقر وتصنيف الكتب المتنوعة وبناء فروعها المختلفة حتى لا تزال تتوسع ميادينها وآفاق تطبيقها وفقا لزماننا هذا. وهذه دراسة يسيرة لإدراك الجوانب التاريخية في النحو العربي وللوقوف على رحلتها وتطورها عبر العصور، كما أنها تحاول استخراج تلك الاختلافات المتفرقة والآراء المتعلقة بنشأة النحو العربي وتولد نظرياته وقواعده، وإظهار المواقف المعتمدة عليها من العلماء البارزين و هي أيضا تسلط الضوء إلى أهم الأعلام وأمهات الكتب المشهورة في هذا المجال.

قبلما نخوض إلى الجوانب الرئيسية لموضوعنا نطّلع إلى حد النحو و شتى تعاريفه لغة واصطلاحا بالوقوف على كيفية ما عرفه النحويون وعلماء اللغة.

تعريف النحو في اللغة والاصطلاح

١. باحث، قسم الماجستير والبحوث في اللغة العربية، كلية فاروق، كاليكوت

٢. العميد السابق، كلية النساء الاتحادية، مانجيري، ملابرم

٣. رواه الخطيب البغدادي في كتابه الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ٢\٢٨

٤. طبقات النحويين واللغويين ١٣

كلمة «النحو» تستعمل في اللغةلمعان متعددة، منها القصد كما يقال نحوت نحوك ومنها الجهة والطريق فكأنه ظرف كما يقال نحا الطالب نحو المدرسة، والمعنى الآخر هو التحويل والتحريف إلى جانب أو حالة غير الأولى. ونحى الشيئ ينحوه وينحاه بمعنى حرّفه قيل ومنه سمي النحوي لأنه يحرف الكلام إلى وجوه الإعراب»[١]. ومن المعاني اللغوية للنحو أيضا «المقدار» مثاله في الكلام 'أعطيت لصديقي نحو ألف روبية صدقةً'، ومنها معنى الشبه والمثل. وكذلك يأتي لفظ النحو لمعان أخر مثل النوع والقسم كما نقول نحوت مالي بين أولادي، ومعنى الأصلومعنى البعض كتناولت نحو الطعام وغيرها من المعاني العديدة[٢]. وهو في أصل الكلام مصدر نحا ينحو إذا قصد بالنفس.

ويقول الإمام أبو القاسم الزجاجي في كتابه الايضاح في علل النحو محللا جميع المعاني اللغوية لكلمة 'النحو' «وأصل هذه المعاني هو القصد ، لأن النحو مأخوذ من قول أبي الأسود الدؤلي ، عندما وضع كتابا فيه جمل العربية ثم قال: إنحو هذا النحو أي إقصدوه والنحو هو القصد ، فسمي لذلك نحوا»[3].

وقد اعتبر العلماء من النحويين واللغويين كل ما يتضمنه النحو في بيان المعنى الاصطلاحي للنحو. يقول الإمام ابن السراج في كتابه 'الأصول في النحو' في تعريفه النحو اصطلاحا – ويعد هذا التعريف من أقدم التعاريف لهذا العلم-، وهو يقول "النحو إنما أريد به أن ينحو المتكلم إذا تعلمه كلام العرب ، وهو علم إستخرجه المتقدمون فيه من إستقراء كلام العرب ، حتى وقفوا منه على الفرضى الذي يقصده المبتدئون بهذه اللغة»[٤].

ونرى في كتاب 'التعريفات'للجرجاني تعريفات أولها «النحو هو علم بقوانين يعرف بها أحوال التراكيب العربية من الإعراب او البناء و غيرهما « وثانيها النحوهو علم يعرف به أحوال الكلام من حيث الإعلال وثالثها هو أنه علم يعرف به صحة الكلام وفساده[٥]. و في رأي العلامة أحمد الهاشميإنه «قواعد يعرف بها أحوال أواخر الكلمات العربية التي حصلت بتركيب بعضها مع بعض من إعراب وبناء وما يتبعهما»[٦]. وقد قدّم غير قليل من اللغويين المهرة مثل الإمام الأزهريوالشيخ إسماعيل بن محمد الأنصاريوالإمام الفاكهي وابن جنيوابن عصفور وغيرهم تعريفات اصطلاحية لعلم النحو، بحيث أن تلكالتعريفات بأجمعها، إن كانت مختلفة في ألفاظها وتراكيب جملها معناها واحد على أن النحو هو العلم عن بعض الأصول التي يعرف بها أحوال أواخرالكلمات من الإعراب والبناء.

اللغة قبل وضع النحو

كانت العرب تمارس اللغة العربية بأساليبهم النقية، بصورة سليمة من كل ما يشينها من تداخلات أجنبية كما أنهم كانوا يسايرون مع اللغة في شؤونهم اليومية في بيوتهم وأسواقهم.وصارت جزيرة العرب مقر الوافدين

١. دفاع عن القرآن الكريم ٥٧

٢. ويأتي أيضًا بمعنى : عند ، القرب ، والبيان والإمالة : نحوت جسمي. وقيل : النحو في اللغة يأتي على أربعة عشر معنًى أشهرها ستةُ معانٍ مجموعة في قول الناظم : وقال الداودي :للنحو سبع معانٍ قد أتت لغة * جمعتها ضمن بيت مفردٍ كمُلا قصد ومثل ومقدار وناحية * نوع وبعض وحرف فاحفظ المثلا

٣. أبو القاسم الزجاجي : الإيضاح في العلل النحو : تحقيق : مازن مبارك : دار النفائس ت ٣٤٠هـ.

٤. بن سراج : الأصول في النحو ٣ -ط -١

٥. أبو الحسن علي محمد بن علي الجرجاني، التعريفات، دار التونيسية للنشر، باب النون، ص٤١٥.

٦. الإمام إبرهيم فوزي في كتابه الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم

تجارا لما أن الأسواق الجاهلية تقام فيها و مركز الواصلين عبادا لما أن الكعبة تقع بها. وبقيت كذلك متماسكة البنيان غير مشوبة بلوثة الإعجام، إلى أن سطع نور الإسلام على ما حول الجزيرة العربية بالفتوحات الإسلامية ودخل الناس في دين الله أفواجا ثم تتابعت الفتوحات في عهد الخلفاء الراشدين،كما كان من الطبعي تقاطر الوافدين من هذه الأمصار المفتوحة إلى الجزيرة العربية.وإن كانت العرب في معرفة وراثية عن اللغة العربية الخالصة، تسببت الاختلاطات والعلاقات من بين هذه البلاد لامتزاج لغتهم العربية مع اللغات الأخرى الوافرة حيث تأثرت هذه الامتزاجات اللغوية في ألسنة العرب بأنفسهم حتى اختشوا تضيع العربية الصافية من أقوام العرب ولا يتميز بين الأصل الحقيقي والفرع التابعي.

وهذا الذي يوضحه الإمام على الطنطاوي في كتاب نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة «وكان أثرا لهذه الفتوحات أن اختلط العرب بغيرهم اختلاطا مستمرا في البيوت والأسواق، والمناسك والمساجد، وتصاهروا واندمجوا في بعضهم حتى تكون منهم شعب واحد اجتمع فيه الصريح والهجين، والمقرف والعبد، اقتضى كل أولئك أن يستمع بعضهم من بعض وأن يتفاهموا في كل ما يتصل بهم ولغة التخاطب الوحيدة بينهم في كل ما يحيط بهم هي العربية، فكان لزاما على غير العربي أن تكون لغته العربية مهما عالج في ذلك وعانى، كما كان لزاما على العربي أن يترفق بغير العربي ويتريث معه في التخاطب، ضرورة التعاون بين الطرفين فكل منهما يسمع من الآخر، والسمع سبيل الملكات اللسانية فما اللغة إلا وليدة المحاكاة وما يصل إلى السمع.وبطول هذا الامتزاج تسرب الضعف إلى نحيزة العربي وسليقته، على أن غير العربي كان ينزع قسرا عنه إلى بني جلدته، وإن طال لبثه بين ظهراني العرب، فقد كان في عهد الرسول صلى الله عليه وسلمصهيب يرتضخ الرومية، وسلمان الفارسية، وبلال وسحيم عبد بني الحسحاس الحبشية. وتولد من هذا كله أن اللغة العربية تسرب إليها اللحن، ووهنت الملاحظة الدقيقة التي تمتاز بها وهي اختلاف المعاني طوعا لاختلاف شكل آخر الكلمة، فإن هذه الميزة كانت موفورة لديهم وهم يعبدون عن مخالطة سواهم من ذوي اللغات الأخرى التي خلتمنها. ولقد كان هذا النوع أول اختلال طرأ على اللغة العربية، منذ كان الإسلام، وكان الموالي والمتعربون، وطفق يزداد رويدا رويدا ما طال الزمن وتفسحت رقعة الإسلام»[١]

وفيما يتعلق ما نفهم من التواريخ اللغوية،كان وضع النحو في عصر صدر الإسلام.ولم يك قبل الإسلام ما يحمل العرب على النظر إليه ، فإنهم في جاهليتهم غنيون عن تعرفه ، لأنهم كانوا ينطقون عن سليقة جبلوا عليها ، فيتكلمون في شئونهم بدون إعمال فكر ، أو رعاية قانون كلامي يخضعون له ، قانونهم ملكتهم التي خلقت فيهم ، ومعلمهم بيئتهم المحيطة بهم ، بخلافهم بعد الإسلام ، إذ تأشبوا بالفرس والروم والنبط وغيرهم ، فحل بلغتهم ما هال عليها وعلى الدين من الألحان ، حتى هرعوا إلى وضع النحو. وهذا هو التحقيق الذي عول عليه الجمهور.

نشأة النحو

النحوالعربي نشأ من الجو العربي لما أن الأسباب الهامة التي تسببت لقدوم هذا العلم الجليل تولدت من الأراضي العربية. وزعم بعض المستشرقين «إن علم النحو منقول من لغة اليونان، لأن وضعه في العراق،وإنما كان بعد اختلاط العرب للسريان تعلموا ثقافتهم، وللسريان نحو قديم ورثوه عن اليونان».ولكننا نقول: إن الدافع الذي مهد لنشأة الدراسات النحوية هو الخوف على نصوص القرآن الكريم من التحريف نتيجة لتوسع رقعة

١. نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة للشيخ الطنطاوي ص٥-٧

الدولة الإسلامية ودخول غير العرب من الدين الجديد. يقول الشيخ محمد الطنطاوي محكيا قول العالم المؤرخ ليتان «اختلف الأورباويون في أصل هذا العلم، فمنهم من قال إنه نقل من اليونان إلى بلاد العرب.وقال آخرون ليس كذلك،وإنما كما تنبت الشجرة في أرضها كذلك نبت علم النحو عند العرب، وهذا هو الذي روى في كتب العرب من زمن ،. ونحن نذهب في هذه المسألة مذهبا وسطا وهو أنه أبدع العرب علم النحو في الابتداء ، وأنه لا يوجد في كتاب سيبويه إلا ما اخترعه هو والذين تقدموه ، لكن لما تعلم العرب ، الفلسفة اليونانية من السريان في بلاد العراقي تعلموا أيضا شيئا من النحو.

والدواعي الرئيسية لوضع النحو وقواعده ترجع إلى ثلاثة منها : الدينية ، التي ترمي إلى ضبط قراءة النص القرآني ، ومنها : القومية ، للحفاظ على اللغة العربية بوصفها هُوية العربي ، ومنها : الاجتماعية ، لنشر العربية وتيسير تعلمها بين المسلمين غير العرب.

وقد اختلف العلماء في أول ما وضع منه على رأيين:أحدهما: أن أول ما وضع من أبوابه هو ما وقع اللحن فيه، ثم استمر الوضع فيما بعده على هذا النمط، وذلك ما ذهب إليه جمهور النحاة اعتدادا بالروايات المستفيضة التي اقترن فيها الوضع باللحن، إلا أن تعيين الباب الموضوع أولا منوط بالرواية التي قوي سندها من بين الروايات.والآخر: أن أول ما وضع منه ما كان أقرب إلى متناول الفكر في الاستنباط، لأن وضعه مبني على أساس من التفكير في استخراج القواعد من الكلام لداعي انتشار اللحن، فالموضوع أولا ما كثر دورانه على اللسان ثم ما يليه وهكذا، ولذا قيل: إن الموضوع أولا الفاعل ثم ردفه المفعول ثم المبتدأ والخبر وهكذا. وما تقدم هو ما أطبق عليه علماؤنا خلفا بعد سلف.

أسباب النشأة

لما أن الروايات المختلفة تشير إلى أسباب متفرقة لتولد النحو العربي، رأت العلماء من المؤرخين واللغويين اختلافا باهرا في بيان الأسباب والدواعي التي أدت إلى نشأة النحو. وهناك رواية تلحق فيها قصة قراءة أعرابي سورة البراءة إلى ثانى الخلفاء الراشدين عمر رضي الله عنه وهي أنه قدم أعرابي في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فقال من يقرئني شيئا مما أنزل الله تعالى على محمد صلى الله عليه وسلم ؟ فأقرأه رجل سورة براءة ، فقال إن الله بريء من المشركين ورسوله بالجر ، فقال الأعرابي أو قد برئ الله من رسوله ؟ إن يكن الله تعالي برئ من رسوله فأنا أبرأ منه ، فبلغ عمر عليه السلام مقالة الأعرابي فدعاه ، فقال : يا أعرابي ، أتبرأ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، إني قدمت المدينة ولا علم لي بالقرآن ،فقال عمر رضي الله عنه : ليس هكذا يا أعرابي ، فقال : كيف هي يا أمير المؤمنين ؟ فقال : إن الله بريء من المشركين ورسوله ، فقال الأعرابي : وأنا والله أبرأ من برئ ألله و رسوله منهم ، فأمر عمر رضى ألا يقرئ القرآن إلا عالم باللغة ، وأمر أبا الأسود الدؤلي أن يضع النحو.

فقال أبو عبيدة معمر بن المثنى: أخذ أبو الأسود عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه العربية فكان لا يخرج شيئاً مما أخذه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى أحد حتى بعث إليه زيادٌ: اعمل شيئاً تكون فيه إماماً ينتفع الناس به وتعرب به كتاب الله، فاستعفاه من ذلك حتى سمع أبو الأسود قارئاً يقرأ: (أن الله بريء من المشركين ورسولِه)، فقال: ما ظننتُ أن أمر الناس صار إلى هذا فرجع إلى زياد فقال: أنا أفعل ما أمر به الأمير فليبغني كاتباً لقناً يفعل ما أقول، فأتى بكاتب من عبد القيس فلم يرضه فأتى بآخر قال أبو العباس أحسبه منهم.

فقال له أبو الأسود: إذا رأيتني قد فتحت فمي بالحرف فانقط نقطة فوقه على أعلاه فإن ضممت فمي فانقط نقطة بين يدي الحرف وإن كسرت فاجعل النقطة تحت الحرف فإن أتبعت شيئاً من ذلك غنة فاجعل مكان النقطة نقطتين. فهذا نقط أبي الأسود.[١]

وفي قول أبي المحاسن التنوخي(ت ٤٤٦ هـ) هذه الحادثة نفسها برواية أخرى. وفي كتاب نشأة النحو للشيخ الطنطاوي أن سبب وضع على عليه السلام لهذا العلم ما روى أبو الأسود قال : دخلت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فوجدت في يده رقعة ، فقلت : ما هذه يا أمير المؤمنين ؟ فقال : إني تأملت كلام العرب فوجدته قد فسد بمخالطة هذه الحمراء ، يعني الأعاجم ، فأردت أن أضع شيئا يرجعون إليه ويعتمدون عليه.ثم ألقى إلي الرقعة وفيها مكتوب الكلام اسم وفعل وحرف..الخ.وروي أن سبب وضع علي عليه السلام لهذا العلم أنه سمع أعرابيا يقرأ لا يأكله إلا " الخاطئين » فوضع النحو[٢]

وروى محمد بن عمران، جاء أبو الأسود الدؤلي إلى عبيد الله بن زياد يستأذنه في أن يضع العربية فأبى، قال فأتاه قوم فقال أحدهم: أصلحك الله مات أبانا وترك بنوه، فقال: علي لأبي الأسود ضع العربية، وروى يحيى بن آدم عن أبي بكر بن عياش عن عاصم قال: أول من وضع العربية أبو الأسود الدؤلي، جاء إلى زياد بالبصرة فقال: إني أرى العرب قد خالطت الأعاجم وتغيرت ألسنتهم أفتأذن لي أن أضع للعرب كلاماً يعرفون أو يقيمون به كلامهم، قال: لا، قال فجاء رجل إلى زياد فقال: أصلح الله الأمير توفي أبانا وترك بنونا، فقال زياد: توفي أبانا وترك بنونا؟ ادع لي أبا الأسود، فقال: ضع للناس الذي نهيتك أن تضع لهم.

ويقال إن ابنته قالت له يوماً: يا أبتِ ما أحسنُ السماء؟، قال: أي بنية نجومها، قالت: إني لم أرد أي شيء منها أحسن إنما تعجبت من حسنها، قال: إذاً فتقولي ما أحسنَ السماء، فحينئذ وضع كتاباً ويقال إن ابنته قالت له: يا أبتِ ما أشدُّ الحر؟، في يوم شديد الحر، فقال لها: إذا كانت الصقعاء[٣]، من فوقك والرمضاء من تحتك، قالت: إنما أردت أن الحر شديد، قال: فقولي إذاً ما أشدَّ الحر.ونقل السيد صدر الدين رواية أخرى وهي « ما ذكره رشيد الدين أن السبب في ذلك أن أبا الأسود كان يمشي خلف جنازة - فقال له رجل : من المتوفِّي؟ أخبر الامام هذا عليّا عليه السلام فأسس النحو ودفعه إلى أبي الأسود في رقعة وقال : «ما أحسن هذا النحو ، أحش له بالمسائل فسمي نحوا»[٤]

وقال أبو سعيد رضي الله عنه «ويقال إن السبب في ذلك أيضا أنه مر بأبي الأسود سعدٌ وكان رجلا فارسا من أهل زندخان، وهو يقود فرسه ، فقال 'ما لك يا سعد لم تركب' قال : 'كان فرسي ضالع'. أراد ضالعا قال فضحك به بعض من حضره فقال أبو الأسود : هؤلاء الموالي قد رغبوا في الإسلام ودخلوا فيه فصاروا لنا إخوة فلو عملنا لهم الكلام' فوضع باب الفاعل والمفعول»[٥]

ورووا أيضا أن أحد ولاة عمر – رضى الله عنه – كتب إليه كتاباً لحن فيه ، فكتب إليه عمر : أن قَنِّع

١. أخبار النحويين (المقدمة)
٢. نزهة الألباء في طبقات الأدباء -١٧
٣. الصقعاء هوالشمس
٤. الشيعة وفنون الإسلام ١٥٧
٥. الفهرست ٥٩

كاتبك سوطاً [١] وورد فى عيون الأخبار» دخل رجل على زياد ، فقال له : إن أبينا هَلَكَ ، وإن أخينا غَصَبَ ميراثنا من أبانا ، فقال زياد : ما ضَيَّعْتَ من نفسك أكثرُ مما ضاع من مالك»[٢] ، وورد فى العقد الفريد :» وكان عمر بن عبد العزيز جالساً عند الوليد بن عبد الملك ، وكان الوليد لحَّاناً ، فقال : يا غلام أُدْعُ لى صالح ، فقال الغلام : يا صالحاً ، قال له الوليد : انقص أَلِفَاً ، فقال عمر : وأنت فزد أَلِفَاً « وقد روي كثير من مثل هذه الحوادث التي تدل على وقوع اللحن النحوي في كلام العرب حتى تطلب العصر لتولد النحو.

وقد أجمع الذين تصدوا لنشأة علوم العربية على أن القرآن الكريم كان الدافع الرئيس لوضع علم النحو والإعراب ؛ وذلك لأن ظهور اللحن وتفشيه في الكلام ، وزحفه إلى لسان من يتلو القرآن ، هو الباعث على تدوين اللغة ، واستنباط قواعد النحو منها ، وعلم العربية شأنه شأن كل العلوم تتطلبه الحوادث والحاجات . ويرى أغلب الباحثين أن رغبة العرب المسلمين في دينهم إلى الأقوام المختلفة أنشأ أحوالا جديدة في واقع اللغة ، ما كان العرب يعهدونها من قبل .

ولقد ثبت من أحد الأحاديث أن اللحن اللغوي قد بدأ أن تسرب إلى بعض الأناس حتى في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم كما يقول ذلك الإمام الحاكم في كتابه المستدرك بقوله « عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم رجلا قرأ فلحن ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : " أرشدوا أخاكم "صحيح الإسناد ولم يخرجاه[٣]

ولقد تحدث ابن خلدون في مقدمته عن تلك الأوضاع التي أدت إلى وضع القواعد للغة العربية حيث يقول : «لما فسدت ملكة اللسان العربي في الحركات المسماة عند أهل النحو بالإعراب ، واستُنبطت القوانين لحفظها، فاستعمل كثير من كلام العرب في غير موضوعه عندهم ، ميلا مع هجنة المستعربين في اصطلاحاتهم المخالفة لصريح العربية ، فاحتيج إلى حفظ الموضوعات اللغوية بالكتاب والتدوين خشية الدروس ، وما ينشأ عن الجهل بالقرآن والحديث ، فشمّر كثير من أئمة اللغة واللسان لذلك وأملوا فيه الدواوين وخشي أهل العلوم منهم أن تفسد تلك الملكة رأسا ويطول العهد بها ، فينغلق القرآن والحديث على المفهوم ، فاستنبطوا من مجاري كلامهم قوانين لتلك الملكة مطردة شبة الكليات والقواعد ، يقيسون عليها سائر أنواع الكلام «[٤]

وضع النحو وواضعه

لما أن هناك عديدة من الأحداث المتنوعة تذكر حول تولد النحو العربي قد اختلف المؤرخون و المحققون في أول من وضع النحو على أقوال كثيرة فمنهم من قال علي ابن أبي طالبرضي الله عنه، ومنهم من قال أبو الأسود الدؤليومنهم من قال عبد الرحمن بن هرمز الأعرج، ومنهم من قال نصر بن عاصم، ، ومنهم من قال عبد الله بن أبي إسحاق الحضرميرضي الله عنهم.وكلامهم طويل في ذلك.وكثير من الروايات في ذلك لا تصح، وأقوى الأقوال عند العلماء أن الذي وضع علم النحو أبوالأسود الدؤل كماقال المقري في كتابه «أخبار النحويين"»وأكثر الناس على أبي الأسود الدؤلي»[٥]

١. أبو القاسم الزجاجي : الإيضاح في العلل النحو : تحقيق : مازن مبارك : دار النفائس ت ٣٤٠هـ .
٢. أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين : معجم مقاييس اللغة تحقيق عبد السالم محمد هارون طبعة ١٣٩٩-١٩٧٩ دار الفكر
٣. المستدرك ٢\٤٧٧
٤. مقدمة ابن خلدون ٣٥٣
٥. أخبار النحويين للمقري ص٢

أقوال عن علي كرم الله وجهه

نرى أيضا بعض الروايات التي تؤكد على أن الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه هو الواضع لعلم النحو ، واول ما تواجهنا في هذا الجانب ما ذكره صاحب كتاب الشيعة وفنون الإسلام ما قوله « قال أخبرني الشيخ أبو عبد الله أدام الله عزه عن محمد بن سلام الجمحي أن أبا الأسود الدؤلي دخل على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فرمى إليه رقعة فيها بسم الله الرحمن الرحيم ، الكلام كله ثلاثة أشياء ،اسم وفعل وحرف جاء لمعنى فالاسم ما أنبأ عن المسمى ، والفعل ما أنبأ عن حركة المسمى ،والحرف ما أوجد معنى في غيره ، فقال أبو الأسود يا أمير المؤمنين هذا كلام حسن فما تأمرني أن أصنع به فإنني زدت بإيقافي عليه ، فقال أمير المؤمنين عليه السلام : إني سمعت في بلدكم هذا لحنا كثيرا فاحشا فأحببت أن أرسم كتابة من نظر فيه ميز بين كلام العرب وكلام هؤلاء ، فابن عليه ذلك . فقال أبو الأسود وفقنا الله بك يا أمير المؤمنين للصواب ، انتهي .[١]

والرواية الثانية ذكرها أبو البركات الانباري المتوفى في ٥٧٧ هـ في كتابه نزهة الألباء في طبقات الأدباء «اعلم أيدك الله تعالى بالتوفيق ، وأرشدك إلى سواء الطريق ، أن أول من وضع علم العربية ، وأسس قواعده ، وحد حدوده ، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وأخذ عنه أبو الأسود ظالم بن عمرو بن سفيان الدولي ، وسبب وضع علي رضي الله عنه لهذا العلم ، ما روى أبو الأسود ، قال : دخلت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فوجدت في يده رقعة ، فقلت : ما هذه يا أمير المؤمنين ؟ فقال : إني تأملت كلام الناس فوجدته قد فسد بمخالطة هذه الحمراء - يعني الأعاجم . فأردت أن أضع لهم شيئا يرجعون إليه ، ويعتمدون عليه ؛ ثم ألقى إلى الرقعة ، وفيها مكتوب : الكلام كله اسم ، وفعل ، وحرف ، فالاسم ما أنبأ عن المسمى ، والفعل ما أنبئ به والحرف ما جاء لمعنى . وقال لي : « أنح هذا النحو ، وأضف إليه ما وقع إليك واعلم يا أبا الأسود إن الأسماء ثلاثة : ظاهر ، ومضمر ، واسم لا ظاهر ولا مضمر ؛ وإنما يتفاضل الناس يا أبا الأسود فيما ليس بظاهر ولا مضمر « وأراد بذلك الاسم المبهم.[٢]

ويروي القفطي في كتابه إنباه الرواة على أنباء النحاة رواية تشبه هذه كما أنه قد ثبت من الروايات العديدة أن أبا الأسود الدؤلي كان أخذ النحو عن علي رضي الله عنه مثل ما يروي ذلك أبو عبيدة معمر بن المثنى كما نرى في كتاب المعار لابن قتيبة الدينوري[٣]. ويقول الشيخ علي الطنطاوي ردا على الذين ينسبون أولية وضع النحو إلى غير الإمام علي كرم الله وجهه «والصحيح أن أول من وضع النحو على بن أبي طالب رضي الله عنه ، لأن الروايات كلها تسند إلى أبي الأسود ، وأبو الأسود يسند إلى على ، فإنه روى عن أبي الأسود أنه سئل فقيل له : من أين لك هذا النحو ؟ فقال : لفقت حدوده من على بن أبي طالب رضي الله عنه[٤]

وإن كان هذه الروايات كلها يقول أو يوهم بأن عليا رضي الله عنه هو الذي وضع علم النحو نفهم بإدراك بعض الحقائق التاريخية عن ابي الأسود الدؤلي، بأن الإمام علي كرم الله وجهه كان قد مهد الطريق وفتح الباب لأبي الأسود إلى عالم النحو العربي في بادئ البداية حتى منح له الحرية وأعطى له كل الإجازات.واستلم ابو الأسود

١. الشيعة وفنون الإسلام ١٥٧-١٥٨

٢. نزهة الألباء في طبقات الأدباء ١٤،١٥

٣. المرجع السابق- ١٨

٤. المرجع السابق-١٧

مهمة وضع النحو حسبما طلب منه الخليفة علي ووالي العراق عبيد الله بن زياد رضي الله عنهما.

الواضع هو أبو الأسود الدؤلي

على الرغم أن هناك غير قليلة من الدلائل والروايات التي تذكر أن العلماء مثل علي بن أبي طالب وغيره ،هم الذين وضعوا هذا العلم، يشير معظم الروايات المشهورة المعتمدة عليها إلى أن أبا الأسود الدؤلي هو الواضع الحقيقي لعلم النحو بحيث أنه قد أتم جميع ما يحتاج إلى وضع النحو قاطبة بصورتها الكاملة في حال أن غيره شارك إما في بدايته أو في الأمور الفرعية المتعلقة به كما يظهر ذلك من أقوال العلماء والكتب المأثورة.

ويقول ابن خلدون في مقدمته « وأول من كتب فيها -أي في صناعة النحو- أبو الأسود الدؤلي من بني كنانة ، ويقال بإشارة عليّ لأنه رأى تغير الملكة فأشار عليه بحفظها ، ففزع إلى ضبطها بالقوانين الحاضرة المستقراة «[١]. وقال الحافظ ابن حجر رضي الله عنه في الإصابة في ترجمة أبي الأسود: أول من وضع العربية ونقط المصحف أبو الأسود ، وقد سئل أبو الأسود عمن نهج له الطريق ، فقال : تلقيته من علي بن أبي طالب[٢]

ويقول البغدادي في خزانة الأدب :»وهو أبو الأسود واضع علم بتعليم علي رضي الله عنه. وذكر السيد حسن الصدر في كتابه تأسيس الشيعة نقلا عن ركن الدين علي بن أبي بكر الحديثي في كتاب الركني : «أن أول من وضع النحو أبو الأسود ، أخذه من عليّ عليه السلام»وقد قال عنه محمد بن سلام الجمحي: «أبو الأسود هو أول من وضع باب الفاعل والمفعول والمضاف، وحرف الرفع والنصب والجر والجزم، فأخذ ذلك عنه يحيى بن يَعْمَر»قال عنه أبو علي القالي: «حدثنا أبو إسحاق الزجاج، أول من وضع العربية ونقط المصاحف أبو الأسود، على أنه أول من وضع علم النحو»

يقول الدكتور علي المكارم في كتابه «تاريخ النحو العربي» «من المؤكد ان ابا الأسود هو الذي قام بعلاج الجانب العاجل من المشكلة اللغوية ، فقام بضبط المصحف ، والحقائق التاريخية تؤكد انه كان أول من نقط المصحف ، أي تناوله بالضبط عن طريق النقط ، وليس فيما روى تاريخيا خلاف في دور ابي الأسود الرائد في هذا المجال، وإذا كان أبو الأسود هو الذي قام بالعلاج السريع للمشكلة اللغوية وهوضبط النص القرآني ، فهل هو أيضا الذي قام بريادة الدراسات النحوية ، فوضع بذلك الأسس الأولى للحل الجذري للمشكلة ؟ تحسب أنه ينبغي أن نحدد معنى (الواضع الأول للنحو)». ليكون تمهيدا طبيعيا لمعرفة أبعاد هذا الدور التاريخي .

وفي تصورنا أن الواضع الأول إنما يعني اول من ارتاد الطريق إلى الدراسات النحوية ، ولا يشترط أن يكون قد وضع قواعد نحوية محددة ، وذلك يعني بالضرورة أن ريادة الدراسات النحوية يمكن أن تكون بملاحظة الظواهر اللغوية وحدها ، دون محاولة للتعقيد لهذه الظواهر . فاذا نظرنا إلى الواضع الأول بهذا المعنى - فنجد أن شخصيات ثلاثة هي التي تنسب إليها هذه الأولية ، بصورة أساسية ، إذا محينا شخصية رابعة ، وهي شخصية الامام على ، ليس لوضوح الهدف السياسي من نسبة هذه الأولية اليه فحسب بل لأن طبيعة الظروف السياسية وعمق التحولات الاجتماعية التي جابهت عليا كرم الله وجهه كانت من العجلة بحيث فرضت عليه مواجهتها ، وشغلت فكره - دون شك - عن الالتفات إلى غيرها، وهذه الشخصيات التي تنسب إليها الروايات التاريخية أولية

١. مقدمة ابن خلدون ٥٤

٢. الإصابة في معرفة الصحابة-٢/٧٨

النحو هي : أبو الأسود الدؤلي ، ونصر بن عاصم ، وعبد الرحمن بن هرمز»[١]

ويؤيد الزجاجي ما ذكره أبو الطيب في مراتبه ، من أن أول من رسم الناس النحو أبو الأسود الدؤلي ... وكان أبو الأسود أخذ ذلك عن أمير المؤمنين علي عليه السلام ؛ لأنه سمع لحنا فقال لأبي الأسود : اجعل للناس حروفا - وأشار إلى الرفع والنصب والجر[٢]

تسمية هذا العلم بالنحو

كيف استقرت كلمة «النحو» لعلم النحو؟ أكان مصطلح النحو مصطلح مستعمل في بداية تولده؟ نرى أبا القاسم الزجاجي يذكر في كتابه (الإيضاح في علل النحو) في باب ذكر العلة في تسمية النحو «السبب في ذلك ما حكي عن أبي الأسود الدؤلي أنه لما سمع كلام المولدين بالبصرة من أبناء العرب أنكر ما يأتون من اللحن لمشاهدتهم الحاضرة وأبناء العجم ، ... وهمّ أن يضع كتابا يجمع فيه أصول العربية ، فمنعه من ذلك زياد ، وقال . لا نأمن أن نتكل الناس عليه و يتركوا اللغة وأخذ الفصاحة من أفواه العرب ، إلى أن فشا اللحن وكثر وقبح ، فأمره ان يفعل ما كان نهاه عنه ، فوضع كتابا فيه جمال العربية ، ثم قال لهم : انحوا **نحو** هذا ، أي اقصدوه ..»[٣]

وهناك رواية أخرى نقلها الذهبي في تاريخ الإسلام و غيره ، تقول «وقد أمره (أي أبا الأسود) علي بوضع النحو ، فلما أراه أبو الأسود ما وضع قال : ما أحسن هذا **النحو** الذي نحوت ، ومن ثم سمي نحوا».ويقول ابن النديم فيالفهرست علة تسمية النحو بقوله : « إنما سمي النحو نحوا لأن أبا الأسود الدؤلي قال لعلي عليه السلام وقد ألقى عليه شيئا من أصول النحو قال أبو الأسود : واستأذنته أن أضع **نحو** ما وضع فسمي ذلك نحوا».[٤]

وذكر الرافعي أن لفظ **العربية** أطلقه أبو الأسود على النحو وعرف به النحو في عصره وبعد عصره أيضا[٥]. وقال د . الدجني :»والخلاصة أن كلمة نحو ومدلولها ، لم تكن مستعملة عند النحاة الأوائل فلذلك أطلقوا اصطلاح **العربية** تارة ، وأخرى **كلاما** وأحيانا **الإعراب** حتى استقر الرأي على تسميته (النحو) وذلك عند علماء القرن الثاني الهجري».

يقول أبو الأسود الدؤلي رحمه الله تعالى بأن عليا رضي الله عنه أعطى إلي رقعة وفيها مكتوب : الكلام كله اسم وفعل وحرف ، فالاسم ما أنبأ عن المسمى ، والفعل ما أنبئ به ، والحرف ما أفاد معنى ، وقال لي : انح هذا **النحو** ، وأضف إليه ما وقع إليك ، واعلم يا أبا الأسود أن الأسماء ثلاثة : ظاهر ومضمر واسم لا ظاهر ولا مضمر ، وإنما يتفاضل الناس يا أبا الأسود فيا ليس بظاهر ولا مضمر ، وأراد بذلك الاسم المبهم . قال : ثم وضعت بابي العطف والنعت ، ثم بابى التعجب والاستفهام ، إلى أن وصلت إلى باب إن وأخواتها ما خلا لكن فلما عرضتها على علي عليه السلام أمرني بضم لكن « إليها ، وكنت كلما وضعت با با من أبواب النحو عرضته عليه ، إلى أن حصلت ما فيه الكفاية ، قال : ما أحسن هذا **النحو** الذي قد نحوت ! فلذلك سمي النحو.[٦]

١. تاريخ النحو العربي حتى أواخر القرن الثاني الهجري ص ٦١
٢. المرجع السابق ص ٢٥
٣. الإيضاح في علل النحو ٨٩
٤. الفهرست-٥٩-٦١
٥. تاريخ آداب العرب ١\ ٢٧٨، ٢٧٧
٦. تاريخ النحو العربي حتى أواخر القرن الثاني الهجري ٢٥

و لا يخفى على أحد أجرى أدنى التطلّع في هذه الروايات، أن كلمة النحو هو اللفظ المستعمل والمستقرّ في ألسنة السلف والخلف، كما أنها صدرت من المصدر الحقيقي لها حتى لا يقدر أحد إنكار صحة التسمية لهذا الفن بها.

الطرق التي ساربها النحو العربي

ولا يقدر بيان الطرق التي جاوزها النحو العربي إلا بالذكر عن نقط المصحف للإمام أبي الأسود رضي الله عنه لما أن المدار المهم للاطلاع على القواعد النحوية كان من القرآن،كما أن الإمام وضع الإعرابات وحركات الحروف التي هي من الأسس الأصلية النحوية.وممن روى في نقط المصحف أبو الفرج الأصفهاني (ت ٣٦٠ هـ) وهو يقول : أمر زياد أبا الأسود الدؤلي رحمه الله أن ينقط المصاحف فنقطها ، ورسم من النحو رسوما ثم جاء بعده ميمون الأقرن رحمه الله فزاد عليه في حدود العربية ثم زاد فيها بعده عنبسة بن معدان المهري رحمه الله ثم جاء عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي وأبو عمرو بن العلاء رحمهما الله فزادا فيه ثم جاء علي بن حمزة الكسائي مولى بني كاهل من أسد فرسم للكوفيين رسوما والآن يعملون عليها[١]

وقال القلقشندي المتوفى في٩٢٢ هـ في صبح الأعشى"فذهب بعضهم إلى أن المبتدئ بذلك أبو الأسود الدؤلي وذلك أنه أراد أن يعمل كتابا في العربية يقوم الناس به ما فسد من كلامهم إذ كان ذلك قد فشا في الناس، فقال أرى أن ابتدئ بإعراب القرآن أولا فأحضر من يمسك المصحف وأحضر صبغا يخالف لون المداد . وقال للذي يمسك المصحف عليه إذا فتحت فاي فاجعل نقطةفإن اتبعت شيئا من هذه الحركات غنة يعني تنوينا فاجعل نقطتين ففعل ذلك حتى أتي على آخر المصحف وأكثر العلماء على أن أبا الأسود الدولي جعل الحركات والتنوين لا غير وأن الخليل بن أحمد هو الذي جعل الهمز والتشديد والروم والإشمام.[٢]وارتبطت المعالم النحوية التي تركها أبو الأسود بواقع الحياة اللغوية البسيطة في عصره، وقد عني معالمه هذه بدفع اللحن عن قراءة القرآن ، حيث استخرج ضوابط الإعراب بحسب ما توفر لديه من قدرات ووسائل.

تبادل العلماء تلك العلوم النحوية الجليلة جيلا بعد جيل كما يقول ذلك صاحب كتاب الشيعة وفنون الإسلام « قال ركن الدين علي بن أبي بكر الحديثي كتاب الركني أن أول من وضع النحو أبو الأسود الدؤلي أستاذ الحسن والحسين ، أخذ النحو عن علي ، قال فأخذ النحو عنه خمسة وهم : أبناه عطا وأبو الحارث وعنبسة وميمون ويحيى بن النعمان وأخذ منهم أبو إسحاق الحضرمي وعيسى الثقفي وأبو عمرو بن العلاء ، وأخذ الخليل بن أحمد عن عيسى الثقفي وفاق فيه وأخذ عنه سيبويه وبعده الأخفش ، ثم صار أهل الأدب كوفياً وبصرياً[٣]

وقصة يحيى بن يعمر مع الحجاج تشير إلى حالة حيوية غنية حصلتها الأفكار النحوية في العصر العباسي حيث سأله الحجاج - وربما كان يريد مداعبته–»أتجدني ألحن في قولي يا بن يعمر؟» قال له الفقيه العظيم بلا خوف ولا خشية من جبروت الحجاج: «نعم أيها الأمير»، ألحن في أي شيء؟ في كتاب الله، كيف؟ لقد قرأت بالمسجد الجامع: (قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وازواجكم وعشيرتكم، وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها، ومساكن ترضونها أحب اليكم) فضممت الباء في أحب وهي مفتوحة واغتاظ الحجاج وقال له: لا تساكن ببلد أنا فيه، فاذهب منفيا الى خراسان.

١. الأغاني ١٢\٣٤٨،٣٤٧
٢. صبح الأعشى ٣\١٥،١٥٤
٣. الشيعة وفنون الإسلام ١٥٣-١٥٤

فالقواعد النحوية وضعها النحاة بداية من أبي الأسود الدؤلي (٦٩هـ) حتى الإمام سيبويه (١٨٠هـ) حيث أنهم كانوا يستخرجون النظريات النحوية باستنباطها من الآيات القرآنية ومن الأشعار العربية القديمة ومن كلام العرب العام. والعصر العباسي – العصر الذهبي لكل العلوم العربية عامة وللنحو العربي خاصة – حصل المكانة الشامخة في تطورالعلوم النحوية و توسع مجال التصنيفات فيها وتولد الأعلام المشهورين بها. شهد العالم الكتاب الأول في النحو للإمام عمرو بن عثمان سيبويه باسم «الكتاب»، كما أن الإمام أبو العباس المبرد نهض بإسهامات بارزة في النحو حيث ورّث كتابا ضخما باسم «الكامل». ولعب الإمام عبد الله بن مالك دورا حاسما إبان العصر الفاطمية في تنمية التيارات النحوية وإيصالها إلى العوام كما قدّم مؤلفه المشهور ألفية بن مالك الذي يوضح القواعد النحوية على صورة النظم.

المدارس النحوية

يعرف مصطلح المدارس النحوية باتجاهات متنوعة تكوّنت في ميادين الدراسة النحوية العلمية في اللغة العربية، وتولدت هذه المدارس وفقا للأراضي المختلفة ونسبة إلى إقليم جغرافي متنوع مثل المدائن البصرية والكوفية وإقليم الأندلس ومصر، كما أن النظريات والقوانين النحوية بين هذه المدارس قد تتفرق في بعض مسائلها.

المدرسة البصرية:- تعرف كمدرسة أولى في النحو العربي، أسست في العراق بمدينة البصرة إبان الخلافة العباسية حيث مثّلت هذه المدرسة تطورا لعلم الخليل بن أحمد الفراهيدي كما قدم الإمام سيبويه – من تلامذة الخليل بن أحمد - تابعا له.كان الإمام سيبوسه في رئاسة هذه المدرسة وأصدر ذلك الكتاب الأول المعول عليه في النحو باسم «الكتاب» على أساس هذه المدرسة . ومن أصحاب هذه المدرسة الأخفش الأوسط وهو تلميذُ سيبويه ومن كتبه «المسائل الكبير»، ومنهم أيضًا المبرد والزجَّاج والسيرافي وغيرهم.

المدرسة الكوفية

مدرسة نحوية نشأت و تمركزت في الكوفة في العراق في حكم العباسيين، وكانت للإمام الكسائي شهرة واسعة في هذه المدرسة حيث رأسها وقام بريادتها. ومن كتبه: «مختصر النحو، الحدود في النحو» وغيرها، ومن أصحاب هذه المدرسة أيضًا الفرَّاء وهو تلميذ الكسائي، ومن كتبه: «الكتاب الكبير، لغات القرآن»، وأيضًا منهم ثعلب ومن كتبه «المجالس» وغيرهم.

المدرسة البغدادية

كان لبعض من العلماء من البغداد وغيرهم وسط بين مذهبي البصرة والكوفة، وهم الذين أسس هذه المدرسة في بغداد.والذي يرى أصحاب هذه المدرسة أنَّ النحاة في البصرة وفي الكوفة قد ابتعدوا بعلم النحو عن جوهره وغايته وأدخلوه في متاهات ليس هناك داعي لها، فقام أصحاب المدرسة البغدادية باتِّخاذ موقفٍ وسط بين المذهبين. ومن روَّادهذهالمدرسة: ابن كيسان ومن كتبه «اختلاف البصريين والكوفيين»، ابن جنِّي ومن كتبه «الخصائص، سر صناعة الإعراب»، الزمخشري ومن كتبه «الكشَّاف، أساس البلاغة»، وغيرهم.

المدرسة الأندلسية

تقدم النحاة الأندلسيين العلماء الذين تعلَّموا على أيدي النحاة في البصرة والكوفة وأخذوا أيضًا من

بعض النحاة في بغداد، وأضافوا إلى ذلك كثير من القواعد، فبعد دخول العرب إلى الأندلس كان المسلمون هناك بحاجة لمثل هذا العلم لنشر العربية وتعليمها لقراءة القرآن الكريم ولتعليم مَن أسلم من العجم اللغة العربية، ومن أصحاب هذه المدرسة: ابن مضَّاء ومن كتبه «المشرق في النحو»، ابن عصفور ومن كتبه: «المقرب، الممتع، مختصر المحتسب»، ابن مالك ومن كتبه: «الألفية، الكافية الشافية، التسهيل وشرحه، إيجاز التعريف.

المدرسة المصرية

نشأت هذه المدرسة النحوية في مصر بعد مدرستي البصرة والكوفة وقد أخذَ علماؤها عن نحاة البصرة والكوفة واجتهدوا في بعض الفروع والأمور التي لا تعدّ من أساسيَّات وركائز النحو، ومن أشهر رجالها: ابن الحاجب ومن كتبه «الكافية، الشافية»، ابن هشام ومن كتبه «مغني اللبيب عن كتاب الأعاريب، أوضح المسالك، شذور الذهب، قطر الندى وبل الصدى»، السيوطي ومن كتبه «المزهر، الاقتراح في أصول النحو".

الخاتمة

الذي يتضح لجميع من يتعامل مع اللغة أن معرفة جوانبها النحوية هي التي تجلب تمام معانيها وجلاء مدلولها، ونحو اللغة بكل وسعتها وقِدم تاريخها تعلن رونقَ اللغة ومتانتَها، كما أن العلوم النحوية العربية بأجمعها تفوق جميع اللهجات العالمية بجودة التاريخ ومزية القوانين المستخرجة. واحتفظت العلوم النحوية العربية بصورتها الأصلية على ممر الزمان والأيام، دون أن يصيبه شيئ من التبديلات والتحريفات، ذلك لما أن النحو من القرآن الذي لا تصله العوارض.

وما زالت ولاتزال الدراسات والبحوث والاكتشافات جرت وتجري في الميادين النحوية العربية حتى تتوسع أفق المقال والتعامل فيها حسب الأزمنة المختلفة حيث تطورت العلوم الوافرة المتعلقة بالنحو و تبلورت الخطوات المتنوعة الملتحقة به. وقد شهد عالم اللغة العربية قدوم العديد من العلماء المهرة من النحاة في كل الأزمنة كما أن المؤلفات الوافرة قد كتبت بأيديهم حسبما يقتضيه الزمان.

المصادروالمراجع

١. مقدمة ابن خلدون، مؤسسة الرسالة،لبنان ١٣٧٧
٢. كتاب الأغاني لأبي الفرج الإصفهاني المتوفى في ٣٥٦ هـ طبعة دار الكتب المصرية، القاهرة - ١٩٣٨ م
٣. تاريخ آداب العرب لمصطفى صادق الرافعي ، مكتبة الإيمان طرابلس- ١٩١١م
٤. الفهرست لابن النديم ، دار المعرفة بيروت ٢٠٠٩م
٥. تاريخ النحو العربي حتى أواخر القرن الثاني الهجري للدكتور علي أبو المكارم القاهرة الحديثة للطباعة ١٩٧١م
٦. نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة للشيخ الطنطاوي ، دار المعارف القاهرة ، ١١١٩م
٧. دفاع عن القرآن الكريم للدكتور محمود سعيد، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٢م
٨. التعريفات لأبيالحسن علي محمد بن علي الجرجاني، دار التونيسية للنشر، ١٩٧١م
٩. الأصول في النحو لابن سراج ، مؤسسة الرسالة . لبنان ،٢٠٠٩ م
١٠. نزهة الألباء في طبقات الأدباء لكمال الدين محمد الأنباري، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٨م

١١. الشيعة وفنون الإسلام للسيد حسن الصدر، مطبعة العرقان، صيدا ١٣٣١ هـ
١٢. أخبار النحويين البصريين للحسن السيرافي، مصطفى البابي وأولاده، مصر ١٩٥٥،
١٣. الإصابة في معرفة الصحابة لابن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية بيروت،١٩٩٥
١٤. الإيضاح في العلل النحو لأبي القاسم الزجاجي، دار النقائس بيروت، ١٩٨٦
١٥. طبقات النحويين واللغويين، أبو بكر الزبيدي، دار المعارف- القاهرة ١٩٨٤
١٦. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، دار الفكر، ١٩٧٩

الرواية الإماراتية: منطلقاتها و أبعادها

السيدة/ بشنين هدى كى. سي[١]

الدكتور/ صغيرعلي تي. بي[٢]

الملخص

الرواية فن من الفنون الأدبية التي زاد انتشارها في الآونة الأخيرة، نرى ارتباط مباشر بين نشأة الرواية العربية وما كانت عليه الأوضاع السياسية والثقافية والإجتماعية بعد العصر العباسي وبداية الحكم العثماني، أما العمل الروايئ العربي المعاصر فقد تأثر بشكل كبير بالروايات الغربية بعد أن بدأ الأدباء العرب يتصلون بالأدب الغربي، وما أدت به حركة الترجمة من انفتاح ثقافي وأدبي وفكري. إن الرواية بالإمارات باتت على مستوى متميز من القيمة والتجارب المضيئة. ويعتبر الروائي علي أبو الريش رائدها ودافعا إياها على الإستمرارية المنعمة بتجربته المتجددة. وبعد عام١٩٨٥ الروايات في الإمارات متأثرا بالروايات الغربية مثلا دائما يحدث في الليل لمحمد عبيد غياش وغيرها.

الرواية العربية مشهورة في مجال التأليف والدراسة، لها أهمية كبرى في عصرنا الحالي، وقد وصفه الروائي الشهير نجيب محفوظ «بالفن الذي يوفق ما بين شغف الإنسان الحديث بالحقائق، وحنينه الدائم إلى الخيال»[٣]. تخلف الرواية الفنية عن الرواية غير الفنية في عدة مسائل، تخصر الرواية الفنية إلى الواقع ولا تعتمد على الوهم والجنوح في الخيال، وأيضا أن الرواية الفنية تعطي التجربة الذاتية والحس الإنساني شئنا، في حين أنّ الأشكال الأخرى تعتمد على الجنوح في الخيال، والرواية الفنية عبارة عن نثر روائي واقعي كامل في ذاته وله طول معين.

يتفق النقاد على أنّ الرواية جنس أدبي وفد على الأدب العربي من جملة ما وفد على العرب في أيام النهضة، بعد إطلاع الأدباء العرب عليها من طريق الترجمة والبعثات التعليمية للغرب، والرواية في منطقة الخليج عموما، وفي الإمارات خصوصا نشأت الرواية العربية متأخرة مقارنة بالبلدان العربية الأخرى كمصر وبلاد الشام. ولم تستطع الرواية تشكيل حضورها أمام حركة الشعر في منطقة الخليج.

مكانة الرواية الإماراتية في الأوساط الأدبية:

ان الرواية في الإمارات لها مكانة مرموقة في أوساط الأدبية، تعد أحدث فنون الكتابة الأدبية في الدولة، وظهرت مع ظهور رواية راشد عبد الله، إلا أن هذا النوع من الآداب أخذ بسرعة مكانه بين الفنون الأدبية على الساحة الثقافية الإماراتية، مع بروز الكثير من الروائيين الإماراتيين الذين قدموا العشرات من الروايات بمختلف أشكالها. ولرواية شاهندة مكانة متميزة، ربما لأسباب تاريخية ريادية، ورواية أحداث على الشاطئ، متميزة بحق،

١. باحثة الدكتوراه، قسم اللغة العربية بكلية الفاروق، جامعة كاليكوت

٢. أستاذ مساعد ومشرف البحوث، قسم الماجستير والبحوث في اللغة العربية وآدابها، كلية فاروق، كاليكوت، كيرلا، الهند

٣. عادل فرحات ،مزايا الرواية، دراسات تطبيقية في الفن الروائي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٠

وإن كان صاحبها قد كتب رواية واحدة.

جميع الدراسات تشير إلى أنّ رواية «شاهندة» للكاتب راشد عبد الله، هي الرواية الرائدة في دولة الإمارات، والتي نشرت بعد قيام دولة اتحاد الإمارات ١٩٧١م[١]. ويبقى راشد عبد الله هو أول من رمى حجرا في بحر الرواية مستفيدا من دراسته في الإطلاع على ما حققته الرواية من مكاسب في هذا البلد، وتصنف رواية «شاهندة» مع المستوى القديم للرواية العربية « فتقنيتها تعود إلى الأشكال الفنية المبكرة للرواية العربية، كأعمال جرجي زيدان، ذات البناء الفني القائم على كثرة المغامرات أو الصدف، وعلى التداخل بين الأسلوب الميلودرامي، والأسلوب الرومانسي، وحيث تراكم الحوادث هو صلب الموضوع[٢]. لكن كان على المجتمع الإماراتي الإنتظار لسنوات عدة لإصدار رواية أخرى، ويعود سبب التوقف عن الكتابة نظرة الناسلهذا الجديد، فالجديد مرفوضا دائما حتى يصبح مألوفا، ثم ظهرت رواية للكاتب عبد الله الناوري باسم « عقد يبحث عن عنق».

ثم تأثر الكتاب الإماراتيون بالغرب، فالكاتب محمد عبيد غياش كتب روايته «دائما يحدث في الليل» بعد ذهابه إلى أمريكا عام ١٩٨٥م، ونجد فيها اتجاها جديدا في موضوع الرواية، حيث يناقش فيها كثيرا من القضايا الأساسية المتعلقة بالحرية والعدالة وغيرها. وبرز الروائيين الجدد في فترة الثمانيات، ففي عام ١٩٨٤م ظهرت « السيف والزهرة» لعلي أبو الريش، وفي ١٩٨٦م « عندما تستيقظ الأشجان» لعلي محمد راشد، وفي ١٩٨٨م « ساحل الأبطال»لعلي محمد راشد. هذه الروايات كلها، تحمل داخلها روحا جديدة في الكتابة، ومضامين تتقارب مع واقع الحياة التي بدأت تضرز أشكالها على الأرض بسلسلة من المتغيرات الحادة والسريعة على كافة الأصعدة.

فقد ذهب الكاتب محمد عبيد غياش إلى أمريكا بعد أن قطع دراسته في مصر، ليتابع تحصيله العلمي هناك، فترك هذا التوجه أثرا في إبداعه إذ نجده، يصدر فيما بعد روايته الأولى دائما يحدث في الليل، جاءت هذه الرواية متميزةعن أخواتها مما أنتجه كتاب الإمارات من رواية آنذاك، وذلك من حيث انفتتاحها على الثقافة الغربية.

يقول سمر روحي عن بطئ الرواية في الإمارات: « إلى جانب بطئ نمو الرواية الإماراتية نلاحظ أيضا شحا في الإنتاج من الكتاب الذين يغلب عليهم إصدار رواية واحدة، ثم الصمت المطبق بعد ذلك، أو كما يصفهم أحد النقاد الذي يرى أن هذا تقاعس من جانب الروائيين الإماراتيين ليس له تعليل مقبول، حيث يقول: نحن إن استثنينا الروائي علي أبو الريش الذي أنتج إحدى عشرة رواية، لاحظنا أن الكثرة الكاثرة من الروائيين الإماراتيين من أصحاب الواحدية، أي أحدهم ينتج نصا روائيا واحدا ثم يصمت عن الإنتاجالروائي، وهذا يصدق علي راشد عبد الله صاحب أول رواية إماراتية، فقد أصدر رواية شاهندة عام ١٩٧١م، ولم يتبعها بأي نص روائي آخر، بحيث يستطيع الناقد ملاحظة الشطو ر في أدواته الفنية[٣].

وبناء على ما تقدم بالنظر إلى مكونات الرواية الإماراتية ومدى ارتباطنا بالظروف الإجتماعية وتطورها في دولة الإمارات، نلخص إلى أن ارتباط فن الرواية الإماراتية بعمليات التطور العميقة الحديثة في الحياة اجتماعية كان ارتباطا موضوعيا ويأتي متوافقا مع المقولات المختلفة التي تؤكد بمجملها حقيقة متفقا عليها: بأن الرواية هي «ملحمة المجتمع البرجوازي»، وبهذا المعنى تصبح الرواية ابنة شرعية للمجتمع المدني في الإمارات، وأن وجودها

١. عبد الإله عبد القادر، السردية المبكرة في الإمارات مسار التجربة، جريدة البيان الإماراتية، سبتمبر ٢٠١٢

٢. عبد الله خليفة، فصيلة الرافد، الشارقة، العدد الأول، أكتوبر ١٩٩٣

٣. سمر روحي الفيصل ، الرواية الإماراتية، تعريف ونقد، ص: ٢٠

كان مشروطا بتصاعد دور الفئة الوسطى، وقيامها بتحديث المجتمع وتعبير بنيته الإقطاعية وهذا بالفعل ما جرى على أرض الإمارات.

يقول عبد الفتاح صبري: « فإن الرواية هي ابنة المجتمع المدني، ولم يكن مجتمع الإمارات قبل الإتحاد مدنيا، وهذا يعني أنه عندما بدأ المجتمع المدني يظهر ، ظهرت الرواية، ثم أخذت تتدرج في مراحلها الطبيعية، وسيكون من غير الطبيعية أن تقفز على هذه المراحل أو بعضها، وتواكب ما يحدث شرقا أو غربا، وهي في طور ظهورها ونشأتها، كما يمكن أن نزعم أن نموّها جاء بطيئا.[1]

يقول رسول محمد رسول :»ولدت الرواية الإماراتية من رحم واقع متغير شهد مخاضا عسيرا في مدة السبعينات وما قبلها، وكانت بدايتها الأولى خجولة بفعل العديد من العوامل التي يتصدّرها طغيان الشعر على المشهد الثقافي المحلي آنذاك. ثم نمت الرواية واستوت على سوقها وتطور نتاجها، وزاحمت المشهد الشعبي واحتلت مكانة مرموقة في المشهد الثقافي الإماراتي[٢].

بعض من الروائيين الإماراتيين:

١. راشد عبد الله النعيمي:

راشد عبد الله النعيمي، سياسي وروائي إماراتي، وُلد في إمارة عجمان في دولة الإمارات العربية المتحدة عام ١٩٣٧ ونشأ فيها، وشغل منصب وزير الخارجية الإماراتي خلال الفترة : ١٩٧٧-٢٠٠٦. حصل النعيمي على شهادة الثانوية من دولة قطر، أكمل دراسته الجامعية وحصل على بكالوريوس في هندسة البترول من جامعة القاهرة عام ١٩٦٧ بالإضافة إلى دراسات في اقتصادات البترول.يعد النعيمي رائد الحركة الروائية في الإمارات فهو صاحب أول رواية إماراتية بعنوان «رواية شاهندة» التي صدرت في العام ١٩٧١م، كما له اهتمامات ثقافية وأدبية متنوعة ، وكتب للصحافة في فترات متقطعة.

تتحدث الرواية عن الفتاة شاهندة فائقة الجمال التي يتمناها الجميع، اختطفها هي ووالديها نخاس، وقام ببيعهم، فتبدأ قصة شاهندة، ومحاولات الجميع للحصول عليها. وصفت الرواية التي كُتبت من وحي الحقيقة بالتفصيل الممل تجارة الرقيق والنساء في الإمارات، من خلال استعراض حياة جارية اسمها شاهندة اختطفها التجار من بلدها وباعوها في الإمارات. هي فتاة مكتملة الأنوثة في الـ١٧ من عمرها نزلت بإحدى مدن الدولة بحثاً عن الرزق، وتلقفتها يدا أحد النخاسين، الذي أعطى لنفسه الحق في أن يكون سيداً ومالكاً لها وباعها للذئاب الجائعة من البشر.. بعد فترة اشتد عودها وردت الصاع صاعين لمن باعها ومن استعبدها وانتقمت بشكل قاسٍ من الجميع، وأصبحت (خرابة بيوت) تنتقم لمجرد الإنتقام من مجتمع ترى أنها ضحية له لأنه عقّها قبل أن تعقّه.

١. محمد عبيد غياش:

ولد الدكتور محمد عبيد غياش غي دبي عام ١٩٥٢م، نال البكالوريوس في الإقتصاد والفلسفة من جامعة شيللر اللندنية، ثم حاز الدكتوراه في العلوم السياسية من جامعة ويلز. وعمل أستاذا للعلوم السياسية بجامعة الإمارات العربية المتحدة. له عدة مؤلفات في مجالي الأدب والفكر الإسلامي، منها: دائما يحدث في الليل (رواية)، من لا يعرف شيئا فليكتب (نثر)، مزون (رواية) وغيرها.

١. صبري عبد الفتاح، الرواية الخليجية الجديدة، وقائع ملتقى الشارقة التاسع للسرد العربي، ص: ٣٦

٢. رسول محمد رسول، الجسد في الرواية الإماراتية ، ص: ٤٥

٣. علي أبو الريش:

علي أبو الريش هو روائي وشاعر وإعلامي إماراتي كبير، ولد علي عبد الله محمد أبو الريش في ٩ يونيو ١٩٥٦ في منطقة المعيريض في إمارة رأس الخيمة. تخرج من جامعة عين شمس قسم علم النفس، وبعد تخرجة سنة ١٩٧٩م انضم إلى عالم الصحافة وإلى جريدة الاتحاد حيث عمل في القسم الثقافي فيها، وأخذ يترقى في المناصب حتى وصل في ٢٠٠٧ إلى منصب مدير التحرير. له عمود يومي بالجريدة. من مؤلفاته: السيف والزهرة، رماد الدم، نافذة الجنون، ثنائية مجبل بن شهوان، سلائم،التمثال،زينة الملكة وغيرها.

٤.أسماء الزرعوني:

ولدت أسماء الزرعوني في إمارة الشارقة عام ١٩٦١م، حصلت على دبلوم التأهيل التربوي قسم المكتبات، وحصلت على درجة البكالوريوس في التربية. عضو مجلس إدارة اتحاد كتاب وأدباء الإمارات وتشغل منصب نائبة رئيس اتحاد كتاب وأدباء الإمارات. سفيرة المجلس الإماراتي لكتب اليافعين، وعضوة في اتحاد كتاب وأدباء العرب، وعضوة في مجلس إدارة رابطة أديبات الإمارات، وعضوة في مجلس الفكر والحوار في المجلس الأعلى لشؤون الأسرة، وعضوة في جمعية حماية اللغة. تشغل حاليًا منصب رئيسة مجلس أمناء ملتقى الإمارات للابداع الخليجي. نشرت أغلب قصصها ومشاركاتها في الصحف والمجلات المحلية والعربية من ضمنها أول قصة لها "عندما يجف النبع". كتبت مقالة أسبوعية بصحيفة الرؤية الإماراتية من ديسمبر ٢٠١٢ إلى أبريل ٢٠١٥. اختيرت مجموعة من قصصها لمنهج وزارة التربية والتعليم والشباب بدولة الإمارات. من رواياته: الجسد الراحل ٢٠٠٤، شارع المحاكم – متوالية الحب والوجع٢٠١١، لا تقتلني مرتين ٢٠١٥.

٥.فاطمة سلطان المزروعي:

فاطمة سلطان المزروعي كاتبة قصص قصيرة وشاعرة إماراتية، وُلدت في أبو ظبي، بدأت الكتابة في عمر السابعة عشر. حصلت على الليسانس في التاريخ والآثار من جامعة الإمارات عام ٢٠٠٤، تخصص علوم سياسية. تكتب في مجالات الشعر والقصة والرواية والمسرح والسيناريو والمقالة. تنشر في العديد من المواقع الإلكترونية وقد نُشر لها الكثير من الكتابات في جرائد ومجلات محلية وخليجية. تعمل حاليا في قسم الأرشفيات التاريخية، الأرشيف الوطني، أبو ظبي.

لها العضوية في كثير من اللجنات والجمعيات منها: لجنة التحكيم في جائزة الامارات للرواية لعام ٢٠١٣ لجنة التحكيم في جائزة الشيخة لطيفة بنت محمد بن راشد آل مكتوم عام ٢٠١٨، اتحاد كتاب وأدباء الإمارات، رابطة أديبات الشارقة، لجنة المؤرخ الشاب التابعة لوزارة شؤون الرئاسة، اللجنة العلمية في الأرشيف الوطني، مناهج التربية الوطنية في الأرشيف الوطني مع وزارة التربية والتعليم، عضو في جمعية حماية الطفل، عضو في لجنة مبادرة سيناريو الأفلام في (إن إف تي فيلمز) وغيرها الكثير الكثير.

من رواياتها: زاوية حادة ٢٠٠٩، كمائن العتمة ٢٠١٢، قصتي الأخرى٢٠١٧، وحازت على عديد من الجوائز في شتى المجال مثلا: جائزة العويس عن رواية «كمائن العتمة» لأفضل عمل روائي على مستوى الدولة لعام ٢٠١٣، جائزة الامارات للرواية عام ٢٠١٧ لرواية قصتي الأخرى.

الخاتمة:

لم تستطع الرواية كجنس أدبي من تشكيل حضور متميز أمام حركة الشعر في الخليج عموما، والإمارات بشكل خاص، كما عاشت الرواية على هامش قريب من القصة القصيرة، التي سبقت ظهور الرواية، ونمت وتعددت أصواتها ونتاجها حتى ستطاعت أن تحتل مكانا موازنا لحركة الشعر المعاصر. ان الروايات الإماراتية بمجموعها روايات كانت تحملفي طياتها روحا جديدة في الكتابة، ومضامين تتقارب مع واقع الحياة التي بدأت تفرز أشكالهاعلى لأرض بسلسلة من المتغيرات الحادة والسريعة على كافة الأصعدة لتتحول المنطقة إلى بقعة حية، تتسارع بها الإنجازات على كافة المستويات الإقتصادية والسياسية والإجتماعية والتربوية، وتشهد نهضة جديدة على مستوى الإنتاج الإبداعي والإندماج في النسيج الإبداعي العربي.

المصادروالمراجع:

١. خليفة، عبد الله، فصيلة الرافد، الشارقة، العدد الأول، أكتوبر ١٩٩٣

٢. رسول، د. رسول محمد، الجسد في الرواية الإماراتية، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، دار الكتب الوطنية، أبو ظبي، ٢٠١٠م

٣. رسول، د. رسول محمد، صورة الآخر في الرواية الإماراتية: قراءات في المتخيل الإبداعي، وزارة الثقافة والشباب وتنمية المجتمع، أبو ظبي، ٢٠١٠م

٤. عبد الفتاح، صبري، الرواية الخليجية الجديدة: وقائع الملتقى الشارقة التاسع للسرد العربي، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة،٢٠١٣ م

٥. عبد القادر، عبد الإله، السردية المبكرة في الإمارات مسار التجربة، جريدة البيان الإماراتية، ٢٣/ سبتمبر/٢٠١٢

٦. فرحات، عادل ، مزايا الرواية، دراسات تطبيقية في الفن الروائي، منشورات اتحاد الكتاب العرب،٢٠٠٠م

٧. الفيصل، د.سمر روحي، الرواية الإماراتية: تعريف ونقد، دائرة الثقافة والإعلام، حكومة الشارقة،٢٠١٢م

٨. الفيصل، د.سمر روحي، قضايا السرد في الرواية الإماراتية، إصدارات دائرة الثقافة والإعلام، حكومة الشارقة، ٢٠٠٣م

المو اقع الإلكترونية:

١. حارب الظاهري، (تاريخ النشر ١-٢-٢٠١٧)، الرواية الإماراتية، في موقع الإتحاد، https://www.alittihad.ae، تاريخ الدخول ٢٢-٢-٢٠٢١

٢. عبد الإله عبد القادر، (تاريخ النشر ٢٣-٩-٢٠١٢) المشهد الروائي في الإمارات.. مسار التجارب السردية البكر،

٣. في موقع البيان، https://www.albayan.ae، تاريخ الدخول ١٥-١-٢٠٢١

٤. واقع فن الرواية في الإمارات، بدون اسم المؤلف، (تاريخ النشر ٢٠-٢-٢٠١٢) في موقع الخليج، https://alkhaleej.ae، تاريخ الدخول ٢٢-٢-٢٠٢١

الزمن التاريخي في رواية « مصائر كونشرتو الهولوكوست والنكبة » لربعي المدهون

السيد/ رشيد وى وى[١]

الدكتور/ عباس كى بى[٢]

الملخص

إن للزمن علاقة وطيدة بالشخصية ,فهو يدل على بنائها وعقلها ونموها وذلك من خلال « أن الشخصية تتفاعل مع الزمن فتمنحه معنى جديد وتتكيف مع التعامل مع هذا الزمان في أهم أطراف الثلاثة : الماضي والحاضر والمستقبل وبدونها يشحب الزمان ويخمد أيضا «[٣] , يعنى أن الشخصية ترتبط ارتباطا وثيقا , كونها تعيش الماضي والحاضر والمستقبل وتتطور في كل الأزمنة .

تتناقش رواية « مصائر كونشرتو الهولوكوست والنكبة « إشكالية زمنية تتأرج بين ماضي وحاضر ومستقبل ,فجاءت بنية الزمن في الروية انطلاقا من حاضر السرد إلى الماضي وزمن الأحداث , ومن الماضي في اتجاه المستقبل وما سيحدث , فالشخصية ترتبط مع الزمن بعلاقة جدلية , ويتأثر كل منهما بوجود الآخر . يعود ربعي المدهون إلى تاريخ فلسطين منذ قبل وقوع النكبة حتى هذا العصر ويربط في هذه الرواية عن الأحداث التي وقعت في تاريخ فلسطين . يبحث هنا الباحث عن زمن التاريخي الذي شهد فيه شعب الفلسطيني لعدة من التحولات والصراع والحروب والظلمات من قبل الحكم الاستعماري مثل البريطاني والإسرائيل من هذه الرواية .

المقدّمة

إن الزمن يدخل ويتأثر في حياة الإنسان ويلعب دورا مهما في انفعالاتهم ومشاعرهم وفكرتهم ولهذا , فالزمن يحتوي الإنسان بين قطبيه , ولذلك يسعى دائما للانفعالات من سيطرة الزمن وحركته , ولكن مهما حاول التفت فإن الموت هو نهاية حتمية للوجود «[٤] , وقد ذكر الروائي في في هذه الرواية عن الزمن اعتماد بزيارته المتكررة لفلسطين أربع مرات الذي حلم أن يعود به الزمن من أجل الرجوع لبيته الكبيرفلسطين .

يعتبر الزمن من أهم العناصر الروائية , ولعل أول ما يفكربه الروائي قبل بناء عمله وهو تحديده للزمن , « فهو تلك المادة المعنوية المجردة التي يتشكل منها إطار كل حياة وخبر كل فعل ,وكل حركة «[٥] . الزمان بنية أساسية في العمل الروائي , لأنه لا يمكن تصور قصة أو رواية , أو حكاية خيالية خالية من هذه البنية المحورية في العملية السردية , فكل خطاب روائي يرتبط بالزمن ويعني بالزمن « هذه المادة المعنوية المجردة التي يتشكل منها إطار كل

١ . باحث، قسم الماجستير والبحوث في اللغة العربية، كلية فاروق، كاليكوت

٢ . الأستاذ المساعد، قسم الماجستير والبحوث في اللغة العربية، كلية فاروق، كاليكوت

٣. غريد الشيخ : الأدب الهادف , ط١ , دارالفارس ,عمان , ١٩٩٩ م , ص ٦١.

٤. **خليل شكري هياس :** القصيدة السير الذاتية , ط١, عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع , الأردن , ٢٠١٠م ,ص ٣٤٩

٥.عبد الصمد زايد : مفهوم الزمن ودلالته في الرواية العربية المعاصرة , ط ١, دار العربية للكتاب , ٢٠٠٥ م, تونس ,ص ٧.

حياة وحيز كل فعل وكل حركة «[١] , يضمن كل حياة الكائن الحي بما فيها من حركة مستمرة ونشاط.

الزمن يؤثر تأثيرا عظيما في بناء الرواية كما يقول الدكتور عبد الحميد المحاديين ,» أن الزمن تقنية من أدق التقنيات التي تؤثر مباشرة , في البنية العامة للزواية ,وهي التي تحكم الأزمة المتغيرة في نطاق رؤية الراوي العامة , وبهذا تتمكن الرواية من الاستجابة لهذه الرؤية في نهاية الأمر»[٢] . نفهم ذلك أن الزمن مكون بنائي لا يستطيع أن ينفصل عن المكونات السردية الأخرى , فهو أمر مهم في بناء الرواية ,عندما يكتب الروائي الرواية , فإنه يفكر في الزمن الذي تتحرك فيه الشخصيات . فالرواية تتطرق بشكل صريح إلى مواضيع مؤلمة في تاريخ الصراع العربي / الفلسطيني – الإسرائيل « الهولوكوست « بالنسبة لليهود , و «النكبة « بالنسبة للفلسطينيين تمثل جرحا عميقا وغائرا مازالت ندوبه تؤثر بشكل مباشر في علاقة الفلسطيني باليهود .

الزمن التاريخي

يلعب الزمن دورا مهما في حياة الشعب الفلسطيني , كانت فلسطين قد تعرضت لعدة من البلايا والمحنات منذ زمان قديم , السلطات المختلفات قد احتلت في أرض الفلسطين , وكانت السلطة العثمانية قد تتولى الحكم قبل النكبة ثم البريطانية والروسية والاسرائيلية الذين سلبوا أرض الفلسطين وطردوهم من وطنهم المحبوبة , حاول الشعب الفلسطيني للمكافحة واتجاه المحتلون ولكن فشلوا في محاولتهم , فكل هذه الاحداث والوقائع مثل الاحتلال والنكبة والانتداب البريطانية وقيام الدولة الإسرائيلية والنكسة وحرب السويس قد سبب لعدم حقوق وطنهم المولود , وكان الروائي الذي ممن عرض وشهد لهذه الأحداث المتوجعة ولذا فإنه يحاول أن يأخبر مشاعره وفكرته وتجرباته وتاريخ الفلسطين لهذا العالم من خلال سرد هذه الرواية .

زمن ما قبل النكبة :

النكبة التي وقعت عام ١٩٤٨ م قد سببت لتعريض الشعب الفلسطيني بالتهجير واقتلاعه من أرضه , وبدلت استقراره إلى الهجرة والمنفى , وكان لدى الفلسطينيين الإصرار والتحدي على إثبات هويتهم وجذورهم في المكان , أمام الرواية الزائفة التي يروجها العدو الإسرائيلي ,لذلك اهتم الكتاب ومؤرخ الأدب في البحث عن الجذور في التراثي الثقافي - الأدبي الفلسطيني قبل عام النكبة .

دخلنا البيت الذي كان لنا قبل سقوط المجدل عسقلان في أيدي القوات الإسرائيلية .... تساقطنا إلى الداخل مثل قطرات دمع ساخن في الزواية اليمنى , ... تتعثر قدماي الصغيرتان في العتبة التي تشبه درجتي سلم رفيعتين واطئتين , تلتقطني أمي وتصرخ « اسم الله عليك يمه , اسم الله وجيرة الله عليك « أخفي دمعتين أطلقهما سرا في بيت والدي , أحقا هو بيت والدي ؟ أم هي مراوغة ذاكرة أثقلتها «[٣] , فالروائي هنا انتقى أزمنة تتناسب والوقائع الحقيقية التي حدثت للشعب الفلسطيني .

زمن الانتداب البريطانية :

« الانتداب البريطاني على فلسطيني أو الاحتلال البريطاني لفلسطيني , هو كيان جيوسياسي سابق نشأ

١. زايد عبد الصمد , مفهوم الزمن ودلالته , الدار العربية للكتاب , تونس , ١٩٨٨م, ب, ط, , ص ٠٧.
٢. عبد الحميد محادين : التقنيات السردية في رواية عبد الرحمن منيف , ط١, دار الفارس , عمان , ١٩٩٩م, ص ٧.
٣. ربعي المدهون : روية مصائر كونشرتو الهولوكوست والنكبة ,المؤسسة العربية للدراسات والنشر ,بيروت , ط١, ص ٥٨

في منطقتي فلسطين وشرق الأردن عام ١٩٢٠ م واستمر لأكثر من عقدين ونصف (١٩٤٨-١٩٢٠) , وذلك ضمن الحدود التي قررتها بريطانيا وفرنسا بعد سقوط الدولة العثمانية إثر الحرب العالمية الأولى» [١] .

« في ٢٢ يوليو١٩٤٦ ,وتفجير فندق الملك داود في القدس , الذي اتخذت منه حكومة الانتداب البريطاني على فلسطين مركزا رئيسيا لها حينذاك , والذي قتل فيه واحد وأربعون فلسطينيا , وثمانية وعشرون من الإنجليز , وسبعة عشرة يهوديا , وخمسة من جنسيات أخرى , وأصيب خمسة وأربعون بجروح مختلفة نجا الضابطان البريطانيان من الحادث [٢] « . هنا يسرد الكاتب عن زمن الذي احتل البريطانيون في أرض فلسطين .

زمن قيام دولة الإسر ائيلية :

« بادرت القيادات الإسرائيلية إلى إعلان قيام دولة إسرائيل يوم ١٤ مايو ١٩٤٨ م بعيد انسحاب الانتداب البريطاني , ودعت يهود الشتات للعودة إلى « الوطن « (الأرض المحتلة) , مطالبة إياهم بدعم الدولة الوليدة التي سارعت الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي إلى الاعتراف بها بعد دقائق من إعلانها «[٣]

الاحتلال يعلم جيد أن الكلمة أقوى من السلاح فبداية الثورة كلمة وبداية الحرب والسلام كلمة , كما أن الروايات الفلسطينية بالمجمل تتحدث دائما عن الهم الفلسطيني وحق الفلسطيني في الأرض المسلوبة وتدحض الرواية الإسرائيلية بأن أرض فلسطين بلا شعب .

« بحلول الخامس عشرة من مايو ١٩٤٨ , كانت بريطانيا , قد أنهت تفكيك معسكراتها ,ورحل جنودها تاركين فلسطين للمجموعات العسركية اليهودية التي أعلنت قيام الدولة إسرائل « [٤] . كانت قيام دولة الإسرائيلية قد كانت آخر احتلال في أرض فلسطين , وذلك يصور الروائي هناك.

زمن النكبة :

« لم يكن تاريخ الخامس عشر من أيار ١٩٤٨ م , والذي يعرف باسم يوم « النكبة « لدى الفلسطينيين , سوى ترجمة لسنوات طويلة سبقته, من التخطيط « الصهيوني « والبريطاني « , لطرد الفلسطينيين من أرضهم , وإقامة الدولة اليهودية عليها [٥] « .

أن النكبة الفلسطينية خلفت حالة فريدة في التاريخ الإنساني , وهي حالة الارتحال القسري لشعب كان مستقرا في مكانه , وقارا في بقعة خغرافية محددة على الخريطة باسم فلسطين .

« عند فجر ١٨ مايو ١٩٤٨ , بعد مغادرة جدي البيت للمرة الأخيرة بيومين , مسرحين نحو البحر , مع كثيرين من سكان عكا الذين لاحقتهم القذائف والجوع والعطش في ذلك الوقت [٦]».يحاول ربعي المدهون أن يعيد قراءة المشهد الفلسطيني بعد النكبة التي سلبت شعب فلسطيني وطنهم .

١. https://web.archive.org/web
٢. المصدر نفسه , ص ٢٢.
٣. https://www.aljazeera.net
٤. المصدر نفسه ,ص ٣١ .
٥. https: //www.aa.com.tr
٦. المصدر نفسه , ص ٤٧ .

زمن النكسة ٦٧:

يشير يوم النكسة ٥ يونيو عام ١٩٦٧ م الذي يحيي فيه الشعب الفلسطيني ذكرى التهجير والذي رافق انتصار إسرائيل عام ١٩٦٧ م في حرب الأيام الستة , فقد حدث كنتيجة لهذا الحرب أن استولت إسرائيل على الضفة الغربية وقطاع غزة , المأهولتين بالسكان الفلسطينين والتين كانتا في السابق تتبعان الأردن وتخضعان لسيطرة مصر على الترتيب .

حين احتلت إسرائيل قطاع غزة في حرب ١٩٦٧ ,قال هنا منة كثيرون التقى الفرع بلأصل ,صار الناجون مشردون [١] » .

زمن أزمة السويس :

« أزمة السويس أو ما يعرف تحت اسم العدوان الثلاثي هي حرب وقعت أحداثها في مصر في عام ١٩٥٦ م , وكانت الدول التي اعتدت عليها هي فرنسا واسرائيل وبريطانيا على اثر قيام جمال عبد الناصر بتأميم قناة السويس , تعرف أيضا هذه الحرب بحرب ١٩٥٦ , يجذب مصطلح « العدوان الثلاثي « الانتباه والذاكرة إلى حرب بور سعيد سنة ١٩٥٦ م , فتعرف في مصر بحرب ١٩٥٦ أو أزمة السويس أو حرب السويس كما تعرف في الدول الغربية حرب سيناء , وتعرف في دولة إسرائيل العملة قادش , فهي حرب شنتها كل من بريطانيا وفرنسا وإسرائيل على مصر عام ١٩٥٦م , وهي ثاني الحروب العربية الإسريلية بعد النكبة الفلسطينية , وتعد واحدة من أهم الأحداث العالمية التي ساهمت في تحديد مستقبل التوازن الدولي بعد الحرب العالمية الثانية «[٢] .

يقول الكاتب عن جغرافية الدولة الفلسطينية ,وكيف تم قسيمها , في حرب السويس عام ١٩٥٦ , حيث أعادت إسرائيل وصل الجغرافيا التي قطعتها وحققت للفلسطينين في القطاع أول وحدة مع القسم ... , وأطول من الوحدة المصرية [٣] « .

زمن بعد النكبة :

منذ سقوط فلسطين في أيدي العصابات الصهيونية , وإعلان قيام دولة إسرائيل على الأرض الفلسطينية عام ١٩٤٨ م بمباركة القوى الإمبريالية الغربية , تعرض السكان الأصليون لسلسلة من عمليات الإبادة والطرد والتهجير القسري, لم يكتف قادة المنظمات الصهيونية « الإرهابية « بطرد الفلسطينين وتقتيلهم وسلب أراضيهم بطريقة مدروسة , بل واحوا بكل قوة وعزيمة يجسدون المخطط الاستيطاني بإحلال « شعب « مكان « شعب « آخر , فدمروا القرى وأحرقوا المنازل وجرفوا البساتين والحقول في محاولة لاستئصال تاريخ شعب بأكمله , وتطهيره من بصمات الوجود الفلسطيني .

غابت فلسطين من الجغرافيا بعد النكبة , ولكنها لم تغب من التاريخ والابداع ,إذ تحول الشعب الفلسطيني من شعب مستقر إلى شعب لاجئ يحمل تاريخه في كل مكان استقرفيه .

يبين ربعي المدهون : « لم يستوقفه السوق الأبيض الذي لم يعدله لون اسمه فقد بدا خاليا إلا من

١. المصدر نفسه ,ص ١٢٢ .
٢. https://www.marefa.org
٣. المصدر نفسه , ص ١٦٠ .

سقفه المقوس , وأبواب محلاته المغلقة .... وخلال أقل من أربع دقائق كان داخل السوق الشعبي يقف أمام حمص سعيد كان ثمة سياح يتجمعون أمام المحل [١] « . يطرح المدهون في روايته « مصائر « أسئلة لها حساسية تاريخية وسياسية تتعلق بقضية الصراع العربي / الفلسطيني الإسرائيلي منذ بداية الغزو اليهودي واقتلاع الفلسطينيين من أرضهم , أو ما يعرف بأحداث النكبة والغريبية , التي فجرت قضية اللاجئين في الداخل والخارج .

يحاول ربعي المدهون ان يسرد الزمن التارخي في بداية الرواية اعتماد بالاسترجاع يعنى يسرد الأحداث بتذكير الشخصيات التي يتذكر الأحداث التاريخية من تاريخ فلسطين , ومنها ما ورد في المقطع الآتي : « عرف وليد من فاطمة أن بيت أردكيان ظل مغلقا على أثاثه ومحتوياته سنوات عدة , بعد رحيل مانويل وزوجته أليس عن المدينة , في السادس عشرة من مايو ١٩٤٨ م , أي قبل يومين من سقوطها بأيدي المنظمات اليهودية [٢] « , يعود الكاتب إلى أغوار الماضي , ويحدثنا حول بيت إيفانا , وأنه أصبح ملكا لعائلة يهودية تسلمته من الإسرائيليين .

الخاتمة

نستخلص من هذا البحث أن ربعي المدهون يربط بين الأحداث التاريخي التي وقعت من ماضي , ويقارن هذه الأحداث التاريخية بتاريخي الأحداث الراهن , وهو يجعل من الزمن خيطا متينا يربط الأحداث ببعضها البعض ويقيم العلاقات بين الشخصيات . يخبر الروائي للعالم أن أرض الفلسطين هي للفلسطينيين فقط , ليس للمحتلين الذين يحتلون في فلسطين ليس لهم حق أن يعيش في أرضهم . يقصد ربعي بالاستباق والاسترجاع أن يلتفت نظر المجتمع إلى تاريخ فلسطين وأن يعيد لشعب الفلسطيني أرض الفلسطين التي احتلت الإسرائيل.

المصادر و المراجع

١. ربعي المدهون: مصائر كونشرتو الهولوكوست والنكبة, ط١, المؤسسة العربية للدراسات والنشر, بيروت, ٢٠١٥.

٢. غريد الشيخ : الأدب الهادف , ط١ , دار الفارس , عمان , ١٩٩٩م

٣. خليل شكري هياس : القصيدة السير الذاتية , ط١, عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع , الأردن , ٢٠١٠م

٤. عبد الصمد زايد : مفهوم الزمن ودلالته في الرواية العربية المعاصرة , ط١ , دار العربية للكتاب , ٢٠٠٥م , تونس

٥. عبد الحميد محادين : التقنيات السردية في رواية عبد الرحمن منيف , ط ١, دار الفارس , عمان , ١٩٩٩م

٦. https: //web. Archive .org/web.

٧. https://www.marefa.org

٨. https://www.aa.com.tr.

٩. https://www.aljazeera.net.

١. المصدر نفسه . ص ٤١ .

٢. المصدر نفسه ص ١٧ .

الظواهر الثقافية الاجتماعية في رواية ' بقعة عمياء' لسميحة خريس

السيدة/ راشدة رشيد ب.ب[١]

الدكتور/ يونس سليم[٢]

الملخص

سميحة خريس روائية وقاصة الأردنية ، ورائدة من روّاد الروائيين الأردنيين، وقد تنعكس في معظم رواياتها حياة المجتمع الأردني خاصة والمجتمع العربي عامة، تمثل رواياتها مختلف نواحي الحياة العامة، وتعالج قضياتهم وتواريخهم وثقافاتهم وحاجاتهم وآمالهم وأحلامهم وأحوالهم سواء أكان رجالا أم نساءًا. وقد قدمت خريس حياتها ورواياتها للتنمية وللتثقية وللتوعية المجتمع، لأنّ قلبها معطوفة للحياة العامة، ولا شك، أنّ رواياتها تدل على أنها كاتبة الشعب. وقد عالج كثير من الناقدين والباحثين والكتاب موضوع كتابات خريس ونظرياتها وأفكارها وآرائها وأساليبها، وإنّها لعبت دورا هاما في توعية المجتمع عن حقوق الإنسان، والعدل، والمساواة وغيرها من القيم. ولسيسيو الثقافية دور بارز في حياة المجتمع سواء أكان ماضيا أو حاليا أو مستقبلا، أمّا الكلمة «السيوسيو الثقافية» هي مصطلح جديد يشير إلى سلوك الإنسان وأساليب حياته الذي يشكل ثمرة بتواصل بعضهم ببعض ثقافية واجتماعية، وينتجون و يتوالدون ثقافة جديدة التي سببت لتغير الاجتماع. تناولت خريس في روايتها الأخيرة 'بقعة عمياء' الأحوال الطبقة الوسطى في العالم العربي عامة وعمّان خاصة، نرى في الرواية كيف تتأثر الثقافات الجدد في حياة الشخصيات وانعكاسها في المجتمع، تناولت هذه الوجهة حينا واضحة وحينا خفية، وتعلن نظرياتها وآرائها اعلانا صراخا بلسان شخصياتها والأحوال التي تقضي حياتها. تحاول الباحثة هنا أن تشير إلى بعض من الظواهر الثقافية الاجتماعية التي حدثت في حياة الشخصيات الرواية ، وهذا ما يوضح للقرّاء كيف يتعامل هذه العناصر في حياة المجتمع وثقافتها.

نبذة عن حياة الروائية:

سميحة خريس هي روائية وقاصة وصحافية أردنية من مواليد عمّان، لها عدة آثار في مجال الرواية والقصص القصيرة والسيناريو الإذاعة والتلفزيونية، وقد حصلت على عدة جوائز مرموقة لآثارها الأدبية، تمتاز رواياتها بشخصيات متنوعة وتقنيات مختلفة في السرد.

لمحة عن الرواية:

'بقعة عمياء' هو العمل الأخير لسميحة خريس الذي تتناول فيها حياة الطبقة الوسطى في العالم العربي وآمالهم وأحلامهم وقضاياهم ومشاكلهم ومسيرتهم الحياتية، «هي رحلة زمنية تمتد من ثمانينيات القرن الماضي، وجغرافيات تتوزع ما بين أحياء عدّة في عمّان وخاصة «الشميساني» رمز الأرستقراطية المتأرجحة،

١ . باحثة، قسم الماجستير والبحوث للغة العربية وآدابها، كلية فاروق، كاليكوت

٢. الأستاذ المساعد، قسم الماجستير والبحوث للغة العربية وآدابها، كلية فاروق، كاليكوت

و»جبل الحسين» تلك المنطقة التي انتقلت إلى قائمة «المناطق الشعبية»»[1]. تمثل الروائية الأحداث الرواية على لسان شخصياتها المختلفة، ولا تعتمد على راو معين أو بطل محدد، لكل شخصيات حياتين؛ حياة داخلية وحياة خارجية، ولكلهم حكاية خاصة وعالم مؤلمة ووحدة. وتصور قضية الحياة العامة في العالم العربي بدقة متناهية، أخذت عمّان نموذجا لتمثيل أحوالهم ابتداءً من حياة مرأة [نوال] التي ولدت في جبل الحسين في عمّان، وقدمت إلى منطقة الشميساني لتعمل موظفة في بنك، أثناء إقامتها هناك تتعرف على مثقف اسمه ربحي الذي يعمل في إحدى المكتبات، ويمارس عملية كتابة التقارير الأمنية بزملائه، ووقعا في الحب، وتزوجا. ثم تعالج الروائية حياتها الأسروية الصعبة، وكانت نوال ككل البنات التي تحلم الحياة السعيدة والسرورة والسلامة بعد الزواج، وحاولت أن تنشئ امبراطورية نون تشبها لفلم فاتن حمامة امبراطورية ميم، ولكن الحياة كما قالت نوال: «تتوالد كما نسيج عنكبوتي مكين يحيط بي ويزداد تعقيًدا كلما حاولت الإفلات منه»[2].

بعد سنوات قليلة نبغ ربحي في أعمال سياسية، وصار غافلا تماما عن أسرته التي تتضمن على ابن [نادر]، وابنتين [ندى]، و[نور] الضريرة، وفرضت نوال أن تقبض على زمام أمر أسرتها، وكانت دائما يشاجر مع ربحي في انشغاله بالأعمال السياسية التي لا فائدة فيها للحياة في نظريتها، أما ابنتها الكبيرة ندى تخضع لعلاقة مع شاعر قادت إلى حمل جنين وساعدتها أمها للتخلص من الجنين، بعدها صارت زوجا لرجل في عمر والدها والعيش معه، وابنتها الصغيرة الضريرة نور صارت أسيرة في الحب المستحيل لمعلمها الحنون في المعهد، ولكنها أخفضت حبها في قلبها، ولم تسمح هذا الحب أن يخرج من قلبها مخافة هدم حياته الزوجية، وابنها نادر هو الابن الفاشل « الذي اعتاد إثارة المشكلات ، فينتهي به الأمر في سورية، ملتحقا بالمنظمات الإرهابية التي وضعتها أنظمة الاستبداد»[3]، ونوال أثناء حاجات الحياة انخرط في علاقة جسد مع مالك البيت عبد الجليل، وبهذا رخص لها التأجير في كل شهر، أما عائلة مالك البيت عبد الجليل تتآكل أيضا، هو تاجر صالح ولكن الشيطان تذبذب في قلبه نحو نوال، وابنه عبد الكريم يدمن المخدرات في البداية، ثم فجأة يلتحق بالمجاهدين في أفغانستان وصار رجلا صالحا، وزوجته لميس مغيبة عن كل شيء، ولم يجر هناك أيّ تواصل مع زوجها، ولكنها تفرغت دائما لدروسها الدينية، أيضا أنها مسرورة في تحول ابنها إلى التدين، فكل شخصيات تتحدث عن نفسها وينفث آلامها وأحزانها وتمثل الحياة العربية وأحداثها الاجتماعية.

تشتمل الرواية على كثير من الظواهر الثقافية الاجتماعية في المجتمع العربي، وتحاول الباحثة هنا أن تشير إلى بعض من هذه الظواهر؛

(الأول) بناء الأسرة : إن الأسرة هي أساس مهم في تكوين الثقافة في الأشخاص، وأنّ الزواج هو العنصر الأساسي في تكوين الأسرة، والزواج هو السبب المباشر الذي يسبب التغير في الأفراد اجتماعيا وثقافيا، وهذا ما نرى من حياة الشخصية 'نوال' كما قالت عن المكان الذي التقت زوجه ربحي أولا: « أكره المكان، فهو المصيدة التي حولت حياتي إلى الجحيم»[4]، وتقول عن حياتها الزوجية « تتوالد كما نسيج عنكبوتي مكين يحيط بي ويزداد تعقيدا كلما حاولت الإفلات منه «[5]، أما ربحي ففيه شكّلت الزواج نوعا من 'الوحدة' في حياته الأسروية باهتمامه المزيد في

١. بديعة زيدان، « «بقعة عمياء» لسميحة خريس.. رواية في رثاء الطبقة المتوسطة»، الأيام، 18/10/2020.
٢. خريس سميحة، بقعة عمياء،الطبعة الأولى،(عمّان:الآن ناشرون وموزعون،٢٠١٩)،ص: ٥
٣. بسمة النسور، « «بقعة عمياء» لسميحة خريس»، الجديد العربي،04/11/2019.
٤. خريس سميحة، بقعة عمياء،الطبعة الأولى،(عمّان:الآن ناشرون وموزعون،٢٠١٩)،ص: ٥
٥. نفس المصدر،ص:٥

الأحوال السياسية، وندى قد تغيرت تماما في لباسها بميول واضطرار زوجها العجوز.

الأمومة والأبوة هما عاملان آخران في حياة الأسروية، عندما صارت نوال أمّا لأبناء الثلاثة، ركزت في تربيتهم، عندما فقد عمل ربحي كبرت مسؤولية نوال، واضطرت أن تتولى إعانة عائلتها، وانشغلت لإتمام حاجات أبنائها، ولكنها فشلت فيه تماما، حتى خاضعت لاستغلال الرجال فقرها، أمّا ربحي فكان غافلا تماما في تأدية أبوته، وهذا كل قاد إلى سوء خلق أبناءه وفشلهم في الحياة، تقول ندى: « بيتنا عالم بارد، لا ألعب كثيرًا، تتركني أمي لتأملاتي المطولة أو لشاشة التلفاز المفتوحة على الدوام في الصالة حتى لو لم يكن أبي جالسًا، ولأن أحدًا لا يكلم أحدًا في البيت نحتاج لمن يثرثر، لا يخلو الأمر من ليال أفزّ فيها مفزوعة على صوت تصايحهما، يدوم هذا وقتًا كافيًا لحفظ كل السباب اللازم للتجريح ولطيران النوم من عيني، ثم تخرج أمي غاضبة من الحجرة حاملة غطاءها ومخدتها، تستلقى على أريكة الصالة وتلتف بالغطاء، جربت لمرات أن أندس قربها مؤكدة انحيازي لها ومساندتي، فصوت أبي يخيفني، ولكن صوتها ليس أقل حدة، تدفعني بعيدًا وهي تأمرني بالعودة إلى سريري»[1]، هذه الأحداث كلها ملأت في أنفاس الأطفال نوعا من مظهر سلبي ، وتظهر واضحا في سلوكهم، وهكذا للأسرة دور هام في المستقبل المجتمع وثقافته.

(الثاني) الجنس : تصور الروائية بطلتها نوال تمثيلا لاستغلال الرجال المرأة وفقرها ومشاكلها، فالنساء كن صامتن وصبرن هذه الاستغلالات كلها خوفا إما من فقدان المادية أو إما من الأزمات الاقتصادية أو خوفا من هدم علاقات بعضها ببعض، مثل نوال أمام معاملة مدير البنك خوفا من فقد وظيفتها، وكذلك أمام مالك البيت عبد الجليل خوفا من فقد سكنها، وهن خفن المجتمع وصمن مثل أمر الشاعر وأبناء خال في حياة ندى، هذا استبداد الرجال المرأة تكونت في نفسها نظرية وموقف سلبية نحو الحياة وهذا يؤثر في الثقافة والتقدم وتطور المجتمع لأن المرأة هي شواهد المجتمع.

(الثالث) المو اقف : هي نوع من أنواع الاتفاق الجماعي بين الأشخاص حول سمات الموقف، وتكوينه، وكيفية التفاعل والتأقلم بصورة الذي يناسب معه، وهذا ما نرى من موقف ربحي السياسية قادت أسرته إلى الهزيمة وهدم علاقاتهم، وموقف نوال لموقف ربحي السياسية هو موقف معارضة شديدة لأنّ السياسة في نظريتها خسارة لا فائدة للحياة، أمّا والد نوال هو خائف السياسة، لذا أخفيت نوال أفكار ربحي عن والدها، وكانت نوال مركزة في كسب رزق أسرتها وتقول: « لم أكثرت لمن راح ومن جاء، من مرض ومن مات ومن عاش»[2].

أما أيسر معلم نور في المعهد له موقف إيجابي، لأنه يملأ في الضريرة أفكارا إيجابية لأن تعيش نشيطة وقوية وناجحة طوال حياتها. تقول: « أنه يبتسم بود، رصدت انتظام أنفاسه الصبورة العطرة وأنا أحكي عن أحلامي وأفكاري التي لا أبوح بها لسواه، قال لي: لا تخافي، حتى الذين يبصرون يحلمون، أثناء النوم أو في اليقظة، يرون ما يتمنون أو يخافون، يرون ما لا تراه العيون، العالم ليس كما نراه حقًا، تحسّسي الأشياء، تعرّفي على الكون من خطوط الخرائط البارزة، أو حروف بريل الناتئة، اعرفيه من تكور التفاحة الملساء، من نعومة وبر القطة الأليفة، عالجي الكون المصغر بين أناملك، لاحظي تعرّجاته وانثناءه وخطوطه المستقيمة، هكذا يبدو الفيل كما تلمسين مجسّمه البلاستيكي، لكنه أكبر بجلد مجعد وعينين حلوتين،»[3]، وموقف ندى في علاقتها مع

١. نفس المصدر،ص:٢٢

٢. خريس سميحة، بقعة عمياء،الطبعة الأولى،(عمّان:الآن ناشرون وموزعون،٢٠١٩)،ص:٢٩

٣. نفس المصدر، ص:١١٧

الشاعر تقول: « لم أقايض علاقتي برضى أمي أو إمكانية الفضيحة في العمارة «المحترمة» قررت أن ليس لامرئ من الخليقة أمر عليّ ونهي «[1]، وهكذا لكل شخصيات موقفهم خاصة الذي نشأ من سياق حياتهم. ولها أثر بالغ في ثقافة المجتمع.

(الرابع) كيفية تربية الأطفال : « تربية الأطفال هي عملية تنشئة الطفل منذ لحظة ولادته وإلى أن يبلغ سن البلوغ، فهي تشير إلى الطرق والممارسات التي يتّبعها الوالدان بهدف إعداده لحياة مستقلّة من خلال تعليمه الالتزام بقواعد المجتمع الذي يعيش فيه، وكيفية التعامل مع الآخرين بالشكل الصحيح»[2].

نرى في الرواية الوالدين الفاشلين في تربية أطفالهما، ربحي كان في هذه العملية غافلا تماما منذ ولادتهم، أمّا نوال وهي منشغلة في كسب الرزق لأسرتها، ولكنها أثناء ذلك نسيت تماما تربيتهم العلمية والأخلاقية حتى غفلت عن علاج ابنتها الصغيرة في وقت لاحق، بعد فقدان بصرهاتماما حاول نوال وزوجها لاستردادها، ولكنهما فشلا فيه. وصار ابنه نادر فاشلا في دراسته وأسيرا لسوء الأخلاق والصراع، أما ابنتها الكبرى ندى كانت في طفولتها سارقة في المدرسة، ومن عاداتها أن تسرق أشياء صديقاتها لتغيظهن، تسقط طعام الصغيرات اللطيفات وتركهن باكيات في الساحة، كرهت أسرتها شديدا، لأنها تذكر عندما شاهدت الصور (التاريخ١٩٨٥) : « كنت في الثانية من عمري آنذاك، لا أذكر أني رأيت أبي وأمي في غير تلك الصورة يجلسان جنب إلى جنب في مثل هذا الوضع الذي يشبه العناق الجانبي، لا في صورة أخرى ولا على أرائك بيتنا الباردة التي كلح لونها البني»[3] تمنيت ليت أمها جارتها أم كريم، وقالت لعاشقها الشاعر: «أحدّثه بلوعة عن أمّ لم تمشّط شعري وأب يكذب كما يتنفّس»[4]، ولكنها عندما ساعدت نوال لتخلصها من الجنين بعد اجهاظها تقول: «عادت بي أمي التي اكتشفتها كأنّي لم أعرفها بتاتًا، حفظت سرّي عن أبي وأخوتي، شدّت أذني جيّدًا بلا رحمة وهي تشرح لي ضرورة موت السّرّ في نفسي تمامًا، فلا أمنحه لزوج مستقبلي أو صديقة أو حبيب، بل لا أذكر به نفسي المنكسرة، وأتعلم كيف أشطبه من ذاكرتي وحياتي إلى الأبد، هدّدتني بحزم أنها ستقتلني بكفّيها لو استسلمت لأحزان مائعة كتلك التي تبثّها الأغاني، الدرس الأول الذي تعلمته من نوال، ولكنه يكفيني لأواجه به الحياة التي خذلتني وما سلمت نفسي لخذلانها»[5]، وأن نوال قد اعترفت هذه الحقيقة أيضا قائلة: « فلو كنت أما حقيقية مخلصة لأمومتي لتمكنت من تغيير مسار القدر»[6].

أما في بيت عبد الجليل أن ابنه الوحيد كريم في أول أمره أسير لسوء الأخلاق، ونبغ في السرق واستخدام المخدرات، وطرده من المدرسة رغم أنّ أباه وأمه كريمان ومتدينان، كما قال عبد الجليل: « أنا زوج مثاليّ وأب جيّد حتى لو لم أجالس عائلتي كما يجب وكما تتهمني لميس، فكل ما أفعله يدور حولهما تمامًا، من أجلهما، انشغالي بتجارتي والبيت والحديقة، توسعي ولحاقي بمتطلبات السوق، كل هذا كان من أجل هذه العائلة الصغيرة، فهم كلّ ما أملك»[7]، ولكنهما وقعا في الحزن لسوء خلق ابنهما الوحيد، لأنهما صارا والدين هزيمين في تربية الأولاد.

---

١. نفس المصدر، ص: ٨٨

٢. طلال مشعل،(تاريخ النشر:٢٢-٠٤-٢٠٢٠)،كيف تكون تربية الأطفال، موضوعhttps://mawdoo3.com،تاريخ الدخول:١٠-١٢-٢٠٢٠

٣. خريس سميحة، بقعة عمياء،الطبعة الأولى،(عمّان:الآن ناشرون وموزعون،٢٠١٩)،ص:٢٠

٤. نفس المصدر، ص:٨٧

٥. نفس المصدر، ص:٩٠

٦. نفس المصدر، ص:١٧

٧. نفس المصدر، ص:٣٧

(الخامس) الهوية الثقافية: « الهوية الثقافية هي نظام من القيم والتصورات التي يتميز بها مجتمع ما تبعًا لخصوصياته التاريخية والحضارية، وهي كيان يتطور باستمرار ويتأثر بالهويات الثقافية الأخرى ولهذه الأخيرة مستويات ثلاث هوية فردية، هوية جماعية، هوية وطنية»[1]، وهذه الوجهة واضح في شخصية لميس المتدينة في أفعالها وأحاديثها، وهي الداعية والناصحة دائما لابنها وزوجها، وانعقدت في بيتها دروس دينية للنساء، وأيضا ابنها الكريم بعد توبته وانضمامه في جمعية أفغانستان وصار شيخا صالحا وداعيا مصلحا في ارتداءه ومشيته وكلامه وأعماله، وهو السبب الرئيس لإرسال نادر إلى سوريا لتنمية روحه وتثقيفه.

أما ربحي فهو صورة واضحة للمثقف في أفكاره وتعبيراته، ويحب دائما أن يناقش حول ما يحدث في العالم وعن أفكار عميقة وآراء شائعة، كقول نوال: « تعبيرات يرددها زوجي متقمصًا شخصية الفيلسوف كأن يقول: إن (نيتشة) وصف الأوضاع المتوترة بـ«عبوة ديناميت»»[2]، ويقول ربحي عن نفسه: « كنت أعمد إلى الكتب أقلب صفحاتها سريعًا وأنتقي عشوائيًا عبارات أعجبتني، لا يطالبك المستمعون بالتفاصيل، تكفي إشارة ذكية لتبهرهم، تشكل عناوين أحاديثي قفزات بين الخطير من الأفكار والكتب»[3] ، ويقول أيضا علامة تثقيفه العلمي: « أقتنصهم في الندوات الثقافية وفي مقاهي جبل اللويبدة والشميساني، في المسيرات والمناسبات الوطنية، لا أنتظر دعوة من أحد، أتقدم بنفسي إلى تجمعاتهم، ثم أمسك برقبة الحديث وأمتطيه كفارس على صهوة حصان، أتنقل بين موضوع وآخر برشاقة وخفة دون عناء، أتريث قليلًا مفسحًا المجال لأحدهم كي يعلق أو يبدي رأيه إذا ما احتجت إلى كلمات إضافيّة أدبجها في التقرير الأمني» [4]، ويقول ردّا (في نفسه) للطبيب الذي شرحه الأمر لربيه، يقول في نفسه: « ما حاجتي لكل هذا الاستعراض العلميّ أيها الطبيب؟ لقد قرأت من الكتب أضعاف ما حفظت في جامعتك، كتب في كل تخصّص ومجال، ولست بحاجة لسخريتك الوقحة «[5]، هذا هو ربحي، يظن أنه من فئة المثقفين وأنه عالم بكل شيئ، ويحاول كثيرا لرؤية ثقافته مع من حوله.

(السادس) تغيير الثقافة: هو من عناصر الهامة التي سبب لتغيير الثقافية الاجتماعية، ونرى هذا التغيير الثقافي واضحا في أمر الكريم بعد انضمامه في جمعية باكستان، وصار حاله مقابلا عما قبله. وهذا أيضا حدث في حياة نادر، نور الضريرة بعد حصولها على العلوم والخبرات من المعهد توسعت وتغيرت أفكارها نحو الحياة، التغير الثقافي في حياة نوال بعد زواجها توصلت إلى هلاك حياتها الزوجية وسوء تربيتها الأطفال، وعلاقتها مع مالك البيت قادت إلى استغلال نفسها وجسدها وهدم إخلاصها.

(السابع) السنّ : ولسنّ أثر بالغ في نظرية الثقافية الاجتماعية، لأنّ مع مرور السن يتغير أفكار ومواقف ونظريات الانسان، وهذه الحقيقة تصور الروائية ظاهرا في الفصول الأخيرة، لأنّ كل شخصياتها عندما تقدمت السن يتغيرون تماما، مثل ربحي ترك سياسته ونبغ في الصلوات والمساجد، وكأن ندى صارت زوجة صالحة متدينة كلميس، وعبد الجليل صار إنسانا زاهدا بلا أي شهوة نحو السريلينكيات أو الفليبينيات أو غيرهما التي تغسل بعد مصابه الشلل.

---

١. جمال ناصر،(تاريخ النشر:٢٨-١-٢٠١٥)،الهوية الثقافية وتحديات العولمة،مركز الجزيرة للدراسات،https://studies.alja-zeera.net،تاريخ الدخول:١١-١٢-٢٠٢٠

٢. خريس سميحة، بقعة عمياء،الطبعة الأولى،(عمّان:الآن ناشرون وموزعون،٢٠١٩)،ص:٥

٣. نفس المصدر،ص:٢٩

٤. نفس المصدر،ص:٢٩

٥. نفس المصدر،ص:٣٢

(الثامن) التربية والتعليم : هو العامل الهام الذي يستطيع أن يثقف وأن يتغير المجتمع تماما، وهو لواء التقدم والتطور، تؤثر التربية في فكر كل إنسان مثل نور التي أعطاها أستاذها أيسر درسا إيجابيا لتواجه العالم ولتسير أمامها بقوة، ونوال صارت موظفة في البنك بعد دراستها، وهذه الوظيفة هي العمادة التي ساعدتها لإتمام حاجات أسرتها، وكذلك ربحي المثقف يسعى دائما لصلاح مجتمعه، رغم أنه صار هزيما في حياته الأسروية، وزوجة عبد الجليل تثقفت بواسطة حلقات الدين الذي عقد في بيتها، وصارت متدينة وقوية في طوال حياتها، هكذا التربية والتعليم يحرض على الانسان ويثقفه ويحسن حياته، وهذا يقود إلى أن ينشأ ثقافة جديدة في المجتمع.

الخاتمة

عرضت سميحة خريس أحداث الرواية انعكاسا لحياة البلدان العربية جميعا، معتمدة لغة مكاشفة مباشرة، لا تخلو من خشونة. حقا، هي رواية في رثاء الطبقة المتوسطة، حينما يحتك شخص بثقافة أخرى أو أسلوب أخرى، بالتأكيد يؤثرها فيه ويتغير حياته، وللقارئ يمكن أن يفهم واضحا كيف يولد ظاهرة الثقافية الاجتماعية بين الناس وكيف يؤثرها في الحياة الاجتماعية، لأن الروائية تبتدأ رحلتها من البداية وتسير مع كل شخصيات، وتعالج كل مرحلتهم الحياتية سواء أكان نفسيا أو جسميا، تستطيع للقارئ أن يفهم كيف تؤثر عناصر الثقافية الاجتماعية لكل جانب حياتهم.

المصادر والمراجع

١. سميحة خريس،(٢٠١٩)، بقعة عمياء، الطبعة الأولى ،عمّان:الآن ناشرون وموزعون.

٢. باسم الزعبي، «بقعة عمياء» لسميحة خريس، الرأي،12/10/2019.

٣. بديعة زيدان، «بقعة عمياء» لسميحة خريس.. رواية في رثاء الطبقة المتوسطة، الأيام، 18/10/2020.

٤. بسمة النسور، «بقعة عمياء» لسميحة خريس، الجديد العربي،04/11/2019.

٥. طلال مشعل،(تاريخ النشر:٢٢-٠٤-٢٠٢٠)،كيف تكون تربية الأطفال، موضوع.https://mawdoo3 com،تاريخ الدخول:١٠-١٢-٢٠٢٠

٦. جمال ناصر،(تاريخ النشر:٢٨-٠١-٢٠١٥)،الهوية الثقافية وتحديات العولمة،مركز الجزيرة للدراسات، https://studies.aljazeera.net،تاريخ الدخول:١١-١٢-٢٠٢٠

الإنسانية في قصص جمال فايز:الرحيل والميلاد أنموذجا

السيد/ شرف الدين[١]

الدكتور/ محمد عابد يو.بي[٢].

الملخص

تعد هذه الدراسة محاولة للإشارة إلى إسهامات الروائي والقاص الشهير المعاصر جمال فايز السعيد و ومميزاته في المجموعة الرحيل والميلاد.وقد لعب هذا الكاتب الكبير دورا بارزا لا يستهان به في رفع الأدب العربي القطري إلى مصفات المستوى العالمي.وذلك كان من خلال إسهاماته في فن الأدب القصصي منذ بداية الثمانيات من قرن العشرين حتى الان .وتسلط هذه الدراسة الأضواء على إسهاماته في القصة القصيرة وكما تقدم هذه الدراسة بيانا عن مجموعته القصصية»الرحيل والميلاد».

وهو أحد المبدعين القطريين الذين لا يثيرون ضجة كاذبة ،ولا يعشقون أنفسهم إلى حد النرجسية،ولا يطاردون الشهرة بسياراتهم رباعية الدفع ،يكتب في هدوء،ويمشي حافيا حتى لا يزعج الآخرين ،حاسرا كما لو كان في بيته،مبتسما لأنها مش ناقصه تقشير.»قصصه تنتهي قبل أن تبدأ،أو هي تبدأ حين تنتهي،هو نفسه لا يعرف ولا يريد أن يعرف لماذا،هو عير معني بأن يشرح ويفسر ويتفلسف،قصصه واضحة وضوح فطرية الأطفال ،فيها واقعية لوحات علي ويوسف الشريف ،وبساطه ألحان حسن علي»[٣].يكتب عن زمن جميل،كان فيه كل سكان قطر يسمعون صوت البحر ويشمون رائحته،ويعتبرونه بداية الكون ونهايته،يحترم الصغير الكبير،ويقدس البشر ما يستحق القداسة ،الكل يعمل والكل يفرح برزقه ،للحزن جلال وهيبة،وللفرح بهجة وانشراح،وللحياة طعم،

مولده ونشأته

هو العلامة الأديب جمال فايز السعيد هو الكاتب الأديب العربي المعاصر المشهور في مجالي القصة القصيرة والرواية في الأدب العربي المعاصر. اسمه الكامل جمال فايز خميس مبارك السعيد ،هو قطري.ولد بالدوحة في مدينة أم غويلينة في ١٨ اكتوبر سنة ١٩٦٤م.نشأ وترعرع في أحضان والديه, رحاب عاصمة الدولة قطر.»بدت عليه بوادر الفطنة والذكاء وأحب سماع القصص الخيالية والشعبية وخاصة تلك التي تتعلق بعالم الغيبات والجن والأرواح والصراع بين الإنسان والطبيعة,فوسعت هذه القصص مداركه العقلية والفكرية ليسبق العقل سنه في المساهمات والإبداعات الثقافية المختلفة ,وكانت والدته الملجأ لهذه الأساطير حيث كانت تسرد عليه مجموعة من الحكايات والخرافات والأساطير فتأثر بها وإشتاق إلى قراءتها ولكن الظروف الإقتصادية لم تسمح له باقتناء هذه الكتب ونمت علاقة بينه ودار الكتب القطرية للقراءة والإطلاع منذ نعومة أظفاره ليجد المجلة المفضلة وهي مجلة الأطفال «ميكي موس»وكانت من المجلات المحببة إليه.تزوج الفنان القاص الممثل جمال فايز من احدى كريمات إحدى الأسر القطرية وله من الأبناء ريم،خلود،خالد،جاسم.

١. باحث قسم الماجستير والبحوث في اللغة العربية وآدابها،كلية فاروق،كاليكوت،كيرلا،الهند

٢. أستاذ مساعد ومشرف البحوث،قسم الماجستير والبحوث في اللغة العربية وآدابها،كلية فاروق،كاليكوت،كيرلا،الهند

٣. إمام مصطفى،الفطري،مختارات من المقالات (عندما يبتسم الحزن)،مطابع القطر الوطنية،الطبعة الثانية،٢٠١٢م،ص١٠٠

حياته العلمية والعملية

بدأ دراسته في مدرسة الخليج العربي الإبتدائية وساهم عدد من الأنشطة التربوية وخاصة النشاط الصباحي في الإذاعة والصحافة المدرسية بجانب المسرح المدرسي,كل هذه المساهمات أثرت فيه فتوسعت مداركه الفكرية والعقلية»[١](١) وحصل على بكالوريوس جغرافيا تخطيط من جامعة قطر عام ١٩٨٨.وكان صحفيا في جريدة الراية و ترأس قسم الأنشطة الثقافية بإدارة الأنشطة والفعاليات الشبابية بوزارة الثقافة والفنون والتراث.وقد انحصر انتاجه المطبوع في القصة القصيرة التي مارس كتابتها منذ عام ١٩٨٦ م.حاصل على قلادة العنقاء الذهبية الدولية من مهرجان العنقاء الذهبية الدولي الرحال في دورته الثانية ٢٠٠٨-٢٠١١ . مُنح العضوية الشرفية من نادي الجسرة الثقافية الاجتماعي١٩٩٦م، وعضو في اللجنة التأسيسية بالجمعية القطرية للكتاب والأدباء.تولى منصب أمين السر بمركز الإبداع الثقافي من ٢٠٠٨ إلى ٢٠١٠. ويشارك في العديد من المهرجانات والملتقيات المحلية والخليجية والعربية.

تدرس أعماله القصصية ضمن المنهج المدرسي للغة العربية في الكثير من المدارس القطرية في المرحلتين الإعدادية والثانوية. ترجمت أعماله القصصية إلى لغات عديدة كالانجليزية والسويدية والروسية والفرنسية. أعدت أربعة من أعماله القصصية للمسلسل الإذاعي (قصص خليجية). اختارت الباحثة الأوكرانية لود ميلا سافارا جالي أعماله القصصية لنيل رسالة الماجستير وقد حصلت على دبلوم الدراسات العليا ودرجة التخصص في اللغة العربية وآدابها من جامعة تفريدا الوطنية قسم اللغات الشرقية عنوان البحث (تأثير الثفافة على الحياة الإجتماعية في أعمال جمال فايز).اختارت الباحثة التركية بتول شاهين أعماله القصصية لنيل رسالة الماجستير من جامعة استنبول,اعتمدت الرسالة في اكتوبر ٢٠٠٦،عنوان البحث (حياة جمال فايز,مؤلفاته وشخصيته الأدبية وتحليل مجموعته عناقد البشر).اختير جمال فايز ضمن (٦٠) أديبًا عربيًا معاصرًا في مجالي القصة القصيرة والرواية العربية ضمن مختارات من الأدب العربي الحديث التي صدرت في كتاب بعنوان "القراءة الأدبية للمتقدمين في العربية" عن دار النشر البريطانية، من تحرير د.محمد علي عزيز، ود.جوناس البستي الأستاذين في جامعة بيل الأمريكية عام ٢٠١٦، وذلك لتعريف الدارسين الأمريكيين والأوروبيين بنماذج مختارة من الأدب العربي الحديث، وإثراء معارفهم عن الأدب العربي.»وكتب عديد من الأدباء والكتاب حول أعماله القصصية. قدمت له فرقة مسرح النادي العربي الرياضي مسرحية «حطام المسافات البعيدة» وهي مأخوذة عن القصة تحمل نفس الإسم من مجموعته القصصية «الرقص على حافة الجرح « وقام بإعدادها للمسرح الفنان إبراهيم عبد الرحيم وأخرجها الفنان عبد المنعم عيسى ..كما فازت بعض قصصه في بعض المسابقات وحصلت على درجات متقدمةأهلتها لنيل بعض الجوائز[٢]». وقدمت عن أعماله العديد من الدراسات النقدية لعدد من النقاد العرب المعروفين ومنهم الدكتور مراد مبروك وحسين النجم وأنور جعفر وسيد الوكيل وشعبان يوسف وغيرهم.

الرحيل والميلاد

صدرت المجموعة القصصية الثالثة للكاتب القاص المتميز جمال فايز بعنوان «الرحيل والميلاد»سنة ٢٠٠٣

١. حسن حسين رحلة مبدع قطري ،جمال فايز، بدأ ممثلا واستقر في عالم القصة القصيرة.جريدة الشرق القطرية ، صفحة آداب وفنون،٢٥-٠٧-٢٠٠٤م

٢. خليل إبراهيم الفزيع، جمال فايز بين الرحيل والميلاد. من كتاب : في دائرة الإبداع ، أديبات و أدباء من قطر.دراسة نقدية ، الطبعة الأولي ٢٠٠٨م ، مطابع الشركة الشرقية للطباعة والصحافة والإعلام، السعودية ، ص ١٢٥

م.وقد صدرت عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث، احتوت على ١٦ قصة قصيرة ،هي الترتيب : تبقى من شظايا المحار،دويبات الباب الخشبي،يوم العيد،بشر من الأكفان،قرابين مياه البحر,الصقر،وباء الفؤاد الجمائم البيض،زهرة،ضجيج الصمت،أرواح البيوت،قطعة الصقر،تحت ظل النخيل،الرحيل والميلاد،جذور الكرسي المتحرك،آخر البشر من لحم ودم. تميز هذه المجموعة القصصية بست عشرة قصة رائعة وعبارات صغيرة ومعاني واضحة وحوارات قصيرة تقول شاعرة وكاتبة مصرية عزة رشاد «ومن أجمل ما يميز هذه المجموعة القصصية «الرحيل والميلاد « إنها احتوت على ست عشرة قصة جاءت في ايقاعات سريعة وبجمل قصيرة وحوارات قصيرة مكثفة ومدلية بالمضمون الذي يبتغيه القاص.»[١]

تطور إبداعه في الكتابة القصة القصيرة في هذه المجموعة «الرحيل والميلاد»أكثر من مجموعتيه،في المجموعة الأولى يوجد بعض ضعف الفنية ولكن المجموعة الثالثة تخلصت منها «والمتتبع لمسيرة جمال فايز القصصية يلحظ تطورا ملحوظا مابين «سارة والجراد»و «الرحيل والميلاد»فالأولى تمثل البداية الأولى للكاتب حيث يوجد بها بعض المزالق البدايات بينهما المجموعة الثالثة التي صدرت بعد الأولى بإثني عشر عاما تخلصت من هذه المزالق الفنية.»[٢]تتميز المجموعة القصصية «الرحيل والميلاد»لجمال فايز بأشياء كثيرة يزخر بها إبداعه سواء في الشكل أو المضمون.فبالنسبة للشكل فإن ما يميزه هو هذا البناء الفني للنص الذي اختاره الكاتب لكل قصة كي يحقق مضامين معينة لا يصلح لها ولا يبرزها إلا هذا البناء.أما المضمون فأهم ما يميزه هو تناوله لأحداث تتنوع تداعياتها وفكراتها وهي حقائق واقعة في كل مجتمع أيا كانت ثقافته لأنها تمس الانسان وتهم الانسان سواء على الصعيد الثقافي والاجتماعي والأسري.ومن أجمل مايميز هذه المجموعة القصصية «الرحيل والميلاد»انها احتوت على ست عشرة قصة جاءت في ايقاعات سريعة وبجمل قصيرة وحوارات قصيرة مكثفة ومدلية بالمضمون الذي يبتغيه القاص .

اختار الكاتب هذا العنوان لأن في هذه المجموعة قصة قصيرة اسمها «الرحيل والميلاد»أسلوب بعض الكتاب لاتخاذ عنوان كتبهم لأنهم يتخذون اسم فصل من هذا الكتاب.»في المجموعة القصصية «الرحيل والميلاد»للكاتب العربي جمال فايز،الصادرة مؤخرا ستلاحظ أن هاجسا واحدا مشتركا بين قصص المجموعة كلها ،وإن كان هذا هاجس _الهم_تتعدد تجلياته ومعالجاته بأشكال مختلفة ،ورغم أن العنوان الرحيل والميلاد والذي هو عنوان إحدى قصص المجموعة ،هو الوحيد الذي يدل على تأكيد هذا الهاجس،فضلا عن إنه العنوان الوحيد _ أيضا_بين عناوين القصص الأخرى ،الذي يأخذ الثنائية العكسية من حيث اختلاف المآلين ،الرحيل الذي ينذر بالنهايات الأبدية ،والمجهول ،أما الميلاد فيشي ويؤذن بالبدايات والتفتح والإزدهار ،هذه الثنائية مثل ثنائية مثل ثنائية الهدم والبناء ،البداية والنهاية ،وإن كان الرحيل يعني أكثر من معنى ،فإن كان الكاتب يقصد بالرحيل إنه النهاية الأبدية أو الموت ،فكان من الطبيعي أن ينص عليه بذلك ،ولكن الكاتب ترك العنوان بهذه الصيغة المراوغة ،وإن كانت القصة ذاتها ،تعني في تفاصيلها هذا الرحيل الموت /النهاية،فهذه الثنائية التي تبدت وظهرت بشكل وضح وناصع في العنوان وفي القصة ذاتها ،تظل تتراوح بتضاريس تعبيرية كثيرة ،وبألوان تتدرج حسب الاستخدام النوعي الذي يقتضيه الموقف وتتطلبه الحالة.»[٣]المجموعة «الرحيل والميلاد»تنقسم ثلاثة أقسام حسب الموضوع

١. عزة رشاد، جمال فايز ينطلق من البيئة القطرية إلى شمول الروح الإنسانية ، صفحة ثقافة وأدب ،العدد ٧٩١٤ ، ٢٠٠٤/١/٧ ،صفحة رقم ١٢ .

٢. د.مراد عبد الرحمان مبروك،مختارات من ذراسات ومقالات تناولت المجموعة القصصية «الرحبل والميلاد»مطابع قطر الوطنية،الدوحة،قطر،ط٣، ٢٠١٢م ،ص٩١.

٣. شعبان يوسف،مختارات من ذراسات ومقالات تناولت المجموعة القصصية «الرحبل والميلاد»مطابع قطر

وهي الموروثي،الاجتماعي،الرمزي.»ومجموعة «الرحيل والميلاد»تحتوي ست عشرة قصة قصيرة وتدور في ثلاثة جوانب على مستوى المضمون وهي :الجانب الموروثي ،الجانب الاجتماعي الحاضر والجانب الرمزي الاستباقي أو الرمز المقترن بالمستقبل»[١]

ففي الجانب الأول الموروثي ويعني به حنين الشخصية إلى الموروث الماضي بعد أن هرب منه الجيل المعاصر ووصل إلى حد القطعية عنه في بعض القصص أي أن هذا الجانب يصور طبيعة الواقع المعيشي عند بعض الشخصيات التي تهرب من موروثها وأصالتها وجذورها التاريخية وتحاول الانفصال عنه بكل السبل الممكنة والجيل المعاصر يرغب في إالمحدثات ويرغب عن التقاليد والتراث كما في قصص «وما تبقى من شطايا المحار «و»دويبات الخشبي «و»يوم العيد «و»الحمائم البيض»و»الرحيل ووالميلاد». ففي القصة «ما تبقى من شطايا المحار « نجد الشخصية التي تتحسر عل الماضي الذي هجره الناس وقد أصبحت السفين القديمة التي كانت مصدر رزق للمجتمع شبحا يهرب منه الجيل الحاضر وقد تغير في المدينة كل شيء وحملت الرافعات السفن القديمة ووضعتها في مكان بعيد بينما احب السفينة لا يملك غير موال قديم يردده بين أونة وأخرى وشلاة الاستسقاء لم تعد تجدي شيئا في واقع لفط كل موروثه وتبرأ منه .وفي القصة «دويبات الباب الخشبي «الأب يرفض بيع البيت لكن الأبناء يصرون على بيعه ويتحقق لهم ذلك عندما يطرقون الباب ذذات مرة فلا يرد ويجدونه جثثة هامدة حينئذ يشرع الأبناء في التخلص من البيت االذي يجسد عراقة المكان وأصالته.وفي القصة «يوم العيد» نجد الابناء الذين لا يسألون في والدهم ولا يوجد من يؤنس وحدة الاب وعزلته غير خادمة ويتحسر البعض على الخيام التي اانقرضت ووحلت محلها المباني الاسمنتية وفي «الرحيل والميلاد»لا يحزن الابناء على موت أبيهم ويتلقون العزاء بلا مبالاةبينما الذي يذكره صديقه في رحلة الحياة االذيي يتعجب من سلوك الابناء وهكذا نجد القصص التي تمثل هذا الجاننب الموروثي تعكس فقدان القيم الانسانية النبيلة لدي الأجيال المعاصرة التي لفظت الانتماء لحضارتها وفكرها وثقافتها وبيئتها الزمانية ولمكانية بل انها تسخر منن كل ما يمت بصلة للتراثها القديم حتى الابناء يتلقون نبأ وفاة أبيهم بسخرية ولا مبالاة يقول :»مسح على وجهه ينطق الشهادتين اتجه إلى أبنائه الثلاثة يعزيهم في فقيدهم استاء من الذي رآه في وجوههم حاول بتعبيرات وجهه تذكيرهم بالحدث الجلل لكنهم واصلوا مبتسمين يشكرون المزين مجيئهم الى المقبرة ،تركهم مبتعدا يضرب كفابكف»[٢]. بينما ينظر إلى الشجرة فيري الدئ النبيل بين العصافير الام وصغارها على حين هذا الدفئ أصبح مفقودا في بني البشر.

اما عن الواقع الاجتماعي فإننا نجده يتمثل في العديد من القصص المجموعة منها «ضجيج الصمت»و»ارواح البيوت»و»قطعة السكر»و»تحت ظل النخيل»و»جذور الكرسي المتحرك»و»آخر البشر من لحم ودم».ففي القصة «ضجج الصمت»نجد الرجل الذي يبلغ نبأ وحيده اثناء الاجتماع وتتداعي عليه في هذه اللحظة صورة والده الراحل ويعكس الكاتب بحس انساني مرهف مشاعر الأب في هذه اللحظة الانسانية القاسية على النفس.وفي القصة «أرواح البيوت»يعكس طبيعة المتعيرات في حياة الزوجة العصرية التي تترك زوجها يستيقظ مبكرا لعمله بينما هي تغط في نوم عميق حتى ان الرجل اعتاد ان يتنال الافطار في مقر الشركة التي يعمل بها ونسي تناول الافطار في البيت وذلك بعد ان تزوج وهو في الخمسين من العمر وينتقد الرجل تصرفات زوجته وسلوكياتها

الوطنية،الدوحة،قطر،ط٣، ٢٠١٢م ،ص٨٠.

١. د.مراد عبد الرحمن مبروك،،مختارات من ذراسات ومقالات تناولت المجموعة القصصية «الرحبل والميلاد»مطابع قطر الوطنية،الدوحة،قطر،ط٣، ٢٠١٢م ،ص٩١.

٢. جمال فايز،الرحبل والميلاد،مطابع قطر الوطنية،الدوحة،قطر،ط٣، ٢٠١٢م ،ص٦٥.

الحمقاء فهو مهموم بالواقع المعيشي لكنها هي مهمومة بأكل حبات اللوز والمسلسلات التلفزيونية الهابطة ولكن في عامة التاسع من الزواج وقف يحملق في قطعة السكر بشرية وهي معالجة رومانسية تعبيرا عن حالات الملل التي تعيشها الشخصية مع الزوجة التقليدية غير الواعية بأمور الحياة وطبيعة الواقع.وفي قصة «تتحت ظل النخيل»تجد الرجل الذي يملك حسا انسانيا نبيلا حيث يخرج كل يوم بسيارته ليخفف من قسوة الحر على البسطاء وتعكس في الوقت نفسه التباين الاجتماعي في الواقع الحياتي ونجد الاسان الذي يتحدى الاعاقة ويرفض مساعدة الاخرين ويبيع الجرائد الاخرين معتمدا على نفسه لانها صورة الانسان الذي يتحدى الصعاب في «قصة جذور الكرسي المتحرك»ولكنه يعكس اختلال التراكب الاجتماعية في «آخر البشر من لحم ودم»حيث تعالج قصة الرجل ملمع الاحذية تسوء حالته المادية ويوضع في النهاية في صندوق القمامة دون أن ينتبه اليه احد غير كلبه وهكذا نجد هذه القصص تعكس البعد الاجتماعي في شتى جوانبه.

الخاتمة

إن قصص الرحيل والميلاد تشكل ثلاثة أبعاد جوهرية هي البعد الإنساني والاجتماعي الواقعي والحلمي. يسعى جمال فايز في المجموعة الرحيل والميلاد إلى إحياء القيم الإنسانية والثقافية ولاجتماعية فهو قد شعر بحاجة المجتمع إلى العودة لقيمه الأصيلة وشرع في رفع هذه القضية في قصصه التي تناول فيها مستويات مختلفة في آليات المجتمع لكي يستطيع الجيل الجديد أن يعود إلى الطريق الصحيح في هذا الزمن الصعب ويتجنب الأخطاء ويكون بقدرته أن يبني مستقبلا زاهرا.

المراجع والمصادر

١. د.صبري حافظ ,القصة القصيرة في قطربيبليوجرافيا شاملة ودليل وصفي تحليلي،ج١،وزارة الثقافة والرياضة قطر٢٠١٦م.
٢. محمد عبد الحكم عبد البقي،القصة القصيرة في قطر نشاتهاوأعلامها وملامحها الفنية،القاهرة طبعة خاصة،١٩٩٢م.
٣. فايز صياغ،سبعة أصوات في القصة القطرية الحديثة،إدارة الثقافة والفنون قطر١٩٨٣م.
٤. جمال فايز السعيد،الرحيل والميلاد،شركة الخليج للنشر والطباعة،قطر،٢٠١٤م.

تشكيل صورة المرأةفي روا اية "ذاكرة الجسد" لأحلام مستغانمي

السيدة/ بشرى. ين[١]

الدكتور/ عبد الجليل. م[٢]

الملخص

ذاكرة الجسد رواية من تأليف الكاتبة الجزائرية أحلام مستغانمي، وهي حائزة على جائزة نجيب محفوظ للعام 1998. صدرت سنة 1993 في بيروت. بلغت طبعاتها حتى فبراير 200419 طبعة. بيع منها حتى الآن أكثر من 3 ملايين نسخة.

رسام يدعى «خالد بن طوبال» فقد ذراعه أثناء الحرب، يقع في غرام فتاة جميلة تدعى «حياة»، هي ابنة مناضل جزائري كان صديقاً لخالد أثناء ثورة التحرير، لكن والدها قتل أثناء الحرب التحريرية الكبرى ضد الاستعمار الفرنسي للجزائر.أما هي فتغرم به دون إعتراف منها بذلك، و مع ظهور صديق له يدعى زياد و هو مناضل في الثورة الفلسطينية تتشابك الأحداث بينهما (خالد و حياة)، لكن و في الأخير تواجه تقاليد مجتمعها و ستتزوج بشخصية كبيرة و ذات نفوذ ضخمة في الحكومة الجزائرية، هذا الزواج و ظروف أخرى قاهرة يمر منها خالد ستتسبب في إنهيار كلي لحياته. تتقدم رواية «ذاكرة الجسد»، في شكل خطاب يكتبه الراوي «خالد» إلى البطلة «حياة»، يستعيد فيه أحداث حبه لها وهو جالس أمام نافذة بقسنطينة في وقت : « الوطن كله ذاهب للصلاة « [٣].

وقد تميز استرجاعه بعدة مقابلات، صور عبرها معاناته بعد استقلال الجزائر، وخيبة آمال الثورة التي كانت معقودة قبل الاستقلال.والمرسل «خالد»، مناضل سابق، فقد ذراعه اليسرى في الثورة ضد الاستعمار الفرنسي، وأخذ يستعيض عن اليد طول صفحات الرواية (الخطاب)، ابتداء من يوم ولادتها إلى حين زواجها، وقد تميز حضورها بالنسبة للراوي «خالد» برمزية متعددة، فهي المرأة الحبيبة : «كنا نفهم بعضنا بصمت متواطئ. كان حضورك يوقظ رجولتي، كان عطرك يستفزني ويستدرجني إلى الجنون، وعيناك كانت تجرداني من سلاحي حتى عندما تمطران حزنا»[٤].وهي المرأة الأم : «وكنت تعرضين علي أمومتك أنت الفتاة التي كان يمكن أن تكون ابنتي والتي أصبحت دون أن تدري أمي»[٥].وهي أيضا المرأة الوطن:»أنت أكثر من امرأة، أنت وطن بأكمله» [٦]. ف «حياة» كما يظهر من خلال هذه الأمثلة، تحضر في الرواية موضوعا ورمزا : موضوعا للحب والعاطفة، ورمز للأرض والوطن.

وتعتبر حالة انفصال «خالد» عن «حياة» (الموضوع والرمز)، الموضوع الأساسي في رواية «ذاكرة الجسد»،

١. باحثة، قسم الماجستير و البحوث في اللغة العربية، كلية فاروق، كالكوت.

٢. الأستاذ المساعد و المشرف البحث، قسم الماجستير و البحوث في اللغة العربية، كلية فاروق، كالكوت.

٣. ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي ،ص: 12

٤. ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي ،ص: 120

٥. ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي ،ص: 18

٦. ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي ،ص: 381

ذلك أن في تفاعل «خالد» مع حالة هذا الفقد – الواحد المزدوج- تجلي لنا الرواية رؤاها، ووجهات النظر التي تريد أن توصلها.

المرأة (حياة) موضوعا للحب :

تحضر المرأة «حياة» في الرواية، موضوع حب «لخالد» (الرواي)، في حالة انفصال، وقد شكلت حالة الانفصال هذه، التي ألقت بظلالها القاتمة على خطاب "خالد"، بؤرة معانات هذا الأخير، لما كان لها من تأثير قوي وسلبي على وجدانه ومجريات حياته، لذلك سنحاول فيما سيأتي، رصد صور هذه المعاناة كما تجلت لنا من خلال خطاب «خالد» إلى «حياة» (موضوع حبه المفتقد).وهكذا، فإن حالة انفصال «خالد» عن «حياة» موضوع الرغبة، ستخلق فوضى وجودية في ذاكرته، وهي تصور لنا أن تجربة الحب لا يمكن أن تخلف وراءها سوى الإحباط واليأس، واهتزاز الهوية وضياعها يقول «خالد» في اللحظة التي وصله فيها خبر خطبة «حياة» من شخص آخر : «شعرت فجأة أن صوتي انفصل عن جسدي، وأنني عاجز عن أن أجيب بكلمة واحدة» [١].وهو ما يدل أن خبر الانفصال، أحدث في ذاكرة «خالد» وكيانه، فوضى وجودية زجت به في حالة من اللاتوازن والاختلال : «أحسست أن رقعة الشطرنج أصبحت فارغة إلا مني، كانت كل المربعات بلون واحد لا غير، وكل القطع أصبحت قطعة واحدة أمسكها وحدي ... بيد واحدة» [٢]. لقد كان حدث الانفصال هذا، بمثابة الإعصار الذي جرف كل شيء، ولم يترك سوى الدمار السيكولوجي في أعماق «خالد» : «أنا الرجل الذي حولك من امرأة إلى مدينة، وحولته من حجارة كريمة إلى حصى» [٣].

تذهب «حياة»، لتتحول إلى حلم مفتقد/ مفقود، يلاحق «خالد» ويأبى أن ينصاع للنسيان، رغم محاولات التعويض والإحلال، أي إحلال صور دلالية (كاترين) مكان صور دلالية أخرى (حياة)، لكن عملية التعويض (السيكولوجي)، أو الإحلال سرعان ما تخلق تشويشا وفوضى في بنية خالد العميقة: «كنت أريدك أنت لا غير، وعبثا كنت أتحايل على جسدي، عبثا كنت أقدم له امرأة أخرى غيرك، كنت شهوته الفريدة... ومطلبه الوحيد» [٤].«كانت كل الطرق تؤدي إليك، حتى تلك التي سلكتها للنسيان، والتي كنت تتربصين لي فيها» [٥].والسبب الذي يجعل محاولات التعويض تبوء بالفشل، هو أن "خالد" يستثمر قيم الموضوع المفقود (حياة) في تعامله مع الآخر (البديل)- كاترين- الأمر الذي يزيد من تعميق تراجيديا الحرمان والنقص في لغته :»الأكثر إيلاما ربما، عندما كنت في لحظة حب أمرر يدي على شعر كاترين، وإذا بيدي تصطدم بشعيراتها القصيرة الشقراء فافقد فجأة شهية حبي وأنا أتذكر شعرك الغجري الطويل الحالك، الذي كان يمكن أن يفرش بمفرده سريري... كان نحولها يذكرني بامتلائك، وخطوط جسدها المستقيمة المسطحة تذكرني بتعاريجك وتضاريس جسدك» [٦] .ذهبت «حياة» وظل صوتها ينبعث من زمن الذكرى، زمن التوحد بالذات الأخرى، زمن الحنين إلى مكان مفقود ظلت معالمه منحفرة في الذاكرة : «مر الزمن، وصوتك مازال يأتي كصدى نوافير المياه وقت السحر في ذاكرة القصور العربية المهجورة

١. ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي ،ص: 268
٢. ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي ،ص: 271
٣. المرجع السابق ص:281
٤. ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي ،ص: 238
٥. ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي ،ص: 328
٦. ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي ،ص: 238

...»[١]. يتحول «خالد»بانفصاله عنه «حياة» إذن، إلى مجنون «حياة» ينتج ويعيد تجربة العشق العربية، حيث : «يحيل تذكر الحبيبة إلى زمن البعد والإنصات إلى صوت الغياب داخل صوت الحضور ...وأنا آخر عشاقها المجانين ... أنا ذا العاهة الآخر الذي أحبها، أنا أحدب توتردام الآخر، ما الذي أوصلني إلى جنون كهذا؟ ما الذي أوقفني عند أبواب قلبها عمرا...» [٢].

مارست الرواية عبر قصة "خالد" و "حياة" حفريات في تاريخ فشل تجربة اتصال الرجل والمرأة في المجتمع العربي بالحب والحرية كمفهومين يتوفران بامتياز على امكانيات حقيقية لضمان نجاح الفرد، وهي بالتالي، استعارة وجودية عبرت من خلالها "أحلام مستغانمي" عن ضياع مفهوم الآخر في تاريخ الثقافة العربية، وهو المفهوم الذي أصبح يحيل في النسق القيمي للمجتمع العربي على وضعية شاذة، "ففي الأرضية الأبيسية العربية يتحول الحب إلى خيال فاصل بين الجسم والروح، تحب الروح من جهة، والجسد من جهة أخرى. إن ضياع الآخر كأصل منبع الخلاص، هو أيضا ضياع للهوية ما دام افتقاد الحب كمفهوم وجودي مولد للحرية والالتزام في تاريخ الإنسانية، هو افتقاد لقيمة إنسانية مولدة لطاقة الفعل والإبداع.

المرأة (حياة)رمزا للوطن:

تتوحد «حياة» بالوطن عبر استرجاع الراوي «خالد» لأحداث ماضيه بصيغة الخطاب، مما يوحي للقارئ بالحميمية : «يا مرأة كساها حنيني جنونا، وإذا بها تأخذ تدريجيا تضاريس مدينة وملامح وطن»[٣]. تحضر»حياة» والوطن إذن، مرايا تعكس كل منها الأخرى، وتكشف عن تفاعل دقيق بين الذات الإنسانية وهوية البلاد، يقول «خالد» :»أنت مدينة وليست امرأة، وكلما رسمت قسنطينة رسمتك أنت ووحدك ستعرفين هذا» [٤].»كنت في النهاية كالوطن، كان كل شيء يؤدي إليك إذن»[٥].ويتابع «خالد» نسج صورة المرأة/ الوطن في تفصيلات دالة تتراكم وصولا إلى :»فهل قدر الأوطان أن تعدها أجيال كاملة لينعم بها رجل واحد» [٦] :وتشكل هذه العبارة بؤرة من بؤر التوتر في الرواية، فهي بالقدر الذي تفصح عن التماهي بين «حياة» و «الوطن»، تكشف أيضا عن الهاجس الوطني الذي يكتب من خلاله «خالد» خطابه، وتتشكل على ضوئه عوالم الرواية.

وقد كان مرد هذا التماهي بين «حياة» و «الوطن»، إلى كون علاقة «خالد» بالأولى تحاكي وتماثل علاقته بالثانية، وكان مآلها مع الطرفين : خيبتين بمذاق للمرارة واحد، فالوطن الذي ناضل من أجله «خالد» وفقد في سبيله ذارعه، كان آخرون –غيره- هم من يجنون ثمار نضالا ته، ونضالات غيره ممن قدموا أرواحهم ثمنا لحرية الوطن،الأمر نفسه حصل مع «حياة» التي أحبها، لكنها في الأخيركانت من نصيب رجل آخر بزواج يشبه الصفقة –الرشوة- إذ لم يتم : «إلا لأسباب وصولية ومطامع سياسية محض ...»[٧]. وهكذا إذن، لم تكن مصادفة أن يكون زوج «حياة» واحد من مستغلي الوطن:»واحد من أصحاب الصفقات السرية، والواجهات الأمامية» [٨]لذلك

١. ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي ،ص: 217
٢. ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي ،ص: 240
٣. ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي ،ص: 13
٤. ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي ،ص:56
٥. ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي ،ص: 362
٦. ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي ،ص: 362
٧. ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي ،ص: 342
٨. ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي ،ص:270

يخاطب»خالد» بقوله :»فماذا يهم في النهاية، أي اسم من أسماء الأربعين لصا ستحملين» [١]. في ليلة عرسها تنتال على «خالد» صور الذاكرة، وكأنه يريد أن ينهي الحاضر كله باستبداله بالماضي كله، وهو يرى أن ثمة من يلمس امرأته/وطنه : «عندما تمرين بي ... عندما تمرين ... وأنت تمشين مشية العرائس تلك، أشعر أنك تمشين على جسدي، ليس «بالريحية»، وإنما بقديمك المخضبتين بالحناء ... وأن خلخالك الذهبي يدق داخلي ويعبرني جسرا يوقظ الذاكرة»

. «... ولكن ما أحزن الليلة ... قسنطينة ! ما أتعس أوليائها الصالحين ... وحدهم جلسوا إلى طاولتي دون سبب واضح ... وحجزوا لذاكرتي الأخرى كرسيا أماميا ... وإذا بي أقضي سهرتي في السلام عليهم واحدا، واحدا ... سلاما سيدي راشد... سلاما يا سيدي مبروك ... يا سيدي محمد ... يا سيدي سليما ...» [٢].

وكان، خالد قد تنبأ بقدره مع «حياة»، لما طلبت منه أن يرسم لها (هو الفنان التشكيلي) لوحة شريطة ألا يضع أسفلها توقيعه، كانت ترى في ذلك احتياطا لكي لا يعلم أحد بقصتهما، أما «خالد» فقد رأى في ذلك قدره مع وطنه : «كنت أكتشف فقط مرة أخرى أنك نسخة طبق الأصل عن وطن ما، وطن رسمت ملامحه ذات يوم، ولكن آخرين وضعوا إمضاءهم أسفل انتصاراتي» . الأمر الذي يكشف لنا، أن «حياة» رمز الوطن، تصبح هي الوطن حقيقة يقول: «أحبك السراق والقراصنة ... وقاطعوا الطرق ولم تقطع أيديهم، ووحدهم اللذين أحبوك دون مقابل أصبحوا ذوي عاهات، لهم كل شيء، ولا شيء غيرك لي» [٣]. بل إن (حياة) تصبح الحياة نفسها : «كنت أحقد على ذلك القدر أحيانا، ولكن كنت أحيانا ما استسلم له دون مقاومة، بلذة غامضة، وبفضول رجل يريد أن يعرف كل مرة، إلى أي حد يمكن لهذا القدر أن يكون أحمق، ولهذه الحياة أن تكون غير عادلة وأن تكون عاهرة لا تهب نفسها سوى لذوي الثورات السريعة ....»[٤]. بالإضافة إلى ما سبق، ومن داخل الهاجس الوطني الذي اتخذت معه «حياة» رمز «الحياة» ورمز «الوطن». إن انفصال «خالد» عن «حياة» موضوعا للحب إذن، هو في نفس الوقت انفصالا له عن «حياة» رمزا للوطن : «اليوم بعد كل هذا العمر، بعد أكثر من صدمة وأكثر من جرح أدري أن هناك يتم الأوطان أيضا، ظلمها، قسوتها، هنالك جبروتها وأنانيتها»[٥].

الخاتمة

هكذا، فبقدر ما الرواية محاكمة للتاريخ، فهي رواية الحب متجليا في القصة بين "خالد" و"حياة"، قصة تجسد التحولات المعاقة، اجتماعيا، وسياسيا، لذلك فإن حياة في الرواية يحق اعتبارها، الجزائر ذاتها، الجزائر بين مرحلتين، مسارين اجتماعيين وسياسيين، وليس فقدانها إلا الدليل القاطع على غموض مرحلة، وعلى انكسار آمال الماضي، وأحلام المستقبل.

المصادر و المراجع :

١. أحلام مستغانمي : "ذاكرة الجسد". دار الآداب للنشر، ط : 7- بيروت 1998

١. نفس المرجع ، ص 237
٢. المرجع السابق ص 320، 321
٣. ذاكرة الجسد ص 180
٤. ذاكرة الجسد ، ص 271
٥. المرجع السابق ص298

٢. عفاف عبد المعطي: «حاضر الرواية في المغرب العربي»(دراسة نقدية). دار المعارف للطباعة و النشر، 2003

٣. أحمد طالب: الفاعل في المنظور السيميائي (دراسة في القصة القصيرة الجزائرية)،دار الغرب للنشر و التوزيع، الطبعة2002

٤. دراسات النوع الاجتماعي والتنمية». جامعة بيرزيت. تمت أرشفته من الأصل في 14 يناير 2017. اطلع عليه بتاريخ 14 يناير 2017.

٥. شهلا العجيلي: الخصوصية الثقافية في الرواية العربية

٦. عبد الله الغذامي: ثقافة الوهم «مقاربات في المرأة والجسد واللغة» ، م ث ع ، ط١ , الدار البيضاء ١٩٩٨، ط١ , عمان ٢٠٠٨ .

٧. أحلام مستغانمي: الأسود يليق بك.

تصوير الهندي في رواية 'جلال الخالد' لمحمود أحمد السيد

السيد/ اسحاق بي سي[١]

الكتور/ سي. سيد علوي[٢]

الملخص

يعتبر محمود أحمد السيد رائد الرواية العربية الحديثة في العراق. إنه ولد في بغداد سنة ١٩٠٣ في عائلة دينية. ودرس في المدرسة السلطانية العثمانية وتخرّج منها سنة ١٩١٨، وسافر إلى الهند ومكث هنا حوالي سنة حتى عاد إلى العراق سنة ١٩٢٠وأخذ بالكتابة. وقد مرّت حياته الأدبية من خلال مرحلتين، الأولى منهما متسمة بالخيالية والغرامية بينما الثانية تتميّز بالواقعية والنزعة الشعبية، والتي تبدأ بظهور 'جلال الخالد'. هذه الرواية تتضمّن جزئين؛ الأول منهما يقدّم سفر الخالد، الشخصية الأساسية، إلى الهند وتجرباته فيه وما بعده من ملاقاة مع ف. سامي، كاتب هندي من الثوريين الإشتراكيين الذي قدر على تغيير مجرى أفكار الخالد خلال صداقتهما في 'كلكته'. والجزء الثاني فهو مجموعة من الرسائل تبادلها الخالد مع صديقين له لنشر أفكارهم الثورية في العراق لتطوير واقعها الإجتماعي. فهذه الدراسة تحدّد في الجزء الأول الذي يصوّر الكاتب الهندي وآرائه لعدم رابطة وثيقة بينه هو والثاني، وتحاول لتسليط الضوء على مدى تأثير أفكار الهندي على الخالد.

كان نشوء العراق المعاصرة كوطن موحد جديد مع دمج القوات البريطانية للمحافظات العثمانية الثلاث بغداد والبصرة والموصل بعد احتلالها عام ١٩١٨. ولم يتمّ السيطرة البريطانية حتى اندلعت ثورة مسلحة ضدها في عام ١٩٢٠؛ وهذه الثورة، وان قمعها القوات المحتلة عسكريا خلال فترة قصيرة، احتلّت مكانة مرموقة في تاريخ الاستقلال العراقي واكتسبت قيمة مهمة بالنسبة للعراقيين الذين أصبحوا يرونها "الأسطورة التأسيسية للوطنية العراقية"[3]. كانت نتيجة هذه الثورة انسحاب البريطانيين عن فرض حكم مباشر على العراق كما فرضوا على الهند، واضطرارهم على تبنّي حكم غير مباشر بمنح العراق مكانة ملكية تحت حكومة بريطانية بتعيين الأمير فيصل بن حسين الهاشمي 'ملك فيصل الأول' عام ١٩٢١. واستمرّت القبضة البريطانية على العراق حتى ثورة ١٩٥٨ بقيادة العميد عبد الكريم القاسم الذي اطاح بنظام الملكي وأسس الجمهورية العراقية.

والفترة بعد الاحتلال شهدت لتحولات سياسية جذرية في العراق وتبعها المجتمع العراقي حيث تعرض لتغيرات بنيوية أساسية. فالاحتلال وما تبعه من العنف اوجد فيهم احساس بالتخلف في مناحي الحياة سياسية وثقافية، واندفاع إلى تجاوز هذا الواقع وتغيير مجراه. «وقد تمثل هذا الاحساس في تعاظم المشاعر الوطنية التي أخذت تتجه إلى الدعوة إلى الاستقلال... «[٤]، وتردّد صداها في نشر التوعية العامة الأصلية وتحقيق الحركة العلمية والأدبية.

وقد فتح الاحتلال بابا الى علاقة مباشرة مع الحضارة الغربية والتي ما زالت غير مباشرة قبله، ونتج عنها

١. باحث، قسم الماجستير والبحوث في اللغة العربية، كلية فاروق، كاليكوت

٢. العميد السابق، كلية النساء الاتحادية، مانجيري، ملابرم

٣. Tripp, Charles. A History of Iraq. 3rd ed., Cambridge University Press, 2007. Pg 43

٤. أحمد، عبد الإله. نشأة القصة وتطورها في العراق. دار الشؤون الثقافية العامة، ط٣، ٢٠٠١، ص ٨٣

نزعة في الجيل الجديد الى التفرنج تدريجيا؛ فشرعوا في تقليد البريطانيين في مآكلهم وملابسهم وعاداتهم حتى في مباذلهم تسليما للهيمنة الثقافية البريطانية. فهذه السيطرة الثقافية البريطانية اضافة الى سيطرتها السياسية، تنبّه اليه المخلصون وخاصة الأدباء بذلوا جهودهم في تنبيه الجيل علىالاتباع الأعمى؛ تماشى معها تاريخ الأدب العراقي فانطلقت فيه الجدّية والحداثة بكونه عنصرا هاما في تطوير الأفكار الإجتماعية والسياسية. يرى عبد الإله أحمد، الباحث البارز في تاريخ الأدب العراقي، «ولقد كان أقوي المؤثرات التى أسهمت في تغيير اتجاه الأدبي العام واتجاه القصة بالتالي احتلال البريطاني العسكري للعراق»[١]. وكان في مقدمتهم محمود أحمد السيد الذي قام بإرساء الأساس للرواية الحديثة في العراق من خلال تقديمه رواية 'جلال الخالد' مبدئا للطور الثانى من حياته الأدبية بعد استنكافه عن كتابة القصة لمدّة.

محمود أحمد السيد

محمود أحمد السيد روائي وصحفي ومترجم عراقي، يعتبر رائد الرواية العربية الحديثة في العراق. إنه ولد في بغداد سنة ١٩٠٣ في عائلة دينية، وكان أبوه مدرسا بجامع الحيدرخانة وإماما لجامع الشيخ عبد القادر الكيلاني، وكان جدّه أيضا من رجال الدين. وقد درس في المدرسة السلطانية العثمانية وتخرّج منها سنة ١٩١٨. «ثم دخل مدسة الهندسة وتحول عنها إلى مدرسة المعلمين، وشهد تغير الزي في المدرسة، شهد القبعة الإفرنجية التى اعتقد بأن لبسها حرام...»[٢]. وسافر إلى الهند سنة ١٩١٩ بعد أن ترك وظيفته في دائرة الريّ ومكث هنا سنة واحدة حتى عاد إلى العراق سنة ١٩٢٠وأخذ بالكتابة. إنه قدّم تراثا ضخما لا للأدب العراقي فحسب بل للغة العربية أيضا في فترة قصيرة قبل ان توفي اليوم العاشر من شهر كانون الأول ١٩٣٧.

ولقد سلك السيد طريقا جديدا في تقديم العراق الى فن جديد من الأدب وهي القصة أو الرواية بمصطلح ذلك الزمن. وقد ظهرت في كتابته الأولى كثير من النقوص حيث إنه كان صغير السن ولم يدرك مقوماتهاالفنية، «فانها رغم ذلك تكتسب قيمة كبرى، من كونها تمثل المحاولات الأولى في تاريخ القصة العراقية التى تنهج في الطريق الصحيح»[٣].

بدأ السيد الكتابة الأدبية في مطلع العشرينات بعد احتلال البريطانيين للعراق، فنهج أولا منهج الأدب السائد في عالم العرب آنذك من اتجاه المغامرة والرومانسية وقدم ثلاث تأليفات على منواله. لكن تنحى عن هذا الدرب حيناما تميّز أن ما كتب لا يقود الى ما يروم من اصلاح مجتمعه ولا يسهم في محاولات لتحرير وطنه من قيود الاستبداد. ومن نتاجاته الأدبية الأولى «في سبيل الزواج» عام ١٩٢١، و»مصير الضعفاء» و»النكبات» عام ١٩٢٢؛ أوليان منها قصة والأخير مجموعة من القصص القصيرة. ثم انصرف الى كتابة مقالات اجتماعية وفكرية في الجرائد والمجلات بغرض بث الأفكار التقدمية للاستقلال. وهذه المقالات «تحتل موقعا مهما في تاريخ المقالة في الادب العراقي الحديث، كما تكتسب اهمية خاصة من كونها تعكس الكثير من الواقع الحياة الفكرية والادبية والاجتماعية والسياسية في العراق بين الحربين»[٤]؛ وتشير إلى أنه لم يكن رائدا في القصة فقط بل في المقالة أيضا.

١. نفس المرجع، ص ٨٢

٢. سعيد، جميل. نظرات في التيارات الأدبية الحديثة في العراق (ألقاها على طلبة قسم الدراسات الأدبية)، معهد الدراسات الأدبية العالية، جامعة الدول العربية، ١٩٥٤، ص ٨

٣. الطاهر، على جواد ود. عبد الاله الاحمد. المقدمة. الأعمال الكاملة لمحمود أحمد السيد، وزارة الثقافة والفنون، الجمهورية العراقية، ١٩٧٨، ص ٦.

٤. نفس المرجع، ص ٨

والفترة التى استنكف فيها عن كتابة القصة، وبراعته في اللغة التركية منحت له فرصة للتعرف على الأدب التركي والروسي والكتّاب الكبار فيه خاصة مثل تولستوي، دوستويفسكي، شيخوف وغيرهم من الأدباء البارعين؛ فانتهزها حتى أجبر لاعادة مفهومه عن الادب القصصي، وادرك منه مقوماته الفنية واتجاهاته الحقيقية، وانبثقت فيه نزعة للعودة الى كتابة القصة مرة ثانية. والحوافز، التى أثارت انتباهه في هذا الادب، ميوله إلى الحرية، وإلى هدم التقاليد البالية التى تمثلت عرقلة أمام مجتمعه عن التقدم.

وفي البداية قام بتحريض الأدباء على تقديم هذا النوع من الادب إلى بيئة العراق؛ فكتب في مقالته المعنونة «نزعة من نزعات الادب القصصي التركي» تم نشرها في 'الاستقلال' سنة ١٩٢٧ ((إني أرى من واجب الأدباء عندنا- تمهيدا لادخال القصة والأقصوصة في أدبنا- ان يعرضوا علينا بواسطة النقل والتلخيص والتحليل نماذج مما شاع وانتشر منها في الآداب الشرقية من روسية ويابانية وصينية وتركية. فإنها تتفق أذواقنا ولا يكون بعيدة عن نفسياتنا...))[١].

فكانت محاولته الابتدائية سد الفجوة في الادب العراقي بالقصة التى لم يتدرّب عليها حتى الآن على شكل موجود في الادب العالمي؛ لذا لم يكف بالدعوة فقط بل قام هو نفسه بالنقل والتلخيص ما رأه مهما في الأدب التركي والروسي وعرضه على المجتمع العراقي. وأن علاقته بالأدب العالمي ومحاولته لتحليله ساعدت على تصويب غايته بالقصة بكونها تصويرا للحياة الشعبية كما في الواقع بحيث يلفت أنظار المصلحين. فنتاجاته القصصية في الطور الثانى من حياته الأدبية تلوّنت بالواقعية؛ وصار مدار قصصه حياته هو، والبسطاء من الناس همومهم وتطلعاتهم. والمرحلة الثانية من إسهماته الأدبية دشّنتها روايته القصيرة 'جلال خالد' عام ١٩٢٨، وتبعتها 'الطلائع' عام ١٩٢٩ و'في ساع من الزمن' عام ١٩٣٥؛ وهي «وثيقة مهمة لفترة مضت من تاريخ العراق الحديث»[٢].

إن الرواية جلال الخالد يراها السيد قصة موجزة و يثبت بنفسه في مقدمتها «وتصلح هذه القصة الموجزة التي اشبه شيئ بالحديث (نوفل) لان تكون أساسا لقصة مطولة وافية (رومان)...»[٣]؛ وهي حقيقية كما يأكّدها بنفسه في المقدمة. استند في كتابتها إلى مذكرات صاحبه جلال الخالد الخاصة، والمراسلات بين الخالد وأصحابه في فترة بين ١٩١٩ و ٢٠ عن العراق الراهن وضرورية الثورة للاستقلال، وأحاديث الكاتب الهندوي ف. سموامي الاشتراكي الثوري الذي لقيه جلال بكلكته كما لقيه المؤلف أيضا فيما بعد. هذه الملاقاة هي التي غيرت مسير أفكار الخالد ووسعت أفقه الفكرية وأعادت تشكيل مفهومه الوطني من الاطار الضيق إلى مفهوم إنساني واسع. وإن المذكرات والأحديث التى استندها في تشكيل هذه الرواية جرت قبيل الثورة العشرين؛ لكن لها أهمية كبرى حيث إنها أيضا تقوم تحريضا للثورة الثانية للاستقلال المطلقة.

جلال الخالد

هذه الرواية منقسمة إلى القسمين، فالقسم الأول يتحدث فيه عن شاب عراقي اسمه «جلال الخالد» الذي لم يقدر الصبر على الهوان الذي واجهه بلاده بعد ان احتله البريطانيون، فعزم على مغادرة العراق حتى سافر إلى الهند، والتي كانت أيضا تحت حكم البريطاني، والتقى هنا صحفيا هنديا من الثوريين الاشتراكيين الذي تلقى منه الأفكار عن الثورة، ويتمّ بعودته إلى العراق وإجتماعه مع صاحبيه 'أحمد مجاهد' و 'ك.س' ووصول

١. نفس المرجع، ص ٩

٢. نفس المرجع، ص ١٠

٣. السيد، محمو أحمد. المقدمة في جلال الخالد. الأعمال الكاملة لمحمود أحمد السيد، وزارة الثقافة والفنون، الجمهورية العراقية، ١٩٧٨، ص ٢٧٤.

رسالتين من الكاتب الهندي وبيان تأثيرهما عليه. أما القسم الثاني من الرواية فهو مجموعة من الرسائل، تبادلها جلال الخالد مع صديقيه؛ وهي تفصح عن رغبة الأصدقاء الثلاثة لبثّ أفكارهم الثورية لتغيير الواقع الإجتماعي في العراق.

وفي مطلع القصة يرى البطل، جلال خالد، راكبا الباخرة من فرضة البصرة إلى بومبي في أصيل اليوم السابع من مارس ١٩١٩؛ وهو طالب في العشرين من عمره من عائلة غنية، وكان «راضيا بالسفر رضى تشوبه اللذة، لذة الحرة، فهو سيد نفسه، يمتلك زمام ارادته، ويخرج عن بلدته الذاهلة السكرى، تحتلها الجيوش»[١]. في البداية يبيّن المؤلف إطار الزمان والمكان، ومظهر البطل، ومجرى أفكاره، كلها بدقة وترتيب موظفا تقنية السرد بضمير الشخص الثالث مباشرا؛ كما يلمح إلى تدينه وتعصبه بشكل غير مباشر أثناء سرده عن خلو حب البطل ل'سارة'[٢] من الأمل لأنه مسلم وأنها من أسرة يهودية.

قضى جلال الخالد سنة وبعض شهر في بومبي متحيرا ببون بين الأغنياء والشعب الفقراء رغم ما فيها من الثروة الهائلة التي تملأ خزائن الشركات الأجنبية والتجار الأجانب والهنود، ثمّ غادرها ووصل إلى كلكته التى وجدها أيضا مماثلة لبومبي في الغنى والفقر. وشاهد فيها اضرابا من قبل العمال مطالبين زيادة الأجور، والذي اسكته الشرطة بالعنف؛ قد أثرت هذه المشاهدة في قلبه تأثيرا عميقا. ولقي في الفندق الذي كان يسكنه بها كاتبا هندويا اسمه 'ف. سوامى' وكان يكتب في إحدى الصحف الثورية والتى كانت في رعاية 'تيلاك' الزعيم العظيم واستاد 'غاندي'. خاض الكاتب في الحديث عن شؤون الهند والشعوب الشرقية المستعمرة المظلومة، وكان له وقع في قلب خالد الذي تلتهب شعلة الوطنية بين أحنائه، والذي يتململ بين الوطنية والإنسانية لكن يغلبهما كبرياؤه وإنزواؤه. وأدرك الكاتب أن الخالد له آمال يحسبها غير محققة، وأنه متشائم بسبب عجزه لمساعدة الضعفاء البائسين في مجتمعه، كما أنه رجل متدين ومتعصب لابتعاده عن مشاهدة رقص في الفندق لاستحرامه فقط، ولتجنّبه عن تناول النبيذ.

الكاتب والخالد من الهند والعراق على الترتيب، يجمعهما شيئ واحد وهو أن البريطانيين يستعمرونهما في آن واحد، بيد أنهما يأخذان بوجهة نظر مختلفة. إن الكاتب الذي يمثّل الهندي المثقف يؤمن أن الثورة هي الوسيلة للنهضة واليقضة ويقوم لتحقيقها بتحريض العمال تدريجيا على الاضراب، بينما جلال العراقي المهذّب يغادر وطنه تخلصا عن عار الاحتلال بدلا من توعية الشعب وتشجيعهم على الاتحاد والانسجام لطرد المحتلّين. إن ادعاء الخالد، بأنه لم يشاهد اضرابا في وطنه بسبب قناعة الفلاحين الجائعين ولعدم العمال، ينكره الكاتب بل يعلّقه بعقيدة المسلمين وذلك «أن القناعة كنز لا يفنى وأن الرضى بالرزق المقسوم واجب». واردفه «ولكن (الهندو) هنا اكثر منهم قناعة واكتفاء بالرزق القليل»[٣] يشير به إلى قناعة الشعب بحقارة العيش مادام متابعا لتقاليد الدين ولم يحرّره المثقفون منها كما في الهند، ويلمح إلى تعطل المثقفين في العراق عن القيام بعهدتها والتى لم ينتبه إليها الخالد بعد. والكاتب يتبنّى كلمتين 'الشعب' المتدين الأكثرية و'الطلبقة المستنيرة' الأقلية التي تحارب ثقافة الدين، للتفريق بين المثقف الذي يقوم للحرية والحياة الصحيحة، وغيرالمثقف الذي هو مقيّد بتقاليد

١. نفس المرجع، ص ٢٧٨

٢. فتاة من أسرة يهودية ركبت معه الباخرة من البصرة وانجذب إليها منذ ان رآها. وهذا الجانب من القصة لم يقدمه مباشرا، رغم أنه يطول على الهامش إلى النهاية في الجزء الأول وأنه تلعب دورا هاما في اقناع الخالد أنها صارت بغية في نهاية المطاف بسبب تزيج أبيها إياها إلى رجل لم ترضه زوجا لها مانعا حقها في اختيار الزوج وراعيا رغبته الشخصية فقط ، لأن لا يشابه جبران أو منفلوطي الكاتبين الخايالين.

٣. السيد، محمو أحمد. المقدمة في جلال الخالد. الأعمال الكاملة لمحمود أحمد السيد، وزارة الثقافة والفنون، الجمهورية العراقية، ١٩٧٨، ص ٢٨٣.

الدين وتعاليم القرون الأولى.

إن الكاتب، وهو ينتمى إلى الطبقة المستنيرة بالنسبة إليه، يقول للخالد «تجدنا نحن المتعلمين علوم أوربة، حاملين في رؤوسنا خلاصة ثقافة العصر الحديث، طلاب الاستقلال للهند، الحياة الحرة الهانئة لشعبنا والشعوب الشرقية المظلومة كلها، تجدنا متخلفين عن هذا الدين، نحارب ثقافته: الأفيون، العلة الوحيدة لخنوعنا وذلتنا واستعبادنا»[١]، ويحاول لإقناعه بأن الدين هو العرقلة الكبرى أمام التقدم، وأن تدينه هو الذي يصده عن أداء مسؤوليته رغم كونه مثقفا.

ويرى الكاتب أن الدين، فوق قتله الرغبة في الحياة، يمنع الاتحاد بين الهنود والمسلمين، «وان الاتحاد قوة والتفرق ضعف والضعيف لا حق له ولا استقلال»[٢]؛ ويبرهن على رأيه بما يقع بين المسليمن والهندو من المذابح لأجل بقر الذى يراه الهندو مقدسا لكن ينحره المسلم للتناول. قد طرحت هذه الملاحظة في فكر الخالد سؤالا عن حقيقة الدين.

إن صحبة الخالد مع الكاتب الهندي، ومحالة الأخير لتعريف الأول بالمثقفين الهنديين الذين يتحدون لهدف واحد، وهو الاستقلال، رغم دعمهم وجهة مختلفة من الدين، افصحت أمامه ضرورية اضطلاع المهذبين بمسؤولية قيادة الشعب وتسخير قوة الاتحاد للوصول إلى الغاية. اضافة إلى ذلك، أن المحاضرة التي عقدت في نادي الطلبة عن الأدب التركي واثبات المحاضر أن نهضة الأدب التركي هي التى خلقت الروح الوطنية في الشعب، وهي التى هيأت الأفكار للتجدد، وقعت في نفسه موقعا حسنا؛ كما فتحت المحاضرات عن الأدب الروسي والفرنسي والألمانى أمامه بابا جديدا «فخرج خالد من النادي وقد برق أمامه نور المعرفة الحديثة الصالحة فرأى أفق الحياة متسعا، وادرك أنه كان في مثل ظلمة، لا يرى لها إلا أفقا ضيقا كإطار الصورة»[٣]؛ وبعثت فيه حماسة لم يمارسها من قبل فعزم على دراسة الأدب والفلسفة بعد بلوغه العراق.

إنه رجع إلى العراق وهو يحفظ شعلة الحماسة متقدة، ووصل فرضة البصرة في ٢٥ تموز ١٩٢٠. وحاول لتوعية الشعب على قوة الاتحاد، فخطب مرة أو مرتين في إحدى جوامع بغداد مشجعا على التآلف والتآزر ومظهرا حماسته التى أخذها من الهند. يفرغ المؤلف من الجزء الأول مبينا اجتماع خالد مع صاحبيه في دراه ومشاطرته معهما تجربته مع الكاتب وآراءه التي تخالف ثقافته العراقية القديمة وتدينه وتعصبه، وثناءه عليه حسنا، وقمّة سعادته معه، فالخالد يقول لهما «أنه يحفظ في قلبه أجمل الذكرى، وأنه يتمنى ان يزور الهند مرة ثانية، فيلقاه»[٤]. تكشف رغبته لملاقاة الكاتب مرة ثانية، رغم تمسكه المبادئ المختلفة تماما لعقيدته ودينه، عن مدى تأثره به وانجذابه إليه.

وهناك تشابه أساسية بين البطل جلال الخالد والمؤلف محمود أحمد السيد في عدة أوجه منذ نشوئهما في بيئة دينية إلى تزامن جولتهما في الهند وموقفهما الإشتراكية بعد الرجوع حتى يمكن ان ترى رواية جلال الخالد شبه سيرة ذاتية لمحمود أحمد السيد ان لم تكن بأسرها، كما يري جميل السعيد «وهو حين يتحدث عن 'جلال الخالد' إنما يتحدث عن نفسه أيضا»[٥]؛ إضافة إلى ما يثبته السيّد نفسه في مقدمتها «فقد قدر لي ان أزور الهند كما

١. نفس المرجع، ص ٢٩٠
٢. نفس المرجع، ص ٢٩١
٣. نفس المرجع، ص ٣٠٧
٤. نفس المرجع، ص ٣١٥
٥. سعيد، جميل. نظرات في التيارات الأدبية الحديثة في العراق (ألقاها على طلبة قسم الدراسات الأدبية)، معهد الدراسات الأدبية

زارها صاحبي جلال، وان أعرف صاحبه سوامي كما عرفه، وان أصاحبه وأجالسه وأحاوره كما صاحبه وجالسه وحاوره...»[١]. وقد حدثت زيارته في فترة تكوينية بالنسبة إلى أفكاره، ربما شبابه وسذاجته هذه التى ساعدت سوامي ليجذبه إلى موقفه ويثير الشكوك في ذهنه عن حقيقة الدين، كما أنه تسبّب لتغيير رأيه عن الأدب بواسطة تمهيده الطريق للمشاركة في الندوة عن الأدب الحديث. فمما لا منارعة فيه، أن رأي سوامي وموقفه قد نثر ذرر الشعبية والواقعية في ذهن السيد وان تأخر نموها حتى ظهور رواية جلال خالد التي شقّت طريقا جديدا في تاريخ الأدب العراقي.

الخاتمة

إن الاحتلال البريطانى للعراق وتطرقها إلى الثقافة العراقية وهيمنتها على العراق المادية والمعنوية نفحت في المثقفين المخلصين العراقيين عامة والأدباء خاصة روح الوطنية. فاستخدموا الأدب وسيلة لإيجاد نزعة عراقية وتحفظ بها ولتوعية الشعب على خدعة الثقافة الغربية والحذر منها، حتى تغير اتجاهه وظهر فيه الجدية والحداثة. وقد قام السيد بقيادة هذه الثورة الأدبية وقدّم إلى العراق الرواية الحديثة بروايته الموجزة جلال الخالد. وهي تماثل سيرته الذاتية لعلاقة وطيدة بينه وبين البطل من ابتعادهما عن البيئة الدينية والتحاقهما إلى حركة إشتراكية. وكان هذا التغير الجذري نتيجة ملاقاته مع الكاتب الهندي ف. سوامى الذي نجح في تمثيل الدين حاجزا كبيرا بين الشعب وتقدمه واقناعه أن النهضة الأدبية هي الوسيلة لإيجاد الوطنية في الشعب. وكانت الأفكار التقدمية التى تلقى من الكاتب الهندي مكّنته لقيادة الثورة الأدبية في العراق.

المصادروالمراجع

١) السيد، محمود أحمد. جلال خالد.(مأخوذة من الأعمال الكاملة لمحمود أحمد السيد). وزارة الثقافة والفنون، الجمهورية العراقية، ١٩٧٨.

٢) الطاهر، على جواد ود. عبد الاله الاحمد.الأعمال الكاملة لمحمود أحمد السيد. وزارة الثقافة والفنون، الجمهورية العراقية، ١٩٧٨.

٣) أحمد، عبد الإله.نشأة القصة وتطورها في العراق. دار الشؤون الثقافية العامة، ط٣، ٢٠٠١.

٤) سعيد، جميل. نظرات في التيارات الأدبية الحديثة في العراق (ألقاها على طلبة قسم الدراسات الأدبية)، معهد الدراسات الأدبية العالية، جامعة الدول العربية، ١٩٥٤.

5) Tripp, Charles. A History of Iraq. 3rd ed., Cambridge University Press, 2007.

6) Caiani, Fabio, and Catherine Cobham. The Iraqi Novel: Key Writers, Key Texts. Edinburgh University Press, 2013.

7) Khadduri, Majid , Chambers, Richard L. , Kennedy, Hugh , Woods, John E. and Blake, Gerald Henry. “Iraq”. Encyclopedia Britannica, 22 Jul. 2022, https://www.britannica.com/place/Iraq.

العالية، جامعة الدول العربية، ١٩٥٤، ص ١٤

١. السيد، محمو أحمد. المقدمة في جلال الخالد. الأعمال الكاملة لمحمود أحمد السيد، وزارة الثقافة والفنون، الجمهورية العراقية، ١٩٧٨، ص ٢٧٣

توظيف التراث في الرواية الإماراتية
(رواية 'آخر نساء لنجة ' أنموذجا)

السيدة/ شحنة . س .ب[١]

الملخص

تعتبر الرواية وسيلة مقنعة في التعبير عن الحياة بكل ما تحتويه من صور و نماذج ، نصادفها في الواقع و لها دور كبير في نقل الحقائق التي يتعايش معها الناس في مختلف المجتمعات.تعد تجربة كتابة الرواية الإماراتية من التجارب الأدبية الحديثة المميّزة في الثقافة الإماراتية،يمثل الكاتب راشد عبد الله النعيمي ريادة كتابة الرواية الإماراتية منذ ظهور أول بواكير الرواية في الإماراتبروايته «شاهندة»وتوالت الروايات فيما بعد باختلاف صورها كما و كيفا.و لما شهدت الدولة تطورات سريعة مهمة باكتشاف النفط على كافة جوانبها خلال العقود الماضية ، إثر خروجها من هيمنة الاستعمار البريطانية تكوّنت دولة الإمارات و وصلت إلى أوج قمّتها فى النمو و التبلور بالحضور الكثيف الفعاّل على كافة مجالات الحياةوانعكست علىالحياة الأدبية الثقافية أيضا. تعددت نشاطاتها في المجالات المختلفة سواء على المستوى الداخلي و الخارجي. تحرَضت حركة النشرو المؤسسات الثقافية عديدة مثل اتحاد الكتاب و أدباء الإمارات علاوة على المسابقات الدورية و الأمسيات و الندوات في تشجيع القراءة و الكتابة. لا شك أن بواكيرها متجذرة بتاريخ الإمارات القديمة ،و التراث يعد أحد المصادر الهامة في علم التاريخ خاصة في دراسة تاريخ الشعوب التي تفتقرإلىثقافة التدوين و الكتابة.هذه الورقة تسلط الضوء علىمدى توظيف التراث العربي الإماراتيو ما توارثه مجتمع الإماراتي عن أسلافهم من قيم و عادات و تقاليد جيلا بعد جيل خلال دراسة رواية'آخر نساء لنجة 'لكاتبة الشابة المتميّزة 'لؤلؤة أحمد إبراهيم المنصوري' .

ولا جدال أن الرواية من أشهر أنواع الأدب في العصر الراهن و أوسعها انتشارا بين أوساط القراء ،و هي تحتل اليوم مكانة الشعرفي العصر الجاهلي وجودا على أنها أقرب الفنون الأدبية لروح العصرو تبوأت مكانة بارزة بين الأجناس السردية الأخرى من حيث الكثرة و الازدهار و الانتشارهي الفن المعبّر عن حياة الشعوب و قضاياهامشاكلهاسواء كانت اجتماعية و سياسية و دينية و عاطفية و تاريخية.هي أيضا قابلة للنقاش باستمرار في ظل تطورها و تراكمها و تجاربها الجديدة التي يرفدها أجيال من الأدباء و الكتاب في عموم الوطن العربي. فكتابة الرواية في دولة الإمارات العربية المتحدة تأخر ظهورها مقارنة ببلاد الشام و مصر و المغرب لأسباب عدة .

و من المعلوم أن الرواية الإماراتية تم وجودها في الدولة الإماراتبالتحولات التى حدثت إثر اكتشاف النفط حيث تنعكس على مستوى الرؤية وغايات السرد شكلا و مضمونا.فكتابة النسوية في الإمارات أصبحت اليوم أمرا يلفّت انتباه النقاد لما شُهدت طفرة كمية نوعية في إنتاج الأدب النسائي في الإمارات مطلع الألفية الثالثة برغد التشجيع والتقديرمن قبل الحكومة. فلما كانت العادات والتقاليد أشد بأسا بدأت النساء كتاباتهن تقرب إلى طبيعتهن و إحساسهن الأنثوية ضد الاضطهاد و التفكك و العنف .أما العصر الراهن فتختلف اتجاهات الرواية النسائية في الإمارات في تمثيل المرأة و تصويرها فى بيئات مختلفة و تبدو بعضها متمسكة بالتراث الإماراتي بشكل وثيق كما تتضح من خلال نتاج بعض الروائيات المبدعات من دولة الإمارات.

١. باحثة ،كلية مدينة العلوم العربية، ملابرم

مفهوم التراث

لغة

«الوارث من صفات الله عز و جل و هو الباقي الدائم الذي يرث الخلائق و يبقى بعد فنائهم و قوله عز و جل (و لله ميراث السماوات و الأرض)و الميراث معناه في اللغة ما ورثه السابق اللاحق، و السلف للخلف و هو الورث أو الورث أو الإرث أو الوارث أو الإيراث أو التراث إذ المعنى الألفاظ جميعها يتعلق بالثراث[١].

يقول الناقد جابر قميحة «و كلمة التراث بمعنييها المادي و المعنوي (تطلق و تقيد تبعا للوصف اللاحق بهاإن كانت موصوفة ، أو بوصف ما تضاف إليه إن كانت مضافة، فإذا أضيفت إلى كلمة الإنساني كان معناها شاملا لكل ما أنجزه العقل الإنساني ، و كل ما تراكم لديه من خبرات و معارف ، سواء أكان عن طريق الوحي الإلهي، أم عن طريق الاكتساب بالجهد و التجربة الذاتية عبر العصور الغابرة منذ وجود الإنسان على الأرض إلى بداية العصور الحديثة.[٢]

التراث في الإصطلاح

«يتضح التراث و مجال دراسته واسع و متشعبة الأفكار إلى حد كبير ، و لذا حاول علماء اللغة و الباحثون في ضبط مفهوم التراثبدقة من خلال عدة تعريفات». يقول الناقد رمضان الصباع «التراث هو الموروث الثقافي و الديني و الفكري و الأدبي و الفني و كل ما يتصل بحضارة أو ثقافة، أي ما و ورثنا عن السلف و منها القصص و الحكايات والكتابات و تاريخ الأشخاص و ما يظهر من قيم و ما تعبر عن هذه جميعا من عادات و تقاليد و طقوس».[٣] و بالجملة أن التراث يستعمل على كافة إنتاجات شعبية من آداب و عادات و تقاليد و كل ما يصله إلى الإنتاج الشفهي و المالي الموروث في الأجيال الماضية.

توظيف التراث

«إن توظيف التراث يقوم على دعائم و أسس أبرزها الفهم العميق الواعي للتراث ،و دوره يكون سجلا لمسيرة الإنسان الحضارية ، و تطلعه الدعائم إلى التطور و التغيير «و مما لا شك أن هناك خليطا لا يحصى من الشخصيات و العناصر و الجزئيات التراثية،وعلى الكاتب الذي يود أن يستفيد من هذا التراث أن ينتقي العنصر، أو الجزئية الموحية ، «و لا سيما أن الإختيار جزء مهم من مهمة الكاتب عموما و ينبعي أن ينتقي العناصر أكثر إيحاء و قدرة على البقاء و الاستمرار»[٤] فمن وظيفة الكاتب أن يستلهم العالم بموروثاته و يستعملها طريقا للتواصل بين الماضي و الحاضرخلال توظيف العادات و التقاليد و المعتقدات وما إلى ذلك .عندما يتعامل الكاتب بالتراث تعاملا فنيا يعود إلى آرائه الجديدة و يتشكلها في النص الروائي حسب ذوقه.أن توظيفها يتميز في الرواية بخاصية معينة من إرث إنساني ينعكس التجارب والفنون و إبداعات الأجيال في البيئات المختلفة.فالتراث الشعبي غير محدد بزمان ولا مكان تناقله الناس عن أسلافهم، تحفظه صدور الرواة الشعبيين من عامة الناس بينما نجد التراث الشعبي يعبربكل انطلاق عن وجهة نظر الجماهير الشعبية تجاه مختلف القضايا التي تمس حياتها

١ .د.جابر قميحة ، التراث الإنساني في الشعر أمل دنقل ،ص١٢. ط١٩٨٧،١مهجر للطباعة و النشر

٢ .الدكتور سيد عبد الرزاق ،المنهج الإسلامي في النقد الأدبي-دار الفكر –دمشق –سوريا-ص-١٢)

٣ . رمضان الصباع ،في نقد الشعر العربي المعاصر دراسة جمالية ، دار الوفاء للطباعة و النشر و التوزيع ،الإسكندرية ،ط١٩٩٨،١ ،ص ،٣٦٨

٤ .د.صبري مسلم ،التوظيف و مستقبل التراث الشعبي ، أبحاث في التراث الشعبي ،د.أحمد مرسي و آخرون ، ص٢٦٦-٢٦٧

والأحداث التي تمر بها.

حيث نجد في هذا المجال مجموعة من المبدعين الإماراتيين الذين اهتموا بالتراث قلبا و قالبا أمثال علي أبو الريش و باسمة يونس وسلطان العميمي و غيرهم الذين تجلت أعمالهم زحما هائلا من أشكال التراث المختلفة و ألوانه المتتابعة .ثم لعبت نزعات الناس و ميولهم إلى الملتقى الجمهور دورا أساسيا في تشكل الرواية الإماراتية و تطورها ، فأصبحت النساء يمشين بجانب الرجال .هناك شواهد كثيرة تشير إلى بواكير النزعة النسائية بدأت في التشكل خلال القرن العشرين.

لا سبيل إلى اختزال تاريخ أدب المرأة الإماراتية في صفحات معدودة، ولكن شكل وجدان قرائها بتعبيرعن تحولات مجتمعها كما أصبحت جزءا لا يتجزأ من تراثها الثقافي و تاريخها الفكري .الكاتبات الإماراتية مارسن الأدب بمختلف أنواعه قصة و شعرا و رواية و نقدا و عبّرن في خلاله عن مشاعر الأنثى و همومها و أحزانها بصدق و أمانة .كما قصرن بعضهن على تصوير واقع المرأة و أما البعض فقد اتجهن إلى تصوير التقاليد الإمارات و عاداتها و تراثها ، من أمثالهن الكاتبة الإماراتية لؤلؤة المنصوري .

السيرة والمسيرة

ولدت الكاتبة والروائية و القاصة الإماراتية لؤلؤة أحمد إبراهيم المنصوري في رأس الخيمة سنة ١٩٨٩م، في أسرة ميسورة الحال ، والدها أحمد إبراهيم المنصوري و أمها آمنة المنصوري . تأثر هذه الأسرة في تكوين شخصية لؤلؤة المنصوري . تلقت تعليمها الإبتدائية في مدارس رأس الخيمة .و حصلت على درجة بكالوريوس في اللغة العربية إضافة إلى دبلوم في الإعلام . تعمل ككاتبة وصحفية في إمارة رأس الخيمة بدولة الإمارات وتنشر مقالات أدبية في صحيفة القدس العربي، والملحق الثقافي بجريدة الاتحاد الإماراتية. قدمت قراءات قصصية في العديد من الأمسيات والأصبوحات السردية المقامة في دولة الإمارات العربية المتحدة ، و هي تمتاز بأسلوبها النادرة ، متفقة المعنى لألفاظها ، وتمتلئ كتاباتها بدلالات ورؤى متنوعة، حتى تبسّط على القارئ المسافة بين الحكاية والبحث الموجز، تتجلى في كتاباتها روح الشعر التنقل بين أجناس أدبية متنوعة من شعر وقصة قصيرة ورواية .

إسهاماتها في الأدب العربي:

ألفت الكاتبة لؤلؤة أحمد إبراهيم المنصوري ثلاث روايات ، أول إنتاجها الروائي هي رواية «آخر نساء لنجة «نشرت» دائرة الثقافة والإعلام بالشارقة،عام ٢٠١٣م و رواية «خرجنا من ضلع جبل»عام٢٠١٤م و رواية «قوس الرمل ملهاة المهد و الماء»عام ٢٠١٥مو لها ثلاث مجموعات قصصيةورشحت روايتها «آخر نساء لنجة « ضمن القائمة الطويلة لجائزة الشيخ زايد للكتاب م٢٠١٣. تحمل الكاتبة مسؤولية النشر و التوزيع في اتحاد الكتاب و أدباء الإمارات حاليا.

رواية « آخر نساء لنجة «

هذه الرواية تحكي التاريخ و الثقافات في لغة شعرية. تضم الرواية أربع فصول و هي «رئة الظل «و «عباءة الضوء «و «باب عنيد « و «صوت أبيض «و عنوان الرواية ’آخر نساء لنجة « و»لنجة «عنوان تاريخي إذ يتصل بأحداث الرواية بجوهرها .تسرد الكاتبة أحداثا ما وقعت في ثلاثة أماكن (جلفار , لنجة و البحرين) .يمكن القول في هذه الرواية ، إن الكاتبة تظهرشغوفة بالتواصل مع التراث الإماراتي في معظم الأحيان. إن اختيارالمكانمنتسبة إلى منطقةلنجة الإيرانية الذي استقلها حكام الإمارات قبل نيف و مائة سنة . تدعو القارئ إلى إعادة النظر في

تاريخ أناس لنجة و ثقافاتهم و حياتهم الريفية متمسكا بالتراث العربي الأصيل من خلال إعادة تصوير الأحداث المتشابكة،بأن كانت جزيرة العرب تقيم على وحدة الثقافة العامة في المدن و المناطق الممتدة على ضفتي الخليج و إيران مثل جلفاروالمحرق و الأصفهان و الأهواز .

ملخّص الرواية

و هذه الرواية حكاية خيالية تاريخيا و ليست تاريخية و تعود بالقراء إلى عالم الشخصيات النسائية اللاتي عايشت بالحب و التعاون والتسامح ثم أدركهن الخوف و الرعب أثناء تغيرات سياسية حدثت عبر العصور. فتفرقت بعضهن في بلدان الخليج العربية و منها جلفار و المحرق . ترصد الكاتبة حياة أسرة عاشت عبر الأجيال الثلاثة -تحتوى الساردة الحفيدة اسمها ميعاد و أمها حورية،وجدتها رزيقة و عبر أزمنة ثلاث أضافت الكاتبة في روايتها من ناحيتي الأسلوب و الموضوع إلي تراث السرد الإماراتي الذي لم يسبق ذلكالحد أحد من الإمارات. و الرواية و هي غالبا متكوّن من نتاج مدني متصلة بالمدينة ولكن هذه الرواية ممزوجة بين حياة أهل الريف و أهل المدينة على شكل سواء.

تبدأ السرد على مشهد مرض الأم و ذهاب الأسرة إلى الأصفهان من قرية لنجة بموتها المبكّرثم تمر الكاتبة بالقراء إلى بعض المشاهد المؤلمة التي وقعت في حياة بنت اسمها ميعاد في جلفار بغياب الأحبة و ليست هناك إلا جدتها رزيقة و التي تعمل كهمزة وصل بين الجيلين ،الماضي و الحاضر.كانت زمن الجدة زمن السردال إبراهيم جد البطلة إلا أن زمن ميعاد هو زمن الحداثة المتجاوز لهذه المعتقدات الشعبية و لا سيما ميعاد توجهت نحو الكتابة و التعبيرعن ذاتها وعالمها الحالم بحرية و الانفكاك من أسر خرافية منها ، و ليس لهاأي سبيل إلى الخروج سوى الحب بسالم.

مظاهر التراث في رواية «آخر نساء لنجة»

يحمل التراث عدة أشكال من أهمها التراث الشعبي و التراث الديني و التراث التاريخي و غيرها .

التراث الشعبي

ما من شك أن أي شعب مهما بلغت درجة مواكبته لروح العصر والحداثة وارتباطه بالتكنولوجيا المعلومات يبقى دائما محافظا على هويته وأصالته وتفرده الذي يميزه عن باقي الشعوب الأخرى.يحتوى التراث الشعبي على معرفة العادات و التقاليدو القيم و الفنون و الحرف و المهارات،ومن الأمور الملحوظة أن في هذه الرواية تجتهد الكاتبة لؤلؤة المنصوري لنقل التراثالشعبي الإماراتي إلى عالمالأدب م منها :-

١.المعالجة بالنباتات

كانت من عادات الإماراتيين المعالجة بالنباتات و الأعشاب دواء للأمراض و الجروحكما سلطت الضوء على مظاهرأحداث وقعت في صغرها عندما تعثرت في الأرضفأصابها الجرح فاسعملت الأعشاب حيث تقول و بدأت»تمسح رزيقة بقطعة الشاش على مواضع القروح».

في مناسب آخر تقولبطلة الرواية ميعاد عن فعل جدتها كعادات الشعبية التي قام بها سكان الإمارات حيث تقول «تأتي بورق السدر المطحون بالحناء و بأعشاب لا أعرفها ،و تفركه بحذر على جروحي المقترحة»

٢. الفنون الشعبية

و تدخل في إطار الفنون الشعبية :-

الأزياء:-وهي من ملابس المتمثلة في اللباس التقليدي الخاص بكل منطقة وما يميّز بيئة عن الأخرى. ملامح الأزياء تتضح من قول ميعاد :-

«و ترتدي مجموعة من الأقمشة المزركشة و الملوّنة في نسق متضاد ، شبيه بالتنورة واسعة ذات كسات مسترسلة فضفاضة ، كرؤوس أشجار الرول الصنبور الأصفهانية «(ص٢١)

«عمل بداية لدى عدد من تجار الفُرضة في بيع الأرز و القمح و الأكمشة الحريرية و المزركشة و ألواح الخشب و السكر،فغمرت تجارته و نمت و ازدهرت ، ثم بدأ احتكاره في تجارة بيع البحور و دهن العود المجلوب بالسفن التجارية من الهند و صار الناس بثقون بيعه و ببضاعة تجارته»(ص٢٨) ، و هذه الأكمشة الحريرية كانت من ملابس الشعبية الفاخرة في الإمارات.

التراث التاريخي

«تحتل المكان جزءا كبيرا و هاما في الرواية،حيث يربط المكان بزمن الرواية و يقيم صلات وثيقة مع بقية المكونات الحكائية في النص فإن المكان هو الرصيد الحضاري و الثقافي و الاجتماعي الذي يشكل الموروث الثقافي للأعراف و العادات و التقاليد و السلوك.»لا شك أن هناك علاقة وثيقة بين الرواية و التاريخ و» تتأثر هذه العلاقة من طبيعة الروائي الذي ينهض على التصوير الواقعي و المعيشي تصويرا وصفيا تحليليا «في رواية «آخر نساء لنجة» صوّرت الكاتبة شخصية رزيقة شخصية ذات أساس تاريخي بالكلام و الحوار مع الشخصيات الأخرى حييثتقول «رزيقة مرجع تاريخ و ذاكرة مواسم» (ص١٤٠) و تشارك تجاربها بحفيدتها و تدعو الأنظار إلى الماضي دون رجعة و استعملت الكاتبة ضمير المتكلم من شأن أن يمزّج السرد بين الماضي و الحاضر.

يمكن القول أن البيئة التراثية واضحة من خلال دراسة القرية التراثية في الرواية عند توظيف الأمكنة ،و من ملامحها :-

«امتعضت جدتي ساخرة –(نحن اللنجاويين خبرنا حربا أعتى من هذه ، و كانت بيوتنا من الطين ، مشرعة في وجه الموت القادم من غضب البحر أو غضب الإنسان». (ص٨٢)

و لا شك أن المكان كالقرية أو الحارة و ما تضمه من البيت القديمة المصنوعة من الطين و أشجار النخيل و الخشب هذا يعتبر من شريان القرية.و يبدو في الرواية خلاف هذه المناظر حيث تقول عن المدينة على لسان البطلة:-

«خلافا لبيوت جلفار الساحلية الإسمنتية التي بدت تتأهب للتحضر و التمدن و الارتفاع ، كان بيت أمي ينخفض مع الزمن «(ص٥٥)

تبين الكاتبة عن اختلاف الحياة الريفية و المدنية خلال قول ميعاد حيث تقول «يبدو أن المدينة القديمة أحد الأماكن الواقعية المفتوحة الذي تنطلق منه حركة الناس و العمران و تأثير الوافدين فيهم»مدينة أحضان أصفهان، مدينة العراق و التاريخ ، مدينة الحب و أغنياء الأرض حيث الجسور و القناطر و البرك و النهروقت

الأصيل في حالة توق دائم لدغدغة النسيم الربيعي ،و تفتق رائحة الندى على الياسمين و النرجس و زهور الجلّنار»(ص٢٠)

استطاعت الكاتبة توظيف التراث التاريخي العربي الإماراتي من خلال ذكر البيئة المحلية التي تفوح منها روائح الأجداد و الماضي القروي الذي يعيش المجتمع الإماراتي.

الخر افات

في هذه الرواية وظفت الكاتبة من معتقدات خرافية التي اعتقدوها الأجداد السالفة من خلال حكايات خرافية حيث تقول البطلة عن حديث جدتها:-

«ما همّني من حديث رزيقة هو أن آسيا رهنت لابن عمها لخمس سنوات ،إلا أنه في السنة السادسة احتدم الخلاف بين الأخوين - عمها و أبيها - حول فضيحة سرقة البضائع التجارية المحملة على متن البوم العائد من الهند، كان البوم ملكا لأحد النواخذة في المحرّق (ص٢٧) و من معتقدات خرافية أيضا قول أحد شخصيات الرواية:-»لا يفصل المرض إلا نهر زاينده رود(أحد الأنهار الداخلية في مدينة أصفهان ، يعني بالفا رسية (النهر الولود) (ص١٨)

من خرافات اعتقادية أيضا لما أتت الجدة بحفيدتها إلى أحد العرافين فالحفيدة من جيل الثقافة الجديدة سترميها بالشريط قائلة «هذا دجال ...مؤكد أنه دجال ،قلتها بغضب في وجه الحاجة فأسكتتني قائلة «هذا الملأ أبو بكرا الجميع يعرف بركاته ،اعتقدي به و لا توسيخه بوساوسك ، هذا الرجل هو الوسواس عينه»(ص٣٣)

التراث الديني

لا تجحد مكانة التراث الديني في الرواية يقف عليه الروائي ، حيث إن القيم الموروثة تعد محور الأدب الأصيل. ما وظفت الكاتبة لؤلؤة المنصوري الشخصيات الدينية بشكل واضح ولكن نجد توظيف الموروث الديني ظاهرا بشكل كبير في هذه الرواية.حاولت الكاتبة استدعاء التراث الديني لونا من ألوان التعبير صادقا قويا محتويا بالنصوص القرآنية وكذا الطقوس والظواهر الدينية،حبا لبقاء معالم الدين الحنيف،من خلال حديث البطلة عند توديع بلدها مع جدتها بعد فراق أمها الحنونة تقول :-

أولا:- (إنا عرضنا الأمانة على السماوات و الأرض و الجبال فأبين أن يحملنها و أشفقن منها و حملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا)(ص١٣٢)

ثانيا:- تردد رزيقة قول الله بقناعة و رضا ،حين كانت على قيد ذاكرة (إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه)(ص١٦٧)

ومن المواريث الديني أيضاأحد قولها لما نزلت القافلة من سفينة إلى أرض لنجة مرة ثانية حيث تقول على لسان البطلة « مقتبسة من القرآن الكريم (ولله العزة و لرسوله و للمؤمنين) (ص١٤٤)

«فقد وظفت الكاتبة الكثير من أشكال التراث مرتبطة في غالبها بالتراث الإسلامي لأن المجتمع الإماراتي القديم مجتمع متدين ، و منها ما وظفته الكاتبة من الحديث عن العديد من المعتقدات التي لا يزال المجتمع يعتقد بها»، و من هذه المواريث الدينية في الرواية «في الليلة،حين ترتج المحرق بصافرات الإنذار الملعنة للخطر، لا يختبئ الناس كالجرذان ، بل يتحولون إلى سجادة صلاة ترتيلية ، تصعد على أسطح البيوت، و تتهجد غوثا من الله ألا تهبط الصاعقة» (ص٨١)

ومن معالم العبادات الدينية الإسلاميةقولهاعلى لسان البطلة»أسجد في الركعة الثالثة،وأطيل السجود»(ص ١٥٥)

ومما ورد أيضا من طقوس ديني من قول البطلة:-»تبسمل علي و تقرأ آية الكرسي ، تلثم القروح و هي باكية (ص٥٢)

«في الفجريهطل تكبير الرجال و الصبية في الزاق الطويل بخضوع مطلق و خفة كالرذاذ ،تكبر المحرق ، تصلي المحرق كلها « (ص ٨٣)

قد اختار بعض العادات الدينية التي تستدعى التراث الديني والذي خلفه أجدادنا مما يعكس روح الأصالة :-»أوقظ جدتي التي توقظني كل فجر للصلاة، أصلي بجانبها،ثم تخرج هي لقرآن الفجر»(ص ٨٥)

الخاتمة

في نهاية المطاف يمكن القول إن الأدباء الإماراتيين القدماء كانوا متمسكين بأصالتهم ومنبتهم من خلال اهتمامهم بموروثهم الثقافي العريق، و في العصر الراهن ازداد عدد الأدباء بما ساهموافي إحياء الموروثات وإعطائها دلالات جديدة عميقة.استعملت الروائية لؤلؤة المنصوريفي الرواية «آخر نساءلنجة « الكثير من المساحات السردية والوصفية بلغة عذبة جلية،وبهانجحت الكاتبة توظيف التراث الإماراتي بشكل واضح،و تركت لنا موروثا أدبيا متميزا تارة استذكار الماضي ببساطة و تارة بإشارة إلى عقائد دينية و تارة بتعريف ما أشمله ما تراكم الأجيال الماضية من عادات و تقاليد و تجارب و خبرات و فنون شعبية من خلال حضور العديد من جماليات وملامح الثقافة الشعبية الدينية في لغة شعرية ، لا شك أن هذه الأوضاع التي كانت يعيشها الناس في تلك الفترة ساعدت الكاتبة لتوليد الأحداث المتعلقة بمعالم الدين الإسلامي الحنيف والتي لها تأثير كبير في مجتمع الإمارات .

المصادرو المراجع

١. بخيتة بنت خمسي بن عامر القريني «توظيف التراث في الرواية العمانية في العقد الأخير من قرن العشرين،وزارة التراث و الثقافة ،ط١
٢. بدر عبد الملك ، القصة القصيرة و الصوت النسائي في دولة الإمارات العربيية المتحدة١٩٩٥،ط١، منشورات اتحاد كتاب و أدباء الإمارات.
٣. بليجيا الطاهر، التراث الشعبي في الرواية الجزائرية،منشورات التبيين الجاحظية الجزائر،) دط (٢٠٠٠م).
٤. د . سمر روحي الفيصل «ملامح في الرواية النسوية الإماراتية» مجلة الرافد أيلول ٢٠١٢).د. بهاء الدين محمد مزيد،الأدب النسائي فى الإمارات العربية المتحدة
٥. د.سيد محمد دريب'فن الرواية في المملكة العربية السعودية بين النشأة و التطور'، ط١
٦. رسول محمد رسول ، تمثيلات المرأة في الرواية الإماراتية ، وزارة الثقافة،ط١
٧. رسول محمد رسول ، صورة الآخر في الروايات الإماراتية، وزارة الثقافة ،ط١
٨. شوقي ضيف ، في التراث والشعر واللغة ،دار المعارف-القاهرة،ط٣
٩. صابر الخباشة ، غواية السرد ، قراءات في الروايات العربية استدعاء الموروث الشعبي - في الأعمال القصصية و الروائية الإماراتية (ملتقي الكتاباتالقصصية و الروائية في الدولة الإمارات العربية

المتحدة ١-١٩٨٥ ، الشارقة)
١٠. عبد الفتاح الصبري،القصة القصيرة النسوية الإماراتية-أنطولوجيا
١١. عبد الفتاح صبري ، الرواية الجديد تحولات و جماليات الشكل الروائي ،وقائع ملتقىالشارقة الخامس عشر للسرد،ط١،٢٠١٨م
١٢. عبد الله الخليفة ، الملامح المشتركة للرواية في الإمارات و الكويت، ص ١٧ ، ضمن كتاب»أبحاث الملتقي الثالث للكتابات القصصية و الروائية في دولة الإمارات العربيةالمتحدة « ، ج ٢ - اتحاد كتاب و أدباء الإمارات ،ط ١-١٩٩٤م
١٣. فاطمة محمد هديدي، إطلالة على تطور الرواية في الإمارات ، دراسات مجلة فصلية ، اتحاد كتاب وأدباء الإمارات، العدد التاسع عشر ٢٠١٧
١٤. لؤلؤة المنصوري «آخر نساء لنجة «العنوان للنشر و التوزيع ،الشارقة،ط١
١٥. http://www.dam-awu.org/

سحر خليفة وصورة المرأة الفلسطينية في أعمالها

الدكتور/شوكت علي. سي. وي[١]

الملخص

إن حظ المرأة في الأدب العربي لم يكن وافرا منذ قدم الزمان، ولذا لم توجد في تاريخ الأدب العربي في عصوره المختلفة إلا بعض الأسماء القليلة من بين النساء، ولم تبرز أديبات وشاعرات في الأدب العربي كما ظهر الأدباء والشعراء في مختلف عصوره. أما بالنسبة إلى العصور الأخرى قد ازداد في العصر الحديث فضل النساء العرب في ميدان الأدب ودورهن في ساحته، ومن ثم ظهرت شاعرات مثل عائشة التيمورية ونازك الملائكة وغيرهما في هذا العصر الجديد للأدب العربي.

وبالتالي صارت القضايا النسائية التي لم تكن ذات قيمة عند الكتاب والأدباء في القرون الماضية مادة معتبرة في مختلف فنون الأدب العربي، فأصوات النساء العرب أخذت مكانها في الأعمال الأدبية بعدما بذلت هؤلاء النساء الأديبات جهودهن في مجال التأليف والكتابة،وأن اتصالات الأدب العربي بالأدب الغربي الذي أينعت فيه الأفكار النسائية في النصف الأخيرللقرن الثامن عشر للميلادي قد صارت معززة لهذا التيار، فبأثر هذا الأدب الغربي واتسع نطاق المحاور في الأدب العربيوتنوعت فنونهاوأغراضها،فمنها قضايا النساء العرب التي صارت فيما بعد من أبرز الأغراض للأدب العربي الحديث.

أما الأدب العربي في أراضي فلسطين ازدهر بطيئا جدا حينما يقارن ازدهاره في الدول العربية الأخرى، وبالتالي أن الرواية الفلسطينة أيضا تطورت ببطء جدا من تطوره في غيرها من البلدان،ومن أسبابها ظروف اجتماعية وثقافية وتربوية،لأن كتابة الرواية تتطلب من الكاتب الأمن والهدوء والاستقرار مع قدرته الموهوبة فيالكتابة والتأليف، فبدأت الرواية النسائية الفلسطينية تحمل فى طيها الهموم النسائية ببصمات أدبية وتقدم الصور للطاقة النسائية وجمودها في وجه الشدائد والمصائب أكثرمن أي رواية نسائية عربية، لأن المرأة الفلسطينية هى كثيرة التعثر فيما بين نساء العالم على الصعيد الإنساني من جرّاء الاحتلال الصهيوني.

ومما لاشك فيه أن الروائيات الفلسطينيات يقل عددهن ولكن انتاجاتهن غزيرة وشهيرة، والروائيات الفلسطينيات المعاصرات ماطار صيتهن فى البلدان العربية فحسب بل انتشر مجدهن فى أنحاء العالم بأسره بواسطة رواياتهن المترجمة إلى اللغات العالمية. ومن الروائيات الشهيرات اللاتي أسهمن في هذا المجال خدمات كبيرة ولعبن دورا نشيطا فى حقل الرواية العربية وتطورها السيدة سحر خليفة التي لها مكانة عالية في مجال الأدب العربي الحديث لاسيما في الأدب الفلسطيني ونفهم « مما لا مرية فيه أن ظهور الروائية الفلسطينية سحر خليفة فى سبعينات القرن العشرين كان حدثا مميزا فى مجال الأدب عامة والرواية خاصة، وهي التي أثبتت بأن الرواية الفلسطينية لم تعد تقتصر على الكتاب الذكور من ناحية الفن أو المضامين. وهي كتبت حتى الآن إحدى عشرة رواية، معظمها ترجمت إلى العبرية والفرنسية والألمانية والهولندية والإنجليزية والإيطالية والإسبانية والماليزية واليونانية والنرويجية والروسية. هكذا استطاعت سحر خليفة أن ترسخ وجود الرواية النسائية والنسوية

١. محاضرضيف،كلية روضة العلوم العربية، كالكوت،كيرالا- الهند

الفلسطينية في الساحة الأدبية العالمية حتى عدت روايتها « باب الساحة « من أفضل مائة رواية عربية «[١]

فالباحث يريد في هذه المقالة أن يطلع على شخصية سحر خليفة وإسهاماتها القيمة لتطور الأدب العربي في فلسطين خاصة والروايات العربية في تلك الأراضي عامة، وأن المقالة تركز في مضمونها على كيفية تمثيل المرأة الفلسطينة في رواياتها المختلفة أيضا.

سخر خليفة وإسهاماتها في الأدب العربي

ولدت سحر عدنان خليفة بالأسرة الإستقراطيةفى ١٥ من شهر يناير سنة ١٩٤١م فى قرية بليبوس من مدينة نابلس بالضفة الفلسطينية، وأنها نشأت وترعرعت فى مهد القرية حيث أنها كانت تعيش مع الاحتلال والظلم والقهر وتواجه عراقيل الاحتلال وأن حالات القرية الحرجة ألحت فى نفسها وفكرها عناصر الإبداعات رغم أن الاحتلال أثر فى كتابتها لاسيما فى كتابة الرواية أنها تقول « كتاباتي كلها عن نابلس مسقط رأسي التي أعتبرها المختبر والنموذج الحميم والصادق للعالم العربي بأسره كمجمع، لتعدد التناقضات فيها. ففيها من التناقضات والتوتر والعلاقات الإجتماعية، ورسوخ الهوية القومية العربية ما يمكنني من التقاط ملامح المجتمع العربي ذلك من خلال تصويرالعلاقات الأسرية والاجتماعية فى مدينتي نابلس»[٢]،وأنها كانت الرابعة فى بيتها.

وتلقت دراستها الإبتدائيةفى مدرسة الخنساء بنابلس من سنة ١٩٤٩م إلى سنة ١٩٥٣م، ثم فى متوسطة بني صهيون بالقدس «الدراسات الإعدادية» سنة ١٩٥٤م، ثم لازمت مدرسة الراهبات الوردية للتأمين بعمان للدراسات الثانوية من سنة ١٩٥٥م إلى سنة١٩٥٩م. فعزم أهلها على تزويجها فى الثامن عشرة من عمرها، بعد الزواج أنها غادرت مع زوجها إلى دولة ليبيا وعاشت فيها زمنا ولكنها كانت لاتجد الهدوء والسلوى من زوجها حيث أنه كان مقامرا دائما ولم يسمحها لللقراءة، بل كان يمزق كل ما تكتبه سحر ويضربها فى الليلة،ورغم هذه المشاكل من زوجها أن سحر قد استفادت من وقتها الفارغ وعندما يكون زوجها خارج البيتللقراءة والتعلم حيث درست مرحلة السكرتارية والطباعة وأعدت نفسها للعمل فى الشركة، وهذه الحياة الزوجية أنتجت ابنتين وتحررت من هذا الزواج بعد ثلاثة عشر عاما من حياتها الزوجية، وكانت سحر آنذكفى الحادية والثلاثين من عمرها وتبدلت أحوال البيت من السعادة إلى الشقاء من أجل الحادثات التى حدثت لأخيها الأصغر وحادثة موت أبيها وإزدياد يأس أمها وقنوطها مما جعل دارها مهجورة.

بعد سنوات أنها جعلت تهيئ نفسها لإعادة ذوقها الأدبي وقامت بعد المساعي المكثفة فى ميدان الأدب حيث أنها أسهمت فى الشعر، ثم أنها ألحقت نفسها بالرواية وكتابتها إذ نشرت روايتها الأولى « لم نعد جواري لكم» من دارالمعارف بمصر سنة ١٩٧٤م.

كانت سحر تتمنى أن تكون أديبة واعترفت طريقها وسعت سعيا بالغا للتضلع من الأدب فواصلت دراستها الجامعية وحصلت على مرحلة البكالوريوس فى اللغة الإنجليزية من جامعة «بيرزيت»[٣] فى رام الله سنة ١٩٧٧م ، خلال السنوات الثلاث من ١٩٧٨م إلى ١٩٨٠ عملت مديرة للأنشطة الثقافية ومديرة لدائرة العلاقات العامة من ١٩٧٦م إلى ١٩٧٨م، وكانت تعمل مديرة المكتب ومحررة لمجلة «غدير» الصادرة من جامعة بيرزيت أثناء السنوات ١٩٧٤-١٩٧٧م أيضا، وقد حصلت على المنحة الدراسية (Full Bright Scholarship) لدراسة الماجستير فى الأدب

١. صحيفة « الغد»، ص ٢٢٧

٢. جريدة السفير اللبنانية يوم ٢٢مايو ٢٠٠٨م، مأخوذة من الهوية في روايات سحر خليفة (رسالة الدكتوراه)، جامعة كاليكوت ٢٠١٧.

٣. Bir Zeit University

الإنجليزي من جامعة شبل هل – نورت كارولينا[١] بالولاية المتحدة الأمريكية عام١٩٨٣م، وبعد إكمال الماجستير أنها التحقت بجامعة «ايوا»[٢] حيث شاركت فى برنامج الكتاب الدولي، لأن الجامعة كانت تهيئ لها معظم التسهيلات للكتابة وتبادل الخبرات فاسطاعت أن تسجل إسمهافى برنامج الدكتوراه وحازت شهادة الدكتوراه سنة ١٩٨٨م في موضوع « دراسات المرأة والأدب الأمريكي»، وأيضا أنها منحت بفرصة للعمل فى نفس الجامعة كمدرسة فى قسم اللغة الإنجليزية والدراسات النسوية من سنة ١٩٨٤ إلى سنة ١٩٨٧م.

بعدما أكملت رسالة الدكتوراه عادت إلى عمان ثم إلى نابلس بفلسطين وأسست فيها مركزا للدراسات بإسم «مركز شؤون المرأة والأسرة « بمعاونة من صديقاتها عام ١٩٨٨م وفتحت بعض الفروع الإضافية فى غزة وعمان بالأردن فى السنوات ١٩٩١م و١٩٩٤م واستمرت إلى سنة ٢٠٠٣م.

وقد نالت كثيرا من الجوائز العالمية، ومنها: جائزة البرتو موروفيا للأدب المترجم للإيطاليا عام ١٩٩٦م، وجائزة سيرفانتس للأدب المترجم للإسبانية عام ٢٠٠٣م، وجائزة نجيب محفوظ التى تمنحها الجامعة الأمريكية فى القاهرة لروايتها « صورة وأيقونة قديمة». وكذلك جائزة السلام من منظمة السلام للنساء من جامعة أيوا الأمريكية، وميدالية الصداقة من بلدية بولونيا تقديرا للعمل النسوي الفلسطيني- الإيطالي المشترك، وميدالية قاسم أمين الذهبية للكتابات النسوية، وجائزة محمد زفزاز للرواية العربية في سنة ٢٠١٣م، وأيضا أنها اختيرت رئيسة للجنة التحكيم للجائزة العالمية للرواية العربية عام ٢٠١٧م.

صورة المرأة الفلسطينية في أعمال سحر خليفة

تعتبر سحر خليفة الروائية العربية الأولى فى النصف الثاني من القرن العشرين، وهي التى قامت بالتحرر السياسي للرواية النسائية،وأنها بدأت حياتها الأدبية كشاعرة ولكنها لم تنضج ثمرتها الشعرية، فتحولت إلى كتابة الرواية مع أنها حجزت مكانا للشعر أو القصيدة داخل روايتها، وكذلك أنها أضافت جزءً من قصيدة صديقتها الشاعرة فدوى طوقان إلى رواية «عباد الشمس»، ولعبت سحر فى ميدان إنتاج الرواية دورا فعالا حتى أصدرت إحدى عشرة رواية حتى الآن، وهي: «لم تعد جواري لكم» (١٩٧٤م) و»الصبَار» (١٩٨٦م) و»عبّاد الشمس»(١٩٨٠م) و»مذكراتإمرأة غير واقعية» (١٩٨٦م) و «باب الساحة»(١٩٩٠م) و»الميراث» (١٩٩٧م) و»صورة وأيقونة وعهد قديم»(٢٠٠٢م) و «ربيع حار» (٢٠٠٤ م) و»أصل وفصل» (٢٠٠٩م) و «حبي الأول» (٢٠١٠م) و «أرض وسماء» (٢٠١٣م) .

فقد مارست في أعمالها الأدبية كثيرا من القضايا النسائية بما أنها عانت في حياتها مشاكل المرأة العربية في أدوارها المختلفة مثل البنت والزوجة والأم وغيرها من الجوانب المختلفة في حياة النساء، وحاولت أن تشجع المرأة أن تخرج من القيود التي أقمعتها وتجعلها عبيدة للملامح الإجتماعية المتعددة، وغرضا لهذا أنها أسست مؤسستها المشهورة بإسم «مركز شؤون المرأة والأسرة «لتقوية النساء ولإثارة شعور النساء الفلسطينيات ضد القوات المحتلة الظالمة، وأنها تصور تلك النساء رمزا للمقاومات الفلسطينية ضد الصهيونيين، فيقول الأستاذ فيصل دراج: «قضية كون المرأة ضحية وكون الرجل ظالمها، والباقية من القضايا الإجتماعية والسياسية تكون ثانوية إلى جانب قضية تحرر المرأة من سلطة الرجال. وقد اهتمت سحر خليفة بإبراز صورة المرأة في نماذج متعددة مثل المثقفة، الزوجة، المناضلة، الأم، العاملة، المومس، الرمز وغيرهن. وإن المرأة المناضلة أهم من هذه النماذج النسائية في رواياتها، فهي ليست المرأة الأم التي تقدم أولادها الذكور للعمل الثوري، إنما هي إلى جانب

١. North Carolina –Chappel Hill

٢. University of Iowa- USA

ذلك «المرأة الثورية بذاتها» التي تمارس العمل السياسي والإعلامي والعسكري، فتحمل السلاح في قواعد الثورة، وفي عمليات عسكرية ضد العدو»[١].

ففي رواية «باب الساحة» أن الكاتبة ترسم شجاعة المرأة الفلسطينية وبقاءها في ساحات الحرب حينما يضطر الرجال إلى الهروب والاختباء، وتصور شخصية «الست زكية أم الشباب» رمزا للنساء المناضلات في فلسطين في تلك الآونة التي تواجه الأرض الفلسطينية قهر القوات الإسرائيلية، فالست زكية تراقب الأحداث، وتدخل البيوت، وترشد الشباب وتعالجهم وتداوي جراحهم، وتعد أما للجميع وعينا على الانتفاضة. فالست زكية ليست وحدها فحسب، بل إن الشخصيات الأخريات في تلك الرواية يظهرن جراءتهن وبطولتهن في المعارك ضد الجوانب السياسية والإجتماعية،وأنها تجبر أن تدير أعباء البيت والدار في نفس الحين الذي تقاوم فيه القوات الاستعمارية،فتمثل سحر خليفة في نهاية الرواية شخصية الست زكية كأنها ترفض أن تستقر داخل البيت وأن تقنع بكونها أما فقط، بل أنها تقول: « لست الأم ولست الأرض ولست الرمز، أنا إنسانة. أكل أشرب أحلم أخطئ أضيع أموج أتعذب وأناجي الريح. أنا لست الرمز، أنا امرأة»[٢].

أما في رواية «ربيع حار» أن سحر خليفة تعالج قضية العمل للمرأة، وتشير إلى هذه القضية خلال شخصية «أم سعاد» في تلك الرواية، فإن عمل المرأة يوفر لنا نوعا من الحرية الشخصية، لإن اعتمادها على الرجال يجعل موقفها ضعيفا فتكون تابعا له، فلا يستطيع مخالفته أو الخروج على سلطان،فخلال شخصية أم سعاد تطرح الكاتبة قضية عمل المرأة بشكل جديد، وكانت أم سعاد كغيرها من النساء العرب العاديات تلد وتربي الأولاد وتطبخ لهم وتساعدهم لسد الحوائج الضرورية، لكن بعد فترة من الزمان قد اعتقلت القوات الصهيونية زوجها المحبوب ويحبسونه في السجن، فوجب على هذه الأم الحنون والزوجة الرفيقة أن تراعي شؤون الأولاد والزوج المحبوس، وتبدأ أن تتصرف في المحامي لصلاحية أسرتها العزيزة،فتقول في الرواية: «وأبو الأولاد لم يورثها إلا القلق والهم والغم ومصروف الدار ومصاريفه. فهذا للمحامي، وهذه مصاريف الزيارة، وهذا مصروف لدخانه وأكله وشربه حين تزوره»[٣]. وإضافة إلى ذلك أن شخصية ابنتها «سعاد» التي تتولى مسؤولية الأسرة بعدما ضاعت إخوانها والتي تجاهد في نفس الوقت لاستقلال وطنها الفلسطيني تصير نموذجا صحيحا للنساء المناضلات في تلك الأراضي المحتلة ولجهودهن لمراعاة الوطن والأسرة،فترفض سعاد أن تتزوج من «النصراوي» الذي يقع في نفسها حبا نحوه بأنها لا تحب أن تكون زوجة تقليدية بدون أي حرية ودور في المناضلات.

فإن مما يعجب القارئ ويحثه على قراءة رواياتها أنها امرأة فلسطينية عربية أصيلة واستخدمت قلمها أمام المجتمع لتقديم مجموعة من القضايا الاجتماعية المتنوعة التي تراها أهم العوائق والتحديات مما فيها قضية المرأة وحقوقها وقضية الفقر وقضية الصراع الطبقي وغيرها، وأنها اعتنت بالقضية الفلسطينية وأعارتها اهتماما بالغا وعالجت القضية الوطنية فى رواياتها المختلفة وتحدثت عن الاحتلال وما حدث فى المجتمع الفلسطيني من التغيرات المؤلمة بعد هذا الاحتلال وعرضت معاناة المناضلين الفلسطينين من خلال هدم المنازل والبيوت وتدمير القرى والأرياف. وكانت تهتم بواسطة رواياتها قضايا المرأة وصعوباتهافى سبيل حقوقها والعيش بالكرامة والعفة، وظلت قضية المرأة الفلسطينية واحدة من النقطاتالرئيسية فى معظم رواياتها. ويقول الكاتب: «قضية المرأة هي الوجهة الرئيسية المؤثرة على بنية النص الروائي وتشكيله ولغته في معظم روايات سحرخليفة، تعرض الشخصيات في رواياتها بأشكال متفاوتة حول القضية الأساسية بالنسبة لها وهي:قضية كون المرأة ضحية

١. فيصل دراج، المقدمة رواية سحر خليفة «صورة وأيقونة وعهد قديم»

٢. سحر خليفة، باب الساحة، ص ١٧٦

٣. سحر خليفة، ربيع حار، ص ٢٤٢

وكون الرجل ظالما، والباقية من القضايا الاجتماعية والسياسية تكون ثانوية إلى جانب قضية تحرر المرأة من سلطة الرجال. قد اهتمت سحر خليفة بإبراز صورة المرأة في نماذج متعددة مثل المثقفة، الزوجة،المناضلة، الأم، العاملة، ، الرمز وغيرهن»[١].

فمما لا جدال فيه أن هذه الروائية رفعت صوتها ضد الجور والظلم والمشاكل المتعددة التي واجهتها المرأة العربية عامة والمرأة الفلسطينة خاصة كما أنها عالجت قضايا الاحتلال الصهيوني وعواقبه السلبية وقاومت ضده بقلمها الموهوب. لعل هذا هو السبب الرئيسي لأن تترجم أعمالها إلى لغات العالم المتعددة يبلغ عددها أكثر من ١٥ لغة.فى الحقيقة، أنها قامت بالأمانة الدقيقة في سائر القضايا الاجتماعية التى تمس المرأة بصورة مباشرة وكانت ممن قدمت إسهامات بارزة فى قضية المرأة العربية الفلسطينية لرفع مستواها ومكانتها وإعلاء كلمتها وتسجيل دورها الفعّال فى بناء المجتمع وأنها ناقشت الشؤن المتعلقة بالمرأة بأسلوب جيد وعالجت الأمور بالدقة والقوة. لاشك في أنها روائية فلسطينية بالطبع مع أنها كاتبة وإعلامية وأكادمية ومناضلة.

الخاتمة

فخلال هذا البحث الأدبي يستنتج الباحث النتائج الآتية:

- سحر خليفة تعتبر واحدة من أبرز الأديبات للأدب العربي الحديث ونالت مكانا مرموقا في ساحة الرواية العربية، ولا سيما في تطور الرواية العربية في فلسطين.
- وقد عانت كثيرا من المشاكل والصعوبات في حياتها الشخصية والاجتماعية بكونها امرأة، وقد أدت هذه المشاكل إلى فكرتها عن حقوق المرأة واستقلالها من القيود الاجتماعية والأسرية، وإضافة إلى ذلك بأن الأوضاع السياسية الموجودة في فلسطين في تلك الأيام قد صارت عاملة في إثارة الشعور الوطنية حتى أنها بدأت أن تعالج في أعمالها قضايا المرأة الفلسطينية.
- ففي أعمالها أن سحر خليفة تمارس القضايا المتعددة التي تواجهها المرأة العربية عامة والمرأة الفلسطينية خاصة حيث أن المرأة الفلسطينية تضطر أن تحمل أعباء أسرتها في حين يجبر عليها أن تقاوم آثار الاحتلال الصهيوني، فبالتالي تكون المشاكل الاجتماعية بما فيها قضايا عمل المرأة في الخارج وغفلة الرجال من إدارة الديار محاور رئيسية في أعمالها القيمة.
- فهي تمثل المرأة الفلسطينية ضعيفة ومقهورة تحت العناصر الاجتماعية التي تعطي الرجال درجة على النساء في نفس الحين الذي تصورها فيه قوية قادرة لمواجهة الأعداء المحتلين وتأييد الرجال المحاربين في ساحات المعركة ضد القوات الصهيونية.

المراجع والمصادر:

١. باب الساحة، سحر خليفة، دار الآداب بيروت، الطبعة الثانية ١٩٩٩م
٢. جريدة « السفير» اللبنانية يوم ٢٢ مايو ٢٠٠٨م، مأخوذة من الهوية في روايات سحر خليفة (رسالة الدكتوراه)، جامعة كاليكوت ٢٠١٧م.
٣. ربيع حار، سحر خليفة، دار الآداب بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٤م
٤. صحيفة « الغد» ,(أردن) تصدرها الشركة المتحدة للصحافة,العدد المنشور بتاريخ ٢٠٠٩/٠٢/١٧م,

١. المهارة: مجلة بحثية سنوية محكمة، المجلد الثالث ديسمبر ٢٠١٥م تصدر عن قسم اللغة العربية بكلية مهاراجاس الحكومية بأرناكلم كيرالا، صفحة :٩٠

مأخوذة من مجلة الدراسات العربية بجامعة جواهرلال نهرو دلهي الجديدة- العدد الرابع ٢٠١٧م .
٥. صورة وأيقونة وعهد قديم، سحر خليفة، دار الآداب بيروت، الطبعة الأول ٢٠٠٤م
٦. المهارة: مجلة بحثية سنوية محكمة، المجلد الثالث ديسمبر ٢٠١٥م تصدر عن قسم اللغة العربية بكلية مهاراجاس الحكومية بأرناكلمكيرالا-الهند.
٧. الميراث، سحر خليفة، دار الآداب بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٧م

كتابة السيرة النبوية للأطفال: عبد التواب يوسف نموذجا

السيد/ شعيب الوافي [١]

الدكتور/ عبد المجيد تي [٢]

الملخص

أدب الأطفال يشمل السيرة النبوية والقصص والكتب والمجلات والقصائد المؤلفة بشكل خاص للأطفال ، والأدب يوسع خيال الأطفال ومداركهم من خلال متابعتهم للشخصيات القصصية أو من خلال قراءاتهم الشعرية أو من خلال رؤيتهم للممثلين والصور المعبرة. وهو يساعد على تحسين أداء الأطفال ويزودهم بقدر كبير من المعلومات التاريخية والجغرافية والدينية والحقائق العلمية ولا سيما سيرة النبوية. لقد ظل لهذا الأدب على مر العصور دور مهم في تعميق القيم الإنسانية ، ودفع الأطفال للتطلع إلى الأمام ، والأخذ بزمام الفكر والوعي والمعرفة كما يوسع من أخيلتهم ومداركهم ، وينمي لديهم مهارات القراءة والكتابة ، ويزودهم بالثقافات المتعددة. وهذه المقالة العلمية تسلط الضوء على الأثر الأدب الأطفال ، خصوصا كتابة سيرة النبوية للأطفال ، فقد سعت الدراسة أيضا إلى تسليط الضوء على عبد التواب يوسف باعتباره أديبا حديثا سعى من خلال كتبه إلى غرس القيم التربوية والتعليمية في نفس الطفل العربي .

أدب الطفل

يعد أدب الطفل من الفنون الأدبية الحديثة الذي نشأ نشأة مغايرة عن سائر الآداب ، قد خص اختلافا كليا عن أدب الكبار ، سواء أكان الإختلاف من حيث المفهوم أم الرؤي أو التوجهات أو غير ذلك .

أن نشأة هذا الفن كانت عبارة عن تسجيلات سريعة أو حلقات شفاهيّة أو شابه ذلك ، وحقيقة الأمر لم يلق الإهتمام من قبل الأدباء العرب لا بعد عصر النهضة في أوروبا .

فقد مرّ أدب الطفل بمراحل متعددة كانت النواة الحقيقة لنشأة هذا الفن الأدبي ، والذي أخذ في الآونة الأخيرة حيّزا كبيرا من كتابات الأدباء المتخصصين واهتماماتهم ، فقد تشكّلت مراميه واتسعت آفاقه ليشمل المعارف الإنسانية المختلفة ، فلم يكن مقصورا على الأشكال المعهودة للقرّاء.

ويقصد بمفهوم أدب الطفل بأنه الأدب الذي يخصص للصغار ، فيفيدهم من خلال نقل المعلومة بقالب من المتعة والتسلية ، فهو كل ما كتب وصور في إطار مواضيع وأهداف تعليمية كتبت من أجل تزويده للطفل .

السيرة النبوية

إننا أمة لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمحمد صلى الله عليه وسلم هو الرسول المصطفى الذي أرسله الله لهذه الأمة ، ليخرجهم من الظلمات إلى النور ، وكان الرسول صلى الله عليه

١. باحث، قسم الماجستير و البحوث في اللغة العربية، كلية فاروق، كالكوت.

٢ . الأستاذ المساعد و المشرف البحث، قسم الماجستير و البحوث في اللغة العربية، كلية فاروق، كالكوت

وسلم حريصا على أمته وإنقاذها من الظلمات التي كانت تعيش فيها ، وكان صلى الله عليه وسلم بالمؤمنين رؤوفا رحيما ، وقد انتشر الإسلام في البلاد ، ولم يكن هناك إكراه في الدين ، ومع ذلك اسلم الفرد تلو الفرد ، والجماعة تلو الجماعة ، والقبيلة تلو القبيلة ، مع انهم كانوا يستطيعون البقاء على دينهم ، تحت حماية المسلمين مع دفع الجزية لو أرادوا .

فما الذي دفعهم إلى اعتناق دين جديد واعتقاد مختلف ، وتغيير جذري لحياتهم ؟ إنها أخلاقيات لا إله الا الله محمد رسول الله فهل عرفت هذه الأمة هذه الشخصية العظيمة التي أرسلها الله إليهم ؟ ، هل حرص الآباء والأجداد على أن يقربوها إلى أبنائهم وأحفادهم ليتعرفوا عليها عن قرب ؟.

ذاع صيت هذه الشخصية الكريمة في كل مكان وفي كل عصر وزمان ، وحتى وقتنا الحاضر لدى المسلمين وغير المسلمين ، قالت المجلة كما نقله عبد التواب : إن محمدا أحدث كفرد تغييرا في تاريخ البشر لم يحدث قبله ولا بعده ، أن تمكن شخص واحد من أن يقلب موازين الأمور ، ويبدل من تاريخ الدنيا ويعدل من جغرافيا الدول ويؤمن به ، وسيظل يؤمن به ملايين الناس ، يذكرونه ويتبعون تعاليمه ، وسننه ، جيلا بعد جيل منذ قرابة أربعة عشر قرنا ، غير حياة امة ، أخرجها من القبيلة لتصبح واحدة من أضخم دول وأمم هذه الدنيا ، ووضع أقدامها على طريق المعرفة والحضارة [١].

وألف مايكل هارت كتابا ترجمه أنيس منصور ، عنوانه الخالدون مائة أعظمهم محمد صلى الله عليه وسلم ، وهناك العديد من المستشرقين الذين أجتذبتهم هذه الشخصية الجليلة .

يقول محمد عثمان جمال : أن لدراسة السيرة النبوية تأثيرا كبيرا على حياة الأطفال ، ودورا عظيما في تنشئتهم النشأة الصالحة الطيبة ، فهي النبع الفياض الذي يجيش النفس نحو معاني الحب والجهاد ، لذلك كانت المحاولات دؤوبة منذ فجر الإسلام لتقريب سيرة الرسول (ص) للأطفال والناشئة والشباب ، وكم رويت على مسامع الصغار قصص ، وأحاديث عن تلك الشخصية العظيمة ، قدوة ومثل أعلى ، ولا شك أن مجالس ضمت الكبار والأطفال معا تحدثت عن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ثم جاء من دونها من الحفاظ من التابعين ، وأثبتوا ما ورثوه رواية عن أسلافهم من الصحابة ، وفيما بعد تقدمت كتابة السيرة النبوية للكبار حتى أصبحت تقليدا من أرسخ تقاليدنا الأدبية ، ولم تكن هناك محاولات لكتابتها للأطفال ، اللهم إلا من خلال شذرات هنا وهناك في الكتب التعليمية في مكاتب تحفيظ القرآن والمدارس التي نشأت في إطار الجوامع والمساجد ، وهي في الغالب حكايات مروية من خلال كتب الكبار ، مبسطة للصغار .

ثم جاء كامل الكيلاني ، رائد أدب الأطفال ، وكان أول من بسط السيرة النبوية للأطفال ، ومحمد الهراوي الذي نظمها لهم شعرا ، ومن بعدهما بدأ كتاب الأطفال يكتبون السيرة للأطفال ، حتى بات من الصعوبة بمكان حصر ما كتب للأطفال عنها ، فإذا ما نظرنا إلى القائمة الصادرة عن كتب الأطفال عام ١٩٧٠ م ، وقائمة كتب الأطفال المصرية ما بين ١٩٦٠-١٩٧٥ م ، فسنجد سلاسل كثيرة لكتاب الأطفال ، منها :

سلسلة : من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، الرائد كامل كيلاني ٣٧ جزء ، وكتب عن سيرة محمد أحمد برانق ٢٦ كتابا ، وكتب محمد عطية الأبراشي ٣٠ قصة ، وكتب إبراهيم عزوز سلسلتين : الأولى قصص السيرة ٢٤ قصة ، والثانية خاتم الرسل والأنبياء ٢٠ قصة ، وكتب في السيرة الأستاذ سيد شحاته : من أمجاد الإسلام ١٥ قصة ، وكتب محمد محمود زيتون قصص إسلامية للأطفال في السيرة ١١ قصة ، وكتب إبراهيم يونس من

١. يوسف ، عبد التواب ، الرسول صلى الله عليه وسلم ، فصول في أدب الطفل المسلم ،ص ١٨٣ .

سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ٢٠ قصة ، وأحمد الناجي كتب النبي العظيم، وكتب قائد العرموسي محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكتب طه عبد الباقي سرور محمد نبي الرحمة ، وكتب مصطفى محمد إبراهيم ، رسول الرحمة[١] .

العلاقة بين الأدب الأطفال وسيرة النبوية

إزدادت الدراسات والبحوث في مجال التربية والتعليم ، وتطورت مع تقدمها ، وتوصلت إلى أنه من أهم وسائل التربية هي : القدوة ، لأنها النظرية التي أثبتها الرسول صلى الله عليه وسلم منذ قرون عديدة : كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه .

وذلك عن طريق التقليد للقدوة التي أمامه ، فيقلدها سواء كانت قدوة خير أم شر .

ومما لا شك فيه أن القدوة هي أقوم وأفضل سبيل لزرع القيم في نفوس الأبناء ، وليس هناك أفضل من شخصية الرسول نقدمه كقدوة للأطفال ، عن طريق تقديم السيرة النبوية لهم ، فالأطفال أكثر حاجة من الكبار لفهم سيرة الرسول ومعرفة جزئيات حياته وحياة صحابته لكي تصبح هذه السيرة قدوة ونبراسا لهم ، فليتنا نقدم لهم هذه الشخصية في ثوب يجعلهم يجرون وراء معرفتها معرفة حقيقية ، بشرط أن يربط كل ذلك بالواقع المعاصر ، فلا يتعرفون على تلك الشخصية لمجرد المعرفة فقط ، بل لتكون أيضا قدوته في حياته كلها ، وسعد في الدارين من كانت هذه قدوته ، واتبع سنته صلى الله عليه وسلم في حياته وأخلاقه ومعاملته .

وكما يقول عبد التواب يوسف : فكل طفل في عالمنا المعاصر في البلدان المتقدمة ، يشب وعليه بصمة من فيلسوف أو مربي ، تكون هذه الرابطة الحقيقية غير المرئية التي تربط بين أبناء هذا البلد ، وتنمو معهم وتبقي على مدى العمر .

فمن هي تلك الشخصية التي يتطلع أطفالنا إليها كقدوة ، ومثل أعلى ؟ وما هي الفلسفة والنظرية التربوية، التي نمضي على نهجها في تنشئتنا لأبنائنا ؟

إن الإجابة تكمن في كل ما كتبه المحدثون عن السيرة النبوية ، وعن الرسول طفلا وشابا ورجلا نبيا ورسولا وإنسانا معلما ومبشرا ونذيرا وإبنا وأبا وجدا[٢] .

عبد التواب يوسف وسيرته النبوية :-

قرأ عبد التواب يوسف منذ صغره كتبا عن السيرة النبوية في المدرسة ، وحمل إليه والده وهو صغير كتبا لكامل كيلاني عن السيرة النبوية ، كما قرأ أشعار محمد الهراوي (أنباء الرسل) ، ونمى ولديه الشعور الديني العميق الهادئ منذ الصغر .

وقد وجهه والده ، حينما رآه يكتب عن أحد زعماء الحرية ، بأن يكتب عن سيدنا محمد صلى الله عليه فقال لوالده : وماذا أكتب عنه ، وما بقي شيئ إلا وقيل وكتب ؟ فنظر إليه والده في عطف واشفاق وقال : حياة محمد صلى الله عليه وسلم ورسالته أكبر من كل ما كتبوه عنه ، وما زال هناك الكثير الكثير جدا يمكن كتابته

١. يوسف ، عبد التواب ،»السيرة النبوية تقريبها وتبسيطها للأطفال والناشئة « ، فصول في أدب الطفل المسلم ، ص ١٩٧-٢٠١ .
٢. يوسف ، عبد التواب ،» السيرة النبوية تقريبها وتبسيطها للأطفال والنشئة « فصول في أدب الطفل المسلم ص ١٩٥ ، ط ١ ،جدة ١٩٩٢ هـ .

عنه صلى الله عليه وسلم ، وأسأل الله أن يهديك يا بني سواء السبيل لتتعرف على جوانب جديدة من حياة هذا النبي العظيم ، يقول عبد التواب : وكثيرا ما تساءلت : هل استجاب الله لهذا الدعاء ؟ لقد كانت السيرة النبوية بالنسبة له مدرسة عظيمة ، وجامعة رائعة ، وحياة معلمة بحق وصدق ومرّ ربع قرن بعد ذلك ، وقد صدر له خمسة وعشرون كتابا عن الرسول ، وكان هدفه منها : ان يقتبس الطفل جانبا من سماته صلى الله عليه وسلم وعظمته ، فقد كان عبد التواب ينادي بالدعوة إلى حتمية أن يحمل أطفالنا شيئا من السمات البارزة للإنسان العظيم والنبي الكريم ، وإذا نجحنا في هذا أخذ الطفل بأسباب الدين ، وتخلق بأخلاقيات الإسلام وصار هذا الإنسان الذي نتمناه ونعتقد عن يقين أنه سيكون صانع المستقبل .

سيره من كتابة السيرة النبوية

كانت بداية الكتابة للسيرة النبوية ، حينما سألت عبد التواب يوسف ، السيدة فضيلة توفيق ، وهي مذيعة برامج أطفال – قبل كتاباته الدينية للأطفال – عن السبب في عدم كتابته في هذا المجال ، وكان جوابه : خشية الوقوع في أخطاء يتعقبها علماء الدين الأشداء على أنفسهم وعلى الآخرين في هذا الموضوع .

وقد أصرت السيدة فضيلة على أن يحاول الكتابة في هذا مجال ، خصوصا وأن لديهم إدارة للشؤون الدينية تراجع المواد التي تقدم عبر الإذاعة ، وسوف يراجعون العمل وينقدونه قبل تقديمه للمستمعين ، وكانت البداية أنه أعجب بالفكرة ، وبدأ يقرأ كتب السيرة وجذبه كما يقول –ككاتب للأطفال – شخصية فيل أبرهة ، فيقول : وشرعت أكتب أحداث المولد على لسانه وأحسست أني كنت جديدا طريفا ، وحملته للإذاعة ، وكانت المفاجأة أن الشؤون الدينية امتدحت العمل بشكل كبير ، ورأوا أنه مختلف ، وسألوني أن أكرر التجربة ، وكان نجاح البرنامج لدى الأطفال من الأمور التي جعلتني أحاول مرة أخرى ، وكان تعبير البعض أن المادة ليست غليظة أو وعظية ولا جافة ، بل فيها مرح وطرافة ، ولم تخرج قط على الإطار الديني فقط هي بشكل جذاب يحوي نفس المادة بعد تبسيطها وتجميلها ، وتكررت التجربة في الهجرة ، حين روينا قصتها على حكى البراق القصة ، وهكذا كان كل عمل منها يلقى حفاوة أكبر من العمل الذي سبقه ، ولم يحدث خطأ واحد يحاسبوننا عليه ، بل كان الثناء عاطرا ومشجعا ، لذلك رحت أقدم على الكتابة الدينية بلا قلق ، ولا خوف ، وتوالت بالذات قصص السيرة النبوية ، بهذا الأسلوب ، وسألني كثيرون أن أضمها في كتاب واحد ، وعندما جمعتها ، وأعدت صياغتها جعلت عنوانها ، حياة محمد صلى الله عليه وسلم في عشرين قصة [١]، وهو من أهم الكتب وأشهرها للكاتب ، والموجهة للأشبال والناشئين ، وقد علق عليها وزير الأوقاف والشؤون الدينية بمصر ، عبد العزيز كامل ، بقوله لعبد التواب يوسف) أنت صنعت فتحا في كتابة السيرة للأطفال) ، وكتب له مقدمة الكتاب ، وكانت المفاجأة لهذا الكتاب أن وزارة التربية أشترت حق طبعه وتوزيعه على الأطفال بالمدارس وحقق ما يزيد على سبعة ملايين نسخة ، كما قدمته أغلب الشاشات العربية .

فسيرته صلى الله عليه وسلم كانت الفاتحة لعبد التواب ، وبعد ذلك كتب سيرة ذاتية للرسول صلى الله عليه وسلم كافة ما فيها من الأحاديث النبوية الشريفة ، وأطلق عليها (محمد صلى الله عليه وسلم عن حياته) ، ثم كتب خمسة عشر كتابا عن الرسول الإنسان وجعل عنوانه محمد خير بشر ، كما كتب طفولة النبي صلى الله عليه وسلم . وكان يحكي فيها عن الكنز ، وعن أول غارة جوية في التاريخ ، وعن مدارس الحياة التي التحق بها الرسول صلى الله عليه وسلم[٢] .

١. يوسف ، عبد التواب ، « تجربتي كاتبا للأطفال « الفيصل ،ص عدد ١٧١ ، أبريل ،١٩٩١ م .

٢. يوسف ، عبد التواب ،» تجربتي كاتبا للأطفال « ، الفيصل ، ص ٢٤ .

وكانت الميزة لعبد التواب في قصص السيرة ، الصياغة العصرية للقصص ، بحيث يستطيع الطفل أن يتتبعها في حياته ويلازمها ، حتى يصبح رجلا شديد الصلة بواقعه وبجذوره ، وحتى يتمكن من الدخول إلى هذا الواقع بخطوات وئيدة ثابتة ، فلا يفاجأ ولا يتردد ، وقد كان صحيح البخاري وصحيح مسلم ، رفيقين لعبد التواب على القديمة ، وعددا لا بأس به من كتب السيرة الحديثة ، ولكنه لم ينقل عنها جميعا إلا ما رأى عليه الإجماع وما قرت عليه النفوس .

فعبد التواب يوسف أعطى السيرة النبوية كثيرا من جهده واهتمامه ، عارضا حياة الرسول صلى الله عليه وسلم قدوة للإنسانية عامة ، وللأطفال خاصة .

وبنى كل هذا على دراسة لكتابة السيرة للأطفال شارك فيها الأزهر الشريف في مؤتمر السنة والسيرة الرابع فكتابات عبد التواب يوسف في هذا المجال وفي المجالات الإسلامية تعد من أفضل ما كتب للأطفال ، إذ استطاع أن يقدم أدبا دينيا عصريا عى أسس مدروسة ، ولقد رأى في شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم قدوة ومثالا رائعا يضعه أمام الأطفال [١]وقد علق على ذلك عبد العزيز كامل ، بقوله :(فقد جعل من كتابته معبرا بين السيرة والأجيال الجديدة من أبنائنا ، إنه يأخذ من العين الصافي ويضعه في أكواب صغيرة جميلة ، ويقدمها مع ابتسامة رقيقة حانية إلى أبنائئنا الصغار).

ونحن باهتمامنا بالسيرة النبوية ، وتركيزنا على التربية الروحية إلى جانب النفسية والجسدية والإجتماعية لأبنائنا ، نعمل على نجاحهم في حياتهم المستقبلية ، إننا بذلك نعد أطفالنا إعدادا جيدا يميزهم عن غيرهم من أبناء المجتمعات التي وصلت إلى ما وصلت إليه ، نتيجة تخليها عن الجانب الروحي في تربية أبنائها [٢].

وأخيرا أختم مبحث السيرة النبوية ، بمقوله قالها عبد التواب ، حينما سأله صديق ما هذا الفيض من كتاباتك عن الرسول صلى الله عليه وسلم ؟ فابتسم وردّ عليه : إنني أريده قدوة ، ومثلا أعلى لكل طفل عربي مسلم ، نريد أن نتأسى به ونمضي على طريقه [٣].

الخاتمة

مما سبق يبدو لنا أن أدب الطفل مصطلح حديث نشأ مع بدايات القرن السابع عشر الميلادي ، وقد شكّل فيما بعد جزءا لا يتجزأ من الأدب بمفهومه العام ، وأخذ في القرن العشرين مداه يتسع ويلتف حوله الكثير من الأدباء المتخصصين به . ونفهم عن تطور أدب الأطفال شيئا فشيئا في مصر ، فقد انطلق من خطوات بدائية ، وامتدت قامته بعض الإمتداد على يدي شوقي والكيلاني وعبد التواب يوسف وغيرهم من الرواد الأوائل . وكذلك سيرة النبوية من الأدب الأطفال لها دور مهم في تعميق القيم الإنسانية ، ودفع الأطفال للتطلع إلى الأمام ، والأخذ بزمام الفكر والوعي والمعرفة كما يوسع من أخيلتهم ومداركهم ، وينمي لديهم مهارات القراءة والكتابة ، ويزودهم بالثقافات المتعددة .

١. القلماوي ، سهير ، « عبد التواب يوسف وأدب الطفل العربي « عبد التواب يوسف وأدب الطفل العربي ،ص ٧٣ .
٢. سعيد ، محمود سعيد ، أساسيات في أدب الأطفال ، ص ٨٨ ، الرياض ،١٩٩٣ م
٣. يوسف ، عبد التواب ، كتب الأطفال في عالمنا المعاصر ،ص ١٣ ، القاهرة ،١٩٨٥م .

المصادروالمراجع

١. أبو مغلي ، سميح وآخرون ، دراسات في أدب الأطفال ، دار الفكر ، ط ٢ ، ١٩٩٣

٢. يوسف ، عبد التواب ،»السيرة النبوية تقريبها وتبسيطها للأطفال والناشئة « ، فصول في أدب الطفل المسلم ، ص ١٩٧-٢٠١ .

٣. يوسف ، عبد التواب ،» السيرة النبوية تقريبها وتبسيطها للأطفال والنشئة « فصول في أدب الطفل المسلم ص ١٩٥ ، ط ١ ،جدة ١٩٩٢ هـ .

٤. الهيتي ، هادي نعمان ، أدب الأدب الأطفال (فلسفته ، فنونه ، وسائطه) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، د.ط ، ١٩٨٦ م .

٥. المعلم ، أحمد ، أدب الأطفال في الأردن ، منشورات وزارة الثقافة والفنون ، ١٩٨٣ م .

٦. القلماوي ، سهير ، « عبد التواب يوسف وأدب الطفل العربي « عبد التواب يوسف وأدب الطفل العربي.

٧. يوسف ، عبد التواب ، كتب الأطفال في عالمنا المعاصر ، القاهرة ،١٩٨٥م .

٨. يوسف ، عبد التواب ، « تجربتي كاتبا للأطفال « الفيصل ، أبريل ،١٩٩١ م .

أدب الرحلة في الأندلس: رحلة ابن جبير أنموذجا

السيد/ محمد أزهر سي.أتش[١]

الملخص

هذه مقالة بحثية بسيطية عن أدب الرحلة في الأندلس خاصة قائمةعلى رحلات إبن جبير الأندلسي.تدور هذا البحث عن تطورات أدب الرحلة في العالم العربي عامة, وفي الأندلس خاصة.تنقسم البحث إلي ثلاثة عناوين علىالأساس,الأول تدور على مفهوم أدب الرحلة وتطوراتها بمر العصور, والثاني منها تدور حول المؤثرات والبيئة لنشأة أدب الرحلة وترقيتها كفنا مستقلا في الأندلسوبم ترعرعت هذهبالأندلس ضد الشرق فقط, والأخير منها تناقش حول الرحلات إبن جبير الأندلسي وتصويراته في كتب الأدب وكيف أصبحت رحلاته النقطةالتحولية في كتابات أدباء الرحاليين الأخرى.

أدب الرحلة في الأدب العربي:

في ثقافتنا العربية نجد من الحكايات الأدبية المختلفة...أدب الرحلة نوع من الأدب الذي يصور فيه الكاتب ما جرى له من أحداث وما صادفه من أمور أثناء رحلةقام بها لأحد البلدان, وتعد كتب الرحلاتمن أهم المصادر الجغرافية والتاريخية والاجتماعية، لأن الكاتب يستقي المعلومات والحقائق من المشاهدة الحية، والتصوير المباشر، مما يجعل قراءتها غنية، ممتعة ومسلية. عد كبير من الروايات والقصص يمكن أن يندرج بصورة ما تحت مسمى أدب الرحلات، فهذا المسمى الواسع كما نرى قادر على استيعاب أعمال ابن بطوطةوماركو بولووتشارلز داروينوأندريه جيدوأرنست همنجوايونجيب محفوظ، رغم التباين الكبير فيما بينهم؛ لأن الفكرة التي تجمعهم هي فكرة الرحلة نفسها، رحلة الزمانية والمكانية. نشط أدب الرحلات أساسا على أيدي الجغرافيين والمستكشفين الذين اهتموا بتسجيل كل ما تقع عليهعيونهم أو يصل إلى آذانهم حتى لو كان خارج نطاق المعقول، ويدخل في باب الخرافة,وبالإضافة إلى تسجيل رحلات الرحالة، هناك نوع آخر من أدب الرحلات هو القصص الخيالية الشعبية مثل: سندباد,الذي يعد رمزا للرحالة المدمن للرحلة، والقصص الأدبية مثل: قصة ابن طفيلعنحي بن يقظان، ورسالة الغفرانلأبى العلاء المعربوالملاحم الشعرية والأدبية الكبرى في تاريخ الإنسانية تعد كذلك منأدب الرحلات، مثل "ملحمةالأوديساالإغريقية""وملحمة جلجامشالبابلية "وملحمة "أبو زيد الهلاليالعربية" وغيرها؛لأن هذه الملاحم تنبني في جوهرها على حكاية رحلة يقوم بها البطل لتحقيق هدف معين، وقد تنبني تلك الرحلات الأسطورية على بعض الوقائع التاريخية أو الشخصيات الحقيقية في عصر ما، ثم يترك الشاعر لخياله العنان ليخلق الملحمة التي هي خلاصة رؤية المجتمع لقضاياه الكبرى في مرحلة زمنية معينة.

عرف العرب أدب الرحلات منذ القدم، وكانت عنايتهم به عظيمة في سائر العصور, ولعل من أقدم نماذجه الذاتية، رحلة السيرافيبحرا إلى المحيط الهنديفي القرن الثالث الهجري، ورحلة سلام الترجمانإلى حصون جبال القوقازعام ٢٢٧هـ، بتكليف من الخليفةالعباسيالواثق، للبحث عن سد يأجوج ومأجوج، وقد روى الجغرافي ابن خردإذبه «٢٧٢ هـ أخبار هذه الرحلة. ثم تأتي رحلات كل من المسعوديمؤلف «مروج الذهب» والمقدسي صاحب

١ . أستاذ مساعد، كلية أنوار الإسلام العربية، كونيل

«أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم» والإدريسيالأندلسي في «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق» هذا إلى رحلة الرحالة المؤرخ عبد اللطيف البغدادي.وتأتي رحلة البيروني ٤٤٠هـ، المسماة «تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة» نموذجا فذا مخالفا لكل ما سلف، إذ تعد وثيقة تاريخية هامة تجاوزت الدراسة الجغرافية والتاريخية إلى دراسة ثقافات مجتمعات الهندقديما، ممثلة في لغاتها وعقائدها، وعاداتها، مع عناية خاصة باللغة السنسكريتية، وهي لغة الهند القديمة إذ يتناولها البيروني بالتحليل ويقارن بينها وبين اللغة العربيةعلى نحو جديد. قد أعانه على ذلك إتقانه اللغة السنسكريتية، وثقافته الواسعة، وميله إلى التحقيق والدقة فضلا عن إقامته الطويلة بالهند، حيث قاربت الأربعين عاما.كان البيروني قد دخلها برفقة السلطان محمد الغزنوي عند فتحه الهند، ثم انطلق سائحا متأملا .النموذج الثاني في أدب الرحلات يمثله ابن بطوطةوهو أعظم رحالة المسلمين، وقد بدأت رحلته عام ٧٢٥همن طنجةبالمغربإلى مكة المكرمة، وظل زهاء تسع وعشرين سنة يرحل من بلد إلى بلد، ثم عاد في النهاية ليملي مشاهداته وذكرياته على أديب كاتب يدعى: محمد بن جزي الكلبي بتكليف من سلطان المغرب وسمى ابن بطوطة رحلته تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفاروروى ابن بطوطة مشاهداته لبلدان إفريقية وكان هو أول مكتشف لها، كما صور الكثير من العادات في مجتمعات الهند بعد ثلاثة قرون من الفتحالإسلامي لها, والرحلة في عمومها صورة شاملة دقيقة للعالم الإسلامي خلال القرن الثامن الهجري، وإبراز لجوانب مشرقة للحضارة الإسلامية والإخاء الإسلامي بين شعوبه بما لا نجده في المصادر التاريخية التقليدية. هناك في أدب الرحلات في القرن الثامن الهجري" كتاب خطرة الطيف فيرحلة الشتاء والصيف"لأديب غرناطة الشهير:لسان الدين بن الخطيب، وكذلك" نفاضة الجراب" في علالة الاغتراب الذي وصف فيه مشاهداته في بلاد المغربخلال نفيه إليها وهو في ثلاثة أجزاء, هذا بالإضافة إلى كتاب ابن خلدونالتعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا وهو مزيج من السيرة الذاتية وأدب الرحلات مكتوب بلغة سلسة مع وصف دقيق لرحلته إلى كل من بلاد الأندلسيين أقام فيها ضيفا على ملك غرناطة من بني الأحمر وإشبيلية حين أوفده الملك في سفارة إلى حاكمها المسيحي ثم مصرالتي أقام فيها قرابة ربع قرن متقلِّبا بين مناصب التدريس والقضاء.أصبح أدب الرحلات شكلا فنيا داخلا في الأدب، وليس دراسة تاريخية وجغرافية حية كما كان من قبل ومن نماذجه في القرن التاسع عشر»تخليص الإبريز في تلخيص باريز»لرفاعة رافع الطهطاوي الذي رافق البعثة التي أرسلها محمد عليللدراسة في فرنسا ليكون واعظا وإماما وتصور رحلة الطهطاوي انهاره بمظاهر النهضة الأوروبية مع نقد لبعض عوائدهم في أسلوب أدبي, وأحمد فارس الشدياقمشهور بكتابه «الواسطة في أحوال مالطة» وقد وصف صنوفا من العادات والتقاليد وبخاصة النساء المالطياوحسين فوزيأديب مصري ورحلته التي سماها «السندباد العصري»ومحمد بن ناصر العبودي: الأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي, أتاح له عمله في الرابطة زيارة معظم أصقاع العالم، فكان لمشاهداته العديدة وإطلاعاته أن تثمر أكثر من مائة وستين كتابا في أدب الرحلات.

أدب الرحلة العربي الأندلسي:المؤثرات والبيئة:

تقع بلاد الأندلس في الجنوب الغربي من أوربا[١]، ويحدها من الغرب المحيط الأطلسي, ومن الجنوب مضيق جبل طارق وجزء من البحر المتوسط الذي يكتنفها ممتدا إلى شرقها، أما في الشمال فتحدها فرنسا التي كان يطلق عليها العرب بلاد الفرنجة. وكثيرا ما يطلق على الأندلس اسم"جزيرة الأندلس" والواقع أنها شبه جزيرة[٢] لا جزيرة وإنما سميت جزيرة بالتغليب كما سميت جزيرة العرب بذلك,وقد نطق على الألسن استعمال كلمة

١. الأدب العربي الأندلسي لعبد العزيز عتيق

٢. :أرض تحيط بها المياه من جميع الجهات وسبميت بذالك لإنقطاعها عن معظم الأرض مثل المغرب والأندلس

الأندلس معرفة بالألف واللام غير أن البعض يستعملونها مجردة من أداة التعريف وبخاصة في الشعر،ومن ذلك قديما:

«سألت القوم عن أنس فقالوا :بأندلس، وأندلسٌ بعيد»

أما سبب تسمية الأندلس بهذا الاسم فلكي نعرفه علينا أن نقف أولا أمام هذه الكلمة لنسألهل عرف العرب هذا الاسم الأعجمي قبل الإسلام؟ والواقع أن العرب لم يعرفوه إلا في الإسلام حين أطلقوه على شبه جزيرة إيبيريا بعد فتحها, حيث سمى العرب جميع البلدان الإسبانية التي فتحوها باسم الأندلس وليس من السهل شرح هذه التسمية ولكن يمكن تقريبها من اسم جماعات الفنداليين الذين هاجموا أسبانيا ومروا بها مهاجرين إلى أفريقيا الشمالية في بدأ القرن الخامس الميلادي,إذ يقال إن هؤلاء الفنداليين عند قطعهم مضيق جبل طارق سمي المرفأ[١] الذي أبحروا منه باسمهم وقيل له"فَنْدَلس" وقد بقي هذا المرفأ على اسمه حتى جاء المسلمون فجعلوه شاملا لجميع البلدان التي احتلوها بعد أن حرفوه وجعلوه أندلس.نشط التأليف في فن الرحلةوتسجيل وقائع تلك الرحلات ومجرياتها في عصور الأدب العربي المختلفة ولفتت الرحلات الأندلسية النظر لبعد بلادهم عن الشرق، ووجود عنصر المخاطرة والمغامرة في خط سير الرحلة برا وبحرا ولمزج بعض الرحالة بين عناصر الرحلة،ولقاء العلماء، وتسجيل بعض الوقائع الثقافية والحضارية ومما أثر في نشاط الرحلة:السعي الحثيث من أنحاء الأرض لأداء فريضة الحج، وقصد المسجد النبوي والمسجد الأقصى,والإغراب في الأرض مع جيوش الفتح,والرحلة في طلب الحديث، والعلوم المختلفة، ولقاء العلماء والأخذ عنهم, وروح المغامرة، وعقلية البحث والكشف والاستقصاء. نشطت العلوم والثقافات والفنون خاصة الرحلات في الأندلس نشاطا كبيرا لا حد لها كان لرحاليون وسائلهم الخاصة في اكتساب العلم وتأسيسحركتهم في بلادهم, ولعل أهم الوسائل التي استخدموها في ذلك هي الوسائل التالية:

تتمثل في دعوة بعض علماء المشرق إلى الأندلس ليفيد أهله من علمهموأدبهم، ومن ذلك على سبيل المثال رحيل أبي علي القالي صاحب كتاب «الأمالي» من بغداد إلى الأندلس بدعوة من الخليفة عبدالرحمن الناصر، حيث لقي عنده كل إكرام واختص بابنه الحكم المستنصر، وأورث أهل الأندلس علمه[٢]. كان أبو علي القالي إماما في اللغة حافظا لأشعار العرب فنشر ما شاء الله أن ينشر من علمه في الأندلس وأخذ يروي مختارات من الأدب حيثما اتفق، ثم يشرح ما يحتاج إلى الشرح نظما ونثرا. من ذلك أيضا أبو العلاء صاعد بن الحسن البغداديعالم اللغة والأدب والأخبار، فقد رحل إلى الأندلس في ولاية المنصور بن أبي عامر، ونال عنده كل حظوة وجمع له كتابا سماه «الفصوص» نحا فيه منحى القالي في أماليه وكان نبوغه ومهارته يتجليان في حسن بديهته الأدبية، ورواياته الشعرية, وانتشرا علم أبي علي القالي وأبي العلاءصاعد بين تلاميذهما، ومن تلاميذهما إلى تلاميذهموهكذا وكان من أوائل واضعي أساس الثقافة المشرقية بالأندلس في اللغة والأدب, ثم نشأت طائفة من أهل الأندلس تؤلف كما ألف ومن هذه الطائفة أبو عمر أحمد بن عبد ربه صاحب كتاب «العقد الفريد « فقد اختار في كتابه زبدة أدب المشارقة واعتمد على كتبهم ولا سيما كتاب «عيون الأخيار»لابن قتيبة وكان قصده من وراء تأليف كتابه القعد أن ينقل إلى الأندلسيين أدب المشارقة.

تتمثل في رحيل بعض الأندلسيين إلى المشرق، ممن ندبوا أنفسهم لتحصيل علم من علوم المشارقة والتبحرفيه

١. :البندر،ميناء

٢. نفخ الطيب :ج١ ص ٣٦٢

ثم العودة إلى الأندلس لنشر ذلك العلم بين أهله, خير مثال على ذلك يحيى بن يحيى الليثي فقد رحل إلى المدينة وتتلمذ للإمام مالك وأخذ عنه كتابه المسمّى» موطأ مالك « كما سافر إلى مصر وأخذ من أكابر علمائها ثم عاد ونشر علمه بين أهل الأندلس[١], ومثل يحيى الليثي كثير من أهل الأندلس الذين رحلوا إلى الشرق في طلب العلم وقد أورد المقري في كتابه «نفح الطيب» تراجم كثيرة لمن إرتحلوا إلى الشرق للعلم. قد بلغ من إقبالهم على ذلك أن كان الرجل يعاب بأنه لم يرحل إلى الشرق ومن هؤلاء جميعا ظهرت بعد ذلك طبقة من الأندلسيين يتقنون العلم ويحملون عبء نشره في كل فرع من فروع العلم .تتمثل في أمراء الأمويين وخلفائهم في الأندلس ثم فيمن تلاهم من ملوك الطوائف والمرابطين والموحدين وبنو الأحمر فأغلب هؤلاء لم يكن منهم إلا من هو أديب أو شاعر أو عالم، وهذا يعني أنهم لم يقفوا بمعزل عن الحركة العلمية والأدبية والفنية في الأندلس، بل على العكس نراهم يزجون بأنفسهم في هذه الحركة، ويكونون من فرسان حلبتها ويثرونها بالكثير من نتاج عقولهم وقرائحهم وما من شك في أن موقفهم الإيجابي هذا ممثلا في نتاجهم العقلي قد رفع من شأن الأدب والعلم في أعين الناس وشجع منهم ذوي الطموح والمواهب على الاشتغال بهماوالتنافس في الإبداع والابتكار إنشاء أو تأليفا مما أكسب الحركة الأدبية والعلمية في الأندلس أبعاد جديدة وأخذ بيدها صعدا على طريق النمو والازدهار...هذا من ناحية, ومن ناحية أخرى كان هؤلاء الملوك هم رعاة الحركة الأدبية والعلمية بالأندلس في كل طور من أطوارها, فهم يتخذون حجابهم ووزراءهم وكتابهم من مشاهيرالأدباء، وفي ذلك ميدان جديد للتنافس بين أدباء كل عصر في نيل حظوة الملوك والتقرب إليهم بالأدب أو العلم فمن لا تحدثه نفسه منهم بأن يكون يوما وزير ملك أو كاتبا لملك؟ وهم بالإضافة إلى ذلك يعرفون كأدباء وعلماء فضل الأدب والعلم، ومن أجل ذلك كانوا حريصين على تشجيع طوائف العلماء والأدباء والشعراء بالعطاء الجم والاستماع إليهم في مجالسهم الأدبية وكان منشأن هذا التشجيع أن يزيد من حماسهم، وأن يغريهم بالإجادة والإبداع والتفنن في كل ما ينشئون من نثرا وشعرا وكل ما يؤلفون في شتى فروع العلم والمعرفة. هكذا وبكل هذه الوسائل نمت آداب الأندلس وتطورت حتى بلغت ذروة كمالها ثم بفنونها وألوانها وطابعها المشرق البهيج أضافت إلى أدبنا العربي تراثا نفيسا يعتز به كل الاعتزاز.

رحلات ابن جبير الأندلسي:

كان أول ما شاهده ابن جبير هو عملية التفتيش في الميناء حيث طلع موظفون على مركب صغيرة فيعرض البحر وفتشوا السفينة الجنوية قبل دخولها الميناء وسجلوا أسماء الركاب وهدف الرحلة والسلع والبضائع وقد آلمه سوء معاملة الموظفين للحجاج المسلمين, ثم طاف بالمدينة وزار آثارها الرومانية والبطلمية وشاهد مساجدها العريقة، وعرض وصفا جميلا للخطيب في صلاة الجمعة. كما شاهد دخول أسرى من الفرنج من أسرى الحملة الصليبية التي قام بها أرناط صاحب الكرك لغزو البحر الاحمر وقد فشلت وتصدى له صلاح الدين الايوبي, ثم رحل إلى القاهرة في يوم ٨ ذو الحجة وزار مسجد الحسين ومسجد الشافعي والقرافة والمدرسة الناصرية والتقى بشيوخ وعلماء وتحدث عن صلاح الدين وعن بعض الرجال الذين اسسوا الدولة الايوبية، وشاهد قلعة الجبل ولم يكن اكتمل بنائها بعد، كما عاين سور القاهرة والخندف والقناطر التي بناها صلاح الدين، وزارأيضا أهرام الجيزة الثلاثة ووصفها، كما وصف مارستان أحمد بن طولون مستشفى بين القاهرة ومصر ومصر القديمة وكان جامع بن طولون قد تحول إلى مأوى للغرباء من أهل المغرب حيث يعقدون فيه الدرس ويسكنون به.

ثم أكمل سفره إلى الصعيد وشاهد المدن الواقعة على النيل وخاصة مدينة قوص التي كانت مقصد التجار

١. نفح الطيب ج٢ ص ٢١٧

والمسافرين والحجاج من مصر والمغرب واليمن والهند والحبشة، ثم اتجه إلى عيذاب على البحر الاحمر عبر الصحراء وهو طريق التجارة الدولية في الفلفل والبهار، ثم اتجه إلى جدة ووصف السفن المخصصة لنقل الحجاج ثم تركها في يوم ١١ربيع الآخر ٩٥٧هـ قاصدا مكة فوصلها بعد ثلاثة ايام وأدى مناسك العمرة، ويتخلل وصفه للمدينة عن أهل الحجاز انهم يهتمون بشدة بموسم الحجاج، ثم رحل إلى المدينة واكمل حجته بزيارة المسجد النبوى ثم اتجه في طريق إلى العراق وخراسان وكردستان والشام ووصف عادات وتقاليد السكان في الممالك الصليبية في عكا وصور وغيرها ورأى بنفسه التعاون والتبادل اتجارى المشترك بين المسلمين والفرنج.

ويقال أنه سافر ثلاث مرات في حياته إلى الشرق ثم استقر بمصر وتوفى بالإسكندرية في شهر شعبان ٦١٤هـ وهكذا جاءت رحلته بمثابة مدونة وافية لجميع ما شاهده وصفحة واضحة لبعض تاريخ البلاد الإسلامية والمسيحية التي مربها وقاموسا لمصطلح عصره في بناء السفن والملاحة البحرية وثبتا بأسماء البارزين من علماء المسلمين وملوكهم في اواخر القرن السادس الهجرى القرن الحادى عشر الميلادى.

الخاتمة:

فى النهاية لابد وأن نعترف أن أدب الرحلات سيظل شاهدا معرفيا وأخلاقيا على عصور فى حياة البشرية يرصد فيها الرحالة عادات الشعوب وقيمها، ويحدد جغرافيتها ودروبها، فهو أحد فنون التاريخ التى تمكننا من التعرف على الآخر وتراثه وتاريخه، كما تمكننا من معرفة أصولنا، وتاريخنا.

المصادروالمراجع:

١. ألأستاد الدكتور فوزي عيسي «الأدب ألأندلسي النثر- الشعر الموشحات», كلية الأدابجامعة الإسكندرية,:دار المعرفة الجامعة,الطبعة الأولى,٢٠٠٥.

٢. منجد مصطفى بهجت»أدب ألأندلسي من الفتح إلي سقوط غرناطة»الموصل,مديرية دار الكتب للطباعة والنشر, الطبعة الثالثة,١٩٩٨.

٣. الدكتور محمد رضوان الداية «الأدب الأندلسي» بيرت-دمشق دار الفكر,٢٠٠٠.

٤. الدكتور شوقي ضيف «الدول والإمارات الأندلس»القاهرة,دار المعارف,الطبعةالأولى١٩٨٩,الجزءالثامن

٥. ويكبيديا

٦. https://www.marefa.org/

السّيرة في التّراث العربي فنّا وتاريخا

السيد/ عثمان. م. ك[١]

الدكتور/ سيد علوي[٢]

الملخص

إن ظهور السيرة عند المسلمين في القرن الثاني للهجرة كان منعطفا في تاريخ بداية تدوين علم التاريخ أيضا. بدأت كترجمة لحياة الرسول صلعم, متضمنة بجميع نواحيها الفردية والأسرية والاجتماعية والأخلاقية. ونشأت ونمت في حضن التاريخ حتى أصبحت فنا مستقلا. وفي البداية إتسمت بعنصرها التاريخي ثم تحولت إلى غايات أخري في مختلف المراحل التاريخية. وهكذا احتلت السير والتراجم مكانا مرموقا في تاريخ العرب. ومن أهم السمات المميّزة عند العرب أنه كان لديهم الاحساس بالتاريخ منذ أن كانو في الجاهلية, وعزّز فيهم القران الكريم هذاالاحساس بالتاريخ من خلال سردقصص الأمم الماضية, كما كان لديهم عباقر الأدباء وعمالقة الشعراء. ويلاحظ أن السيرة التاريخية كانت تمثل أقوى عندهم, وأما السيرة في طابعها الفنّي, فقد بقيت ناقصة لمتعالجها الأقلام.

(الكلمات المفتاحية: سيرة, تراث)

إن «السيرة» هي مصطلح وجد وتوسع واحتل مكانة مرموقة في التاريخ فيما يتعلق بحياة النبي صلعم برمتها. ورغم أن هذه الكلمة في صيغها المختلفة وردت في النصوص الإسلامية والأشعار الجاهلية, أستعملت على مر العصور لمصطلحات تدل على مفاهيم مختلفة. وجعلت تستخدم أولا فيعصرصدرالإسلام لمفهوم خاص مختلف عما دلت عليها من قبل. يريد الباحث في هذا المقال أن يسلط الضوء على هذا الجنس الأدبي وفنيته وعلاقته بالتاريخ.

مفهوم السيرة لغة واصطلاحا

تعني كلمة السيرة بالسنة والطريقة والهيئة وذكرت هذه الكلمة في نفس الصيغة في القرآن الكريم في سورة طه «سنعيدها سيرتها الأولى»[٣] دالّة على الحالة التي كان عليها الإنسان من قبل. وأماّ في الإصطلاح فهي في معنى أوسع قصة حياة إنسان ما. وجاء في المعجم الأدبي تعريف للسيرة بأنها «بحث يعرض فيه الكاتب حياة أحد المشاهير, فيسرد في صفحاته مراحل حياة صاحب السيرة أو الترجمة, ويفصل المنجزات التي حققها وأدّت إلى شيوع شهرته وأهّلته لأن يكون موضوع دراسة»[٤] وحسب تعريف آخر أنها «وفن السيرة هو نوع من الأدب يجمع بين

---

١. الأستاذ المساعد, الكلية الحكومية, كودانجيري, كاليكوت, وباحث, قسم الماجيستير للبحوث والدراسات العربية, كلية الفاروق, كاليكوت, كيرالا

٢. العميد السابق، كلية النساء الاتحادية، مانجيري، ملابرم

٣. سورة طه:٢١

٤ . عبد النور, جبور: المعجم الأدبي, دار العلم للملايين, بيروت, ط ٢, ١٩٨٤, ص ١٤٣.

التحرّي التاريخي والإمتاع القصصي, يراد به درس حياة فرد من الأفراد ورسم صورة دقيقة لشخصيته» [١]

وفيما يخص بالنبي صلعم فهي مجموع ما وقع في حياة النبي صلى الله عليه وسلم من حياة فردية وأسرية واجتماعية. وهي «حياة الرسول مستقاة من الكتاب والسنة ومن أحاديث الصحابة والتابعين, ومتضمنة جوانب من حداثته وفتوته, وتلقيه الوحي, وقيامه بنشر رسالته وحروبه, وأقواله وأعماله وأخلاقه» [٢] ويجدرهنادراسةحول أهميةالسيرةومكانتهاالرفيعة - سواءكانتنبويةأوسيرةموضوعية - منالناحيتيالتاريخيةوالفنية.

السيرة النبوية

أما السيرة النبوية فهي تعتبر أقدم الأشكال وصورة مبكرة للسّيرة والتاريخ والسيرة الذاتية التي إحتلت مكانة غير مسبوقة من الأنواع الأدبية الأخرى فيعصرناالراهن. «وقداتخذالتاريخللفردصورامختلفةلدىالعرب, وكانتالسيرةأولهذهالصور, وقصدبهاحياةالرسولالكريمةومغازيه» [٣]. ويمكن أن نقول أن ظهور السيرة أهم مرحلة من مراحل تطور الفكر عند العرب وتاريخ تدوينه, لأنها نشأت ونمت في حضن التاريخ. ويعد ظهور السيرة النبوية أول شعاع في تاريخ تدوين علم التاريخ عند العرب» فقد كانت كتابة السيرة النبوية أول عمل من أعمال التدوين التاريخي يقوم به العرب, حين مست الحاجة إلى معرفة سيرة الرسول العربي وحياته استقصاء للسنة فحملت رجالا توفرو على جمع أخبارها وتدوينها وكان ذلك بداية اشتغال العرب بالتاريخ, واحتلت السير والتراجم مكانا مرموقا في تاريخ العرب» [٤].

أما تجارب العرب فيما يخص بالتاريخ حتى ذلك الوقت فهي كانتالأخبار والأنساب وأيام العرب الشائعة بينهم. فجل هذه كانت شفوية انتقلت من جيل إلى جيل آخر عن طريق الألسن. فتقاليد العرب القائمة على الأخبار والأيام التي تضم الجوانب التاريخية, تحولت إلى مرحلة أخرى من حياة العرب الفكرية حين تقدم القرأن بتاريخ الأمم السابقة -ولولميكنالمقصودغايةتاريخية-بقصد اهتداء الناس بالعبر والدروس الواردة منها. فهذا الأسلوب القرآني غرس في قلوب مخاطبيه الاحساس بالتاريخ أيضا. فيمكن القول أن نرى أن هذين الإتجاهين- الاتجاه الجاهلي والاتجاه الاسلامي - قد أثرّا في ظهور علم التاريخ المدون. ويلاحظ الدكتور عبد العزيز الدوري في هذه الناحية إذ يقول «أن بدايات علم التاريخ عند العرب سارت في إتجاهين أساسيين – الإتجاه الإسلامي, أو الإتجاه الذي ظهر عند أهل الحديث, والإتجاه القبلى, أو الإتجاه «الأيام». وهذان الإتجاهان يعكسان التيارين الكبيرين في مجتمع صدر الإسلام, التيار القبلي الذي يمثل استمرار التراث القبلي, التيار الإسلامي الذي يتمثل في المبادئ والفعاليات الإسلامية» [٥]

إن سيرة ابن اسحق فهي التي تعد أولى من هذا القبيل ومصدر معتمد, والتي ظهرت في القرن الثاني للهجرة. ولكنها لمتصل إلى الضوء إلا بعد تنقيحها وتصحيحها على يد ابن هشام, أحد طلبة له, فعرف هذا الكتاب بسيرة ابن هشام فيما بعد. ثم توالت عدد من الكتب في السيرة النبوية في مختلف أمصار العالم حيث لا يمكن إحصاءها بأصابيع اليد ولا يزال هذا التيار حتى في عصرنا الرّاهن دون انقطاع.

١. المصد ر نفسه, ص ١٤٣.
٢. المصدر نفسه, ص ١٤٣.
٣. عبدالدايم, يحيى. الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث, دار إحياء التراث العربي , للبنان, ص: ٣٠
٤. النجار, حسن الفوزي: التراخ والسير, الدار المصرية للتأليف والترجمة, مصر, ١٩٦٤. ص ٣١
٥. الدوري, عبد العزيز, نشأة علم التاريخ عند العرب,مركز زايد للتراث والتاريخ,الإمارات العربية المتحدة, ٢٠٠٠ ,ص ٢٢

السيرة العامة

وعلى مر السنين بدأت كلمة «السيرة» تستعمل لكتب ترجمة حياة الآخرين من كبار العلماء والسلاطين العظماء بعد أن كانت مصطلحا خاصا بحياة النبي صلعم. وعلىمرالعصور, بدأت تستعمل كلمة السيرة لترجمةحياةالآخرين من الصحابة والشعراء والأمراء والسلاطين وذوي الشهرة في المجتمع « فظهرت تراجم أخرى لطبقات من الرجال تتفقفيلون واحد من العلم أوالفنّ أوالصناعة, كطبقاتالصناعةوطبقاتالمفسرينوطبقاتالشعراءوطبقاتالنحاةوغيرهم» [١] ويقال أن أول كتاب معنون من هذه الناحية هو سيرة ابن طولون لأحمد بن يوسف» ولم يمنع مؤلفا في أواخر القرن الثالث الهجري هو أحمد بن يوسف بن الداية –الكاتب المصري – أن يؤلف كتابا في سيرة أحمد ابن طولون . ولعل هذه هي أول مرة ينتقل فيها استعمال لفظة السيرة من سيرة النبي إلى سيرة غيره من الرجال»[٢].

فالأمر الملحوظ هنا أن الأمة الإسلامية العربية قد سبقت أوربا في تدوين التراجم والسير بتنوعها وعددها. وذلك باالإحساس القوي بالتاريخ عند العرب الذي غرسه القرآن فيهم عند ما يشير إلى قصص الأمم السابقين, «وظلت أوربا عقيما في كتابة التراجم منذ عصور الظلام التي خيمت عليها في القرن الوسطى. على حين أخذ التاريخ الإسلامي يأخذ مكانه في الوجود, كما أخذ الإسلام – دين العرب وغير العرب – يظهر في كل أرض استظلت بلواء الإسلام. وأخذت التراجم تظهر منذ القرن الثاني للهجرة. ثم أخذت على توالى العصور تكثر أنواعها, ويتضخم عددها. حتى بلغت من الكثرة في التراث العربي حدا لم تبلغه في أي تراث لأمة أخرى معروفة التاريخ في القديم والحديث»[٣].

فن أم تاريخ ؟

وقد سبق القول أن بداية علم التاريخ المدوّن عند العرب فهو بظهور السيرة النبوية في القرن الثاني للهجرة. وذلك كانت نتيجة لتطلبات دينية وتأثرات خارجية أخرى. وحتى أنّ العلم المعروف بالتاريخ العام فهو كان قصة فرد من الأفراد ذوي الشهرة في المجتمع, ليس في المجتمع العرب, بل في معظم الأمم السابقة. وكان للعرب تراث عريق ونصيب وافر في تطور علم التاريخ «للعرب في هذا الميدان نصيب وافر, ويذهب بعض النقاد أن فكرة التاريخ عندهم تمثلت فكرة السيرة قرونا عديدة»[٤]

وهل السيرة فن من فنون الأدب؟ أو وثيقة تاريخية ؟ وما هي السمات المميزة التي تخص بهما؟. فهناك أوجه التشابه بينهما من ناحية, لأن كليهما يعالجان مواضيع تتعلق بحياة الإنسان, وكذلك أوجه الإختلاف من ناحية أخرى لأنهما أنواع مستقلة تندرج في إطارات خاصة بما فيهما من ملامح وخصوصيات. وإذا راجعنا الكتب التاريخية المبكرة فنرى انها هي مجرد سيرة من سير الحكام والأمراء والشخصيات ذات الأهمية « وكثيرا ما تأتي الترجمة مع التاريخ موازية له في النشأة, لأنها في الحق نوع من التاريخ للرجال على نسق معين» [٥]وهذه الظاهرة صريحة واضحة فيما يخص العرب والأمم السابقة مثل اليونان.

---

١. شرف, عبدالعزيز: أدبالسيرةالذاتية, مكتبةلبنان, مصر, ط1, 1992, ص 48.

٢ . عبدد الغني حسن, محمد: التراجم والسير, دار المعارف, القاهرة, -ط٣ , ص ٢٨.

٣. نفس المصدر , ص ١١

٤. شرف, عبد العزيز: أدب السيرة الذاتية, مكتبة لبنان, مصر, ط١, ١٩٩٢, ص ٢٨.

٥. عبدد الغني حسن, محمد: التراجم والسير, دار المعارف, القاهرة, ط٣, ص ١٠.

هل السيرة يمكن إعتبارها تاريخا ؟ يستشهد الدكتور إحسان عباس عن رأي الأستاذ كولنجوود[١] وأنه ينكر اعتبارها تاريخا إذ يقول «لأنها تفقد القاعدة الصحيحة التي يقوم التاريخ عليها, فحدوث السيرة هي الأحداث البيولوجية الواقعة بين ولادة شخص وموته, من طفولة ونضج وأمراض وغيرها, فهي صورة للوجود الحيواني الجسماني, وقد يرتبط بها كثير من العواطف الإنسانية, ولكن كله ليس هذا تاريخا»[٢]

ولا غرو أن يكون هناك نقاش حاد عند العلماء حول تاريخية السيرة وفنيتها لأن كل فرد جزء لايتجزأ من المجتمع الإنساني, فمن الطبيعية أن تكون للأحداث التي تقع في حياة الإنسان اتصال وثيق بالآخرين. وعندما نتفكر من هذه الناحية, فإن الإشكالية حول الفارق الرئيسي الذي يميز بين التاريخ والسيرة مهمة للغاية. متى تحقق السيرة غاية تاريخية ومتى تفي غاية فنية ؟. فالعنصر التاريخي في السيرة حقيقة لاتنكر, ولكنها لا تأتي في الطيف الأدبي إلاّ أن يتم فيها العنصر الأدبي، فهذا هو الذي يثير في القرّاء التعاطف الوجداني. وكل سيرة تتفاوت فيها هذه العناصر من سيرة إلى أخرى, ضعيفةً كانت أوقويةً, «كلما كانت السيرة تعرض للفرد في نطاق المجتمع, وتعرض أعماله متصلة بالأحداث العامة أو منعكسة منها أو متأثرة بها, فإن السيرة- في هذا الوضع – تحقق غاية تاريخية, وكلما كانت السيرة تجتزئ بالفرد, وتفصله عن مجتمعه, وتجعله الحقيقة الوحيدة الكبرى, وتنظر إلى كل ما يصدر عنه نظرة مستقلة, فإن صلتها بالتاريخ تكون واهية ضعيفة»[٣]

أما بالنسبة فنية السيرة فإن كل فن أن يكون له بناء معين وهيكل. فهذا البناء هو الذي يحكم هل هو فن أم تاريخ. وليست السيرة بمفهومها الفنّي, مجرد سلسلة من الأحداث والأخبار التاريخية, ولكنها قصة حقيقة لفرد من الأفراد التي بنيت في قالب فني حيث تنعكس حياة الفرد العاطفية ملفوف بثوب بلاغي. «فهي ليست مجرد أخبار تاريخية ولا هي مجرد تحليلات نفسية أو إجتماعية,بل هي كل ذلك مسبوقا في قالب فني ذي طلاوة ورواء..لكلمة واحدة قصة صادقة ذات أثر»[٤]

ومن الضروري أن كل قصة حياة للأشخاص أن تكون لها طبيعة روائية لاعتبارها قطعة فنية. فهناك فرق بين الحياة الحقيقية والسرد عنها, لأن السارد يحوّل قصة حياة حقيقية إلى بعض الحروف المنظّمة أمام القراء الذين لهم تجارب أخرى يخص بهم. وليست كل كلمة مجموعة من الحروف الجامدة, بل هي تعبير عنفكرةذاتمغزى, فيلزم أن تلف هذه الكلمات بالعواطف المتصلة بها. فهذه الحيوية العاطفية هي التي تعطي لسرد الحياة جمال الحياة الحقيقية, في تعاطف القراء بتجارب الحياة المسرودة «فإن فن التراجم يحتاج إلى قدر لا بأس به من الفنية الروائية التي يظهر به الأشخاص وكأنهم أحياء يتحركون على مسرح الحياة, ويغدون ويروحون بما يختلج في نفوسهم من نوازع الإنسان الخبرة والشريرة التي تم بها صورة الكائن الإنسان الحي»[٥].

فالسيرة الفنية كقصة حياة حقيقية للأفراد يجب ألّا تتعدى حد الحقيقة والخيال. كلّما تتعدى هذا الحد فهي تبتعد عن الحقيقة وتكون مقتربا إلى طبيعة قصصية إلى حدما. فيمكن القول إنما السيرة الفنية فتكون أقرب إلى الحقيقة عندما يتمكن الكاتب تقديمها دون مبالغة ولا إسراف فيها,»كلما كانت الترجمة – في قسمها الذاتي والغيري – أكثر أناقة وعناية الثوب البلاغي الذي تلف فيه كانت أقرب إلى الأدب منها إلى التاريخ.

١. هو روبن جورج كولينجوود عالم الآثار البريطاني وفيلسوف ومؤرخ عاش بين فترة ١٨٨٩ و ١٩٤٣.
٢. عباس, إحسان: فن السيرة , دار الشروق للنشر والتوزيع, عمان, الأردن, ط١, ص ١١.
٣. نفس المصدر, ص ١٢.
٤. المقدسي, أنيس: الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة, دار العلم للملايين, لبنان,ط٦, ٢٠٠٠, ص ٥٥١.
٥. عبدد الغني حسن, محمد: التراجم والسير, دار المعارف, القاهرة, -ط٣, ص ١٠.

إلا أن الإسراف في الصورة الأدبية التي يعرضها المترجم, والمبالغة في الفن الأدبي والروائي الذي يضفيه المترجم على الشخصية التي يترجم لها قد يبعده كثيرا عن الحقيقة والواقع الذي يجب أن يهدف إليه, والذي يجب ألا يضيع لاعتبار بتعلق بزخرف العبارة أكثر مما يتصل بلب الموضوع»[١].

ومن أهم السمات المميّزة عند المسلمين كما ذكر سابقا أنه كان لديهم الاحساس بالتاريخ. وهذاالاحساس كان متأصلا بهم لما أن تعاليم الاسلام خصوصا دستوره القرآن الكريم أدخل فيهم هذاالاحساس بالتايخ من خلال سرد قصص الأمم الماضية, وكان العرب في الجاهلية أيضا مشهورين بالأنساب وأيام العرب. ويلاحظ أن السيرة عندهم أقوى من ناحية التاريخ خصوصا في أوائل عصرها, وأضعف من ناحية الفن مع أن كان فيهم عباقر الأدباء وعمالقة الشعراء. «ظلت السيرة التاريخية تمثل أقوى نوع من السير عند المسلمين, أما السيرة ذات الطابع الأدبي, فقد بقيت مهملة لم تعالجها الأقلام, وإن المرء ليؤسفه أن يمضي عن كتاب كبار من ذوي الاحساس الدقيق والشخصيات والأحداث والتجارب, فلا يجد لهم أثرا واضحا متميزا في هذه الناحية»[٢]

الخاتمة

إن نزعة سرد سيرة الأشخاص قديمة التقاليد منذ أن وُجد الإنسان على ظهر الأرض. نشأت ونمت مع التاريخ في معظم الحضارات الإنسانية القديمة في العالم. بالنسبة إلى العرب كان لهم نصيب وافر في هذا الميدان. وكان ظهورها بداية الفكر العربي وتاريخ تدوينه. غلب فيها العنصر التاريخي ثم عناصر أخرى مثل الأخلاقي في العصور اللاحقة. ولا يوجد خلاف في أنه, على الرغم من أنها ناقصة من ناحية أدبية وفنّيّة إلى حد ما, كان لها تأثير غير قليل على الفكر العربي وتاريخ تدوينه.

المصادروالمراجع:

١. القرآن الكريم

٢. عبد النور, جبور: المعجم الأدبي, دار العلم للملايين, بيروت, ط ٢, ١٩٨٤.

٣. عبدالدايم, يحيى: الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث, دار إحياء التراث العربي , للبنان.

٤. الدوري, عبد العزيز: نشأة علم التاريخ عند العرب,مركز زايد للتراث والتاريخ,الإمارات العربية المتحدة, ٢٠٠٠.

٥. عبدد الغني حسن, محمد: التراجم والسير, دار المعارف, القاهرة, -ط٣.

٦. عباس, إحسان: فن السيرة , دار الشروق للنشر والتوزيع, عمان, الأردن, ط١.

٧. النجار, حسن الفوزي: التاريخ والسير, الدار المصرية للتأليف والترجمة, مصر, ١٩٦٤.

٨. المقدسي, أنيس: الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة, دار العلم للملايين, لبنان,ط٦, ٢٠٠٠.

١. نفس المصدر, ص ١٠.

٢. عباس, إحسان: فن السيرة , دار الشروق للنشر والتوزيع, عمان, الأردن, ط١, ص ١٩

مظاهرالوطنية في قصيدة «باقون هنا»لسعاد الصباح

السيد/ عبد المنير بونتالا[١]

الملخص

إن دولة الكويت دولة عربية تم إعلان استقلالها سنة ١٩٦١م، وهي دولة من الدول ذات العضوية في مجلس التعاون الخليجي، وإنها ساهمت إسهامات ملحوظة في تطوير بلاد الخليج وتنميتها اقتصادا وثقافة وأدبا، وإن كانت دولة صغيرة. فقد أنجبت كثيرا من العلماء والأدباء والشعراء والكتاب والمثقفين وغيرهم ممن سجلوا دورهم في مجال ترقية وتنوير الأدب العربي في بلدان الخليج. وقد أخرجت الدولة عديدا من البارزين القائمين بتطوير فن الشعر. وهي ثرية بالشاعرات النابغات أيضا، ومن هؤلاء الشاعرات اللاتي لمعن في سماء الكويت الشعرية بشاير الشيباني، وديمة الشهابي، ونهى نبيل، وهدى أشكناني، وعالية شعيب، وجنة عبد الرزاق، وليلى عبد الله العثمان، والدكتورة سعاد الصباح وغيرهن من الشاعرات البارعات.

والدكتورة سعاد الصباح حظيت عند محبي الشعر العربي حظوة فائقة، ولها مساهمات فعالة في إثراء الشعر العربي الكويتي. لها عدة دواوين شعرية كما لها تأليفات ودراسات ثمينة أخرى. وتبرز في قصائدها مشاكل المجتمع وتصف لها الحل الناجع خلال تلك السطور.

وإن حب الوطن شيئ ممزوج بقلب مواطن أي بلد، وممروج بروحه وجسمه، وممشوج بدمه ولحمه، لأنه ولد ونشأ فيه، وتربى وترعرع في حضنه. فقد أنزل شعراء كثيرون حب الوطن منازل جلية في أشعارهم.فإن هذا الغرض من الشعر يظهر جليا في قصيدة «باقون هنا» للدكتورة سعاد الصباح. وقالت هذه القصيدة عندما كانت الكويت تتجرع مرارة هجوم العراق، ونزل بأهلها الاحتلال الخانق. وهذه المذكرة تعالج مظاهر الوطنية بمعنى حب الوطنفي تلك القصيدة.

نبذة عن الشاعرة

هي الدكتورة سعاد محمد الصباح الشاعرة الكويتية المشهورة، وكنيتها أم مبارك، ولدت في الزبير (الكويت) في سنة ١٩٤٢م. وهي ابنة حفيد الشيخ محمد الصباح الذي تولى حكم الكويت (الحاكم السادس) ولقد تربت في جو علمي يهتم بالأدب العربي وأنواع فنونه وألوان فروعه. نالت التعليمات الابتدائية من مدرسة حليمة السعدية الأساسية للبنات بالبصرة، ومن مدرسة الخنساء الابتدائية للبنات بالكويت، كما نالت التعاليم الثانوية من مدرسةالمرقاب المتوسطة للبنات بالكويت. وحصلت على شهادة البكالوريوس في الاقتصاد من كلية الاقتصاد بجامعة القاهرة، وشهادة الماجستير من جامعة لندن، وشهادة الدكتوراه في الاقتصاد من جامعة ساري - جلفورد بلندن. وهي المرأة الكويتية الأولى التي قدمت أطروحة الدكتوراه في الاقتصاد في اللغة الإنجليزية.

وهي نجمة لامعة في سماء الأدب العربي الكويتي، اشتهرت بأعمالها الأدبية، ونشاطاتها العلمية، ومساهماتها الشعرية، وتأليفاتها النقدية، وقد شاركت في كثير من المؤتمرات، وعقدت كثيرا من الأمسيات الشعرية في محافل

١. أستاذ مساعد بكلية مدينة العلوم العربية ببوليكال، كيرالا، وباحث الدكتوراه تحت إشراف الدكتور ك. الشيخ محمد في مركز مدينة العلوم للبحوث (جامعة كاليكوت، كيرالا)

عربية شتى، وهي التي أسست «دار سعاد الصباح للنشر والتوزيع».

تزوج منها عبد الله الصباح، الذي كان نائب حاكم الكويت في أيام الشيخ عبد الله السالم الصباح. وولد لهما مبارك - توفي وهو ابن اثنتي عشرة سنا -، والشيخ محمد الذي كان وزيرا لشؤون مجلس الوزراء ووزيرا لشؤون البلدية، والشيخ مبارك، وأمنية، وشيماء.

أعمالها العلمية والأدبية

د.سعاد الصباح مشهورة بكتاباتها الجلية وإسهاماتها الغالية، قدمت أمام القراء ضيافة علمية نثرية ممتعة، كما قدمت أعمالها الشعرية الرائعة. ومن كتبها في الدراسات المختلفة على سبيل المثال لا على سبيل الحصر: «حقوق الإنسان بين النظرية والتطبيق» و»أوراق في قضايا الكويت» و»أوراق في السياسة النفطية» و»مبارك الصباح مؤسس دولة الكويت الحديثة» و»كلمات خارج حدود الزمن» و»تاريخ الشيخ عبد الله مبارك الصباح في صور» و»مرت السنوات وما زالت كما هي الكلمات» و»أوراق في الاقتصاد السياسي الدولي» و»هل تسمحون لي أن أحب وطني»و»التخطيط والتنمية في الاقتصاد الكويتي» و»المرأة الخليجية ومشاركتها في القوى العامية» و»أزمة الموارد في الوطن العربي»وغيرها.

ولها دواوين شعرية قيمة، منها على سبيل المثال: «من عمري» و»إليك يا ولدي» و»فتافيت امرأة» و»في البدء كانت الأنثى» و»آخر السيوف» و»قصائد حب» و»امرأة بلا سواحل» و»خذني إلى حدود الشمس» و»القصيدة أنثى والأنثى قصيدة» و»الشعر والنثر...لك وحدك» و»وللعصافير أظافر تكتب الشعر»و»برقيات عاجلة إلى وطني»وغيرها من الدواوين الشعرية التي تدل على براعتها وملكتها الشعرية.ولها أوراق ثمينة في الموضوعات المعاصرة المقدمة في المؤتمرات والندوات المختلفة. منها ما يتعلق بالنساء العاملات في الخليج، ودورهن في التنمية الاقتصادية به، والحقوق الإنسانية، والسياسات النفطية، والإستراتيجية الجديدة للنظام السياسي العالمي وغيرها من الموضوعات الهامة.

حب الوطن عند الشاعرة

د.سعاد الصباح تحب وطنها حبا عميقا كأي مواطن آخر، وتنبث أمارات هذا الحب في قصائدها العديدة، ويلوح هذا الحب واضحافي كتابها المعنون ب»هل تسمحون لي أن أحب وطني»- هذا الكتاب مجموعة مقالات كتبتها في صحف «الحياة» و»القبس» و»صوت الكويت» و»الشرق الأوسط» - إذ قالت : «هل صار حب الإنسان لوطنه عارا، أو عيبا، أو جريمة تستحق الشنق؟

وهل صار انتماء الإنسان إلى ثدي أمه، وفصيلة دمه، وسقف بيته، وتراب آبائه وأجداده، تهمة تعادل الخيانة العظمى؟

نعم... نعم.

هذا ما يتشدق به (الوطنجيون) في هذه الأيام التي أصبحت فيها الوطنية سيارة بلا عجلات ... ولا سائق...

وهذا ما يكتبه الثوريون، والمؤدلجون وبائعو بالونات الوطنية الكاذبة على رصيف الشارع العربي»[١].

١. الصباح، د. سعاد، هل تسمحون لي أن أحب وطني، ص:٧٩ الناشر: دار سعاد الصباح للنشر والتوزيع بالصفاة –الكويت، الطبعة السادسة، سنة النشر: ٢٠١٦م

وتوجد في ديوان «قراءة في كف الوطن» أشعار جميلة تكشف حب الشاعرة للوطن، وتبرز علاقتها القلبية بالكويت، منها:

«كلما حالفني الحظ وحطت قدمي على هذه

الأرض الكويتية التي يظللها علم وطني،

يكبر قلبي لما تقدمه من خدمة على المستوى

العلمي والإنساني ... وتمطر نفسي ألما على

ما يكبلها من عوائق»[١].

ومنها: «الخطوط الجوية الكويتية لها في قلبي مكانة

خاصة...كبرنا معها، وتهتز قلوبنا كلما رأينا

طائراتها في المطارات الدولية...»[٢]

ومنها: «إنها الكويت التي تملأ المسافات بين السماء والأرض وتحملنا في رحمها»[٣].

ومنها: «أكتب عن بحر الكويت... ورمل الكويت

وأطفال وشيب الكويت... يا وطني المغسول... بماء الورد وعطر الياسمين»[٤].

ديوان «برقيات عاجلة إلى وطني»

أما ديوان «برقيات عاجلة إلى وطني» للدكتورة فهو ديوان مستقل في حب الوطن وما يتعلق به. قد أصدر هذا الديوان أولا في سنة ١٩٩٠م، صورت الشاعرة فيه ما واجهه الكويتيون أثناء الهجوم العراقي العنيف من آلام وأوجاع وأحزان، وفيه قناعات الدكتورة سعاد الصباح ونظرياتها وآراءها عن الإغارة. وقد صدربطبعته السابعة في أغسطس ٢٠١٨م، كما نقرأ في جريدة «القبس» الكويتية: «صدر عن دار سعاد الصباح للنشر والتوزيع ديوان «برقيات عاجلة إلى وطني» بطبعته السابعة للشاعرة الدكتورة سعاد الصباح، وذلك بالتزامن مع الذكرى الثامنة والعشرين للغزو، الذي تعرضت له الكويت في الثاني من أغسطس عام ١٩٩٠»[٥].

تلقى هذا الديوان قبولا حسنابمضمونه الجزيل، واشتهر اشتهارا عجيبا بماهيته النادر من القصائد الغنائية. اشتمل على ثماني قصائد رائعة، وهي كما في «القبس»: «وجاءت عناوين القصائد: إنني بنت الكويت، وردة البحر، بطاقة من حبيبتي الكويت، سوف نبقى غاضبين، سيرحل المغول، ثلاث برقيات عاجلة إلى وطني، من

١. الصباح،د.سعاد،قراءة في كف الوطن، ص:٢٣٦ الناشر:دار سعاد الصباح للنشر والتوزيع بالصفاة –الكويت، الطبعة الأولى، سنة النشر: ٢٠١٧م

٢. نفس المرجع، ص:٢٣٧

٣. نفس المرجع، ص:٢٣٦

٤. نفس المرجع ، ص:٢٥٠

٥. جريدة القبس، ص: ١٦ العدد: ١٦٢٢٥ التاريخ: ٢أغسطس ٢٠١٨ الإصدار: الكويت

قتل الكويت؟، نقوش على عباءة الكويت»[١].

نظرة سريعة إلى هذه القصائد

١ **إنني بنت الكويت**: تبتدئ هذه القصيدة ب»إنني بنت الكويت، بنت هذا الشاطئ النائم فوق الرمل، كالظبي الجميل...»[٢] تظهر الشاعرة فيها ما في فؤادها من حب وطنها الحبيب، وتصف ما في الكويت من الروائع والعجائب، وتفتخر بأشجار نخيلها، وأنجم لياليها، وأبحر أجدادها، وتقر فيها بأنها عربية خالصة، وتبرز رغبتها في البقاء في وطنها.

٢ وردة البحر:

«كويت، كويت،

موانئ أبحر منها الزمان، وواحة حب، وبر أمان،

وشعب عظيم، ورب كريم، وأرض يسيجها العنفوان»[٣].

هذه هي السطور الأولى لهذه القصيدة، تصف فيها الشاعرة بحار الكويت وسواحلها وموانئها، وتغوص في أعماق ماضيها وطفولتها وعلاقتها القديمة ببلدتها الحبيبة. وتكشف فيها ما في قلبها من المكان العالي للكويت، وتسلط فيها الضوء على ما وقع من الحوادث التاريخية في وطنها، وما فيها من التراث. وتشبه حبها لوطنها بحب الشمس للعالمين، إذ تعطيهم ضوءها،وبالأرض التي تعطي الجائعين قمحها. وفي القصيدة مقولة جميلة عن اهتمام الكويت بحرية الرأي وطفل المحبة وزرع العروبة. وتطلب الشاعرةمن بلدتها أن تكون منارة دالة على الطريق للذين لا يعرفونها، ووسادة مسلية للمتعبين،وأُمّا تحضن أطفالها وتعانق أولادها بحب ورأفة. وفيه تعبير بالغ عن صدق حبها للكويت، حيث قالت: «أحب ابتسامتك الطيبة، وإيقاع صوتك، إذ تضحكين، أحبك... صامتة متعبة، وأعماق عينك إذ تحزنين، أحبك في غيبتي وارتحالي، وأشتاق كل حصاة... وكل حجر...»وفي السطور الأخيرة من هذه القصيدة تفتخر بكون الكويت ملجأ العصافير، وبيت المنشدين والشعراء، ومزار البنفسج والشهداء، وجزيرة حرية رائعة، وجوا واسعا.

٣ بطاقة من حبيبتي الكويت:

هذه هي قصيدة «باقون هنا»سيأتي الكلام عنها مفصلا، إذ هي كبد هذا البحث.

٤ سوف نبقى غاضبين:

هذه القصيدة وقفة احتجاجية ضد الغارات العاسفة والحروب الغاشمة التي أدركها شعبالكويتمن قبل العراق. تعرض الشاعرة فيها ما في قلبها من الغضب والحقد، وتنير نار الاعتراض على الاحتلال العراقي، وتنادي بأنها تبقى واقفة في بلدتها كبقاء الأشجار العالية في أرضها، والأمواج الهائجة في بحارها، غاضبة مع قومها بسبب هذا الاحتلال المفسد، وتُجاهر فيها القومَ الظالمين بأنه لا يرشدهم نجم واحد، ولا تذكرهم نخلة واحدة، ولا يشكرهم طفل واحد، وتصارح فيها بأن أبناء الكويت لا يزالون باقين كبقاء الأشجار والأنهار والغابات والوديان

١. نفس المكان.

٢. موقع https://souadalsabah.com/٢٠١٩/٠١/١٠/

٣. نفس المرجع.

والأنجم ولو اشتد احتلال المحتلين واضطهاد المضطهدين بهدم المنازل وحتم المداخل وتخويف الأطفال. وتطلب منهم إعادة كل ما سرقوا من بلدها الحبيب، كما تطلب منهم إنهاءَ الحربِوإعدامِ الشعبِ والرجوع إلى بلدهم. وتفتخر بأهل الكويت ورملها وبحرها حيث قالت: «نحن قوم نرفض القهر.. كبارا وصغارا، حيث تمشون على أرض الكويت سيصير الرمل حمرا، ويصير البحر نارا»[١]. وتطرح الدكتورة بعض الأسئلة نحو الجناة المعتدين في أواخر القصيدة: بأي ذنب نُعَذَّب؟ هل أخلفنا وعدكم؟ وهل حنثنا ميثاقكم؟ ألم نكن معكم في السراء والضراء؟ وتسأل: ما فائدة صراخي هذا وكلامي هذا وأنا مكسورة ممزقة؟ من يسمع صوتي وأنا مقبورة تحت الركام؟ وتنتهي القصيدة ب»عندما يطعنني فيالظهر سيف عربي يصبح التاريخ عارا، عندما يذبحني أبناء عمي في فراشي يصبح الحلم العروبي ... غبارا...»

٥ سيرحل المغول

السطور الأولى لهذه القصيدة هي: «سيرحل المغول عن كل شبر طاهر من أرضنا، سيرحل المغول ويرجع البحر إلى مكانه ويرجع النخل إلى مكانه، ويرجع الشعب الكويتي إلى عنوانه»[٢]. وهي تتحدث عما في قلب الشاعرة من رجاء مغادرة المغول الكويت، ورجوعها إلى سيرتها الأولى، حتى ينال شعبها عنوانه القديم، وتصبح الكويت للكويتيين. وتؤكد أنهم لا يقدرون على أن يرجعوا عقارب الساعة للوراء، ويغيروا ملامح الأرض والسماء، كما لا يقدرون على قتل الأشجار وإبادة الأمطار وإعدام الحياة وإهلاك البرية، ولا يستطيعون أن ينظفوا سيوفهم بالنفط والدعاء، وأن يقطعوا إباء الكويتين وسماءهم، ويسرقوا دماءهم من عروقهم ، ويقتلوا الأجنة في أرحام نساءهم، وأن يمنعوا تفتُّحَ الزهور. وتقول إن أبناء دولتها سيستردونها في المستقبل، حتى يصبح بحرها طهورا بعد أن كان كدرا، والصباح محمرا بعد أن كان مغبرا، والطفل لاعبا بعد أن كان مرعوبا.وتصرح فيها بأن الكويتيين يتبعون الأعداء ويقذفونهم بالنار والحجر، ويضربونهم حتى توجد شمس الفرح والحب في كل دار من دور الكويت، ولا تنتهي هذه المقاومة حتى تصير جزيرةَ الحب والهدوء.

٦ ثلاث برقيات عاجلة إلى وطني

هذه القصيدة سبب تسمية هذا الديوان بهذا الاسم، وهي تشتمل على منظومات ثلاثة قصيرة كما يدل عليه هذا الاسم. الأولى منها تتحدث عن اهتمام الكويتيين بالندى والعطاء، واعتناءهم بالعفو والسماح، فتقول: لو أغار علينا الأعداء مرة لكنا كالأزهار من ذاكرة الجراح، وإذا قطعوا أجنحتنا ومنعوا قدرتنا على الطيران صرنا أكثر من صدر ومن جناح لهم، وإذا دخلوا ديارنا نطعمهم من طعامناونملأ قلوبهم بحبنا. فإن الشاعرة تفتخر بمكارم أخلاق أهل بلدها.

وفي الثانية من هذه المنظومات أيضا فخرها بمكارم الكويتيين، منها استقبال الشمس في بيوتهم ضيفا، وإغاثة الجيران، واجتناب العنف، ودعاء العصافير إلى موائد المحادثة، ورفض جميع أنواع الجور والطغيان وأهلها من الطغاة والبغاة، وتقديم الخدمة الخالصة لمن يحبهم، والموقف الدائم في طرف الإنسان والإنسانية.

أما الثالثة من هذه المنظومات فتعاتب الشاعرة فيها من أغار على بلدها، وتسأل هل يقدر محب على أن يرفع السلاح في وجه المحب؟ وكيف تستطيع العين أن تحارب الأجفان؟ ثم تفتخر بشجاعة الكويتيين قائلة: إننا لا تخيفنا مفآجآت البحر أو زمجرة الرياح لأننا عشنا فيها، فاجمِعوا خيولكم وعدتكموانصرفوا، لا يقدر أحد على

١. نفس المرجع.
٢. نفس المرجع.

تبديل التاريخ أو استعمار الأرواح أو إطفاء الشمس أو مصادرة الصباح.

٧ من قتل الكويت؟

تطرح سعاد الصباح في هذه القصيدة سؤالا وتكرره مرارا، وهو من قتل الكويت؟ لا يُقتل مقتول بلا قاتل، ولا بد لكل قتل من قاتل، والكويت مقتولة فمن القاتل؟ لا تموت وردة ولا نخلة بلا سبب، أقتلها أعجمي من خارجها؟ أم عربي من بلاد العرب؟ وتجيب هي نفسها عن هذا السؤال وتقول: ما جاء القاتل من السماء ولا من عالم الأحلام، ولكن بعضنا اشترك في كورس النظام، وأفرح بشعره ونثره الحكام، وبرر أخطاءهم بالكلام الجميل الكاذب. هذا الذي قتل الكويت. وهذا القاتل لم يكن غير معروف ولا مألوف، ولكنه أتى من أرحامنا ووجهنا الساحب، ومن مكرنا وفسادنا، ومن دمنا ولحمنا. ثم تتحدث مطولا عما أصاب الكويتيين من سيئ الأخلاق والمعاملات كنقد ذاتي، وقالت: «فكلنا شارك في جريمة القتل... وفي تربية الثعبان، وكلنا شارك في صناعة الشيطان، وكلنا صفق للطغاة والطغيان، فكيف نشكو الآن من أوثاننا ... ألم تكن حرفتنا أن ننحت الأوثان؟»[١]

٨ نقوش على عباءة الكويت

تصف سعاد في هذه القصيدة دولتها الكويت، وتعد ما كان لها من جمال ورونق، وتعبر عما عاناه المخرَجون في منافيهم من الآلام والأحزان، وتخاطبها بأجمل الكلمات التي تدل على حبها إياها مثل: «يا حبيبتي الكويت» و«يا تفاحة القلب» و«يا وطن الأوطان» و«يا أمي الكويت» و«يا قمري». تبتدئ هذه القصيدة ب«أيا صباح النصر، يا حبيبتي الكويت، بعد شهور سبعة في قبضة السجان، طلعتِ مثل وردة بيضاء من دفاتر النسيان...»[٢] تذكر فيها ما كان للوطن من الجمال حتى في أيام الأحزان والتلوث القومي والجحود والنكران.وتطلب الشاعرة من بلدتها أن تضمها وقومها إلى صدرها كما تفعله الأم، وتقول لها نحن أيتام من دونك. وتتحدث عن تغير وجه الكويت بعد الهجوم بعد سبعة أشهر، كما تتحدث عما استردت من القوى بعد أن أُهلكت. وفي أواخر القصيدة تمدح الشاعرة الرجال الشجعان الذين ساهموا في تحرير الوطن وإنقاذه من الفتن، وحرسوه بالقلب والضلوع والعيون.

مظاهر الوطنية في «باقون هنا»

عنوان هذه القصيدة «بطاقة من حبيبتي الكويت»، وتبتدئ ب«نحن باقون هنا»، هذه القصيدة هي مركز نقاش هذا البحث. وهي تصور حب الوطن أبلغ تصوير، وتحث الكويتيين على المحاربة ضد المحتلين، وتحرضهم على تقديم أغلى الخدمات لبلدتهم الأم، وتلمحهم إلى التجلد على دفاع المهاجمين، وتُعْلمهم بأن ألم البلاد ألم أنفسهم، وهي تشعل النار في عروق أبناء الكويت ضد الجائرين، وتنفث في جمرة محترقة في قلوبهم ضد الجبارين، وتلقي في قلوبهم الاعتزاز بتاريخهم اللامع، وتلفت أنظارهم إلى مناظر جميلة في موطنهم الرائع، وتذكرهم بماضيهم الجميل قضوه في صغر سنهم، وتذهب بهم إلى ذكريات طفولتهم، وإلى أماكن اللعب من ميادينهم وسواحلهم، وتنبههم بألا ينبغي لهم نسيان أسلافهم، وتشبه وطنهم بكثير من مرافق حفظ الحياة ورغد العيش حتي تجذب نفوسهم وتؤلف قلوبهم، وتزيدهم رغبة في البقاء والاستمرار في بلدهم، وتزيل عنهم اليأس والخيبة في مستقبلهم.

١. نفس المرجع.

٢. نفس المرجع.

هناك كثير من مظاهر حب الوطن التي تعبر عنها د.سعاد الصباح في هذه القصيدة، منها:

إعلان الثقة بالبقاء في الكويت

فقد أعلنت الشاعرة في هذه القصيدة مرارا بأن الكويتيين سيبقون في موطنهم حتى آخر نبضة قلوبهم، وسيحيون في وطنهم حتى آخر لحظة عيشهم. ولذا ابتدأت بقول «نحن باقون هنا»، فإنها تغرس في قلوب أهل بلدها غرس الثقة بالبقاء والعيش الطويل فيه رغم وجود المشقات المؤقتة والمضرات المميتة. وفي هذا القول تسلية لهم عن همومهم النازلة بسبب الغزو العراقي، وتحريضهم على الصبر عند الفساد الاحتلالي، وإلقاء زرائع الرجاء في خليات قلوبهم. وفي أواخر القصيدة كلمات محسمة تؤكد هذا القول وهي:

«الكويتيون باقون هنا

الكويتيون باقون هنا

وجميع العرب الأشراف باقون هنا

الكويتيون باسم الله ... باسم السيف...

باسم الأرض، والأطفال، والتاريخ

باقون هنا»[١].

أي لا تزال الكويت باقية، ولا يزال الكويتيون باقين في تربتهم، لا يخضعون لاحتلال أي محتل، ولا لإعدام أي معدم، ويكون هذا البقاء بتوفيق الله القهار ونصره، وبالأسباب التي جعلها الله للنجاح من السيوف المسلولة ضد الأعداء، والأرض الكويتية، وأطفالها وتاريخها.

الكويت للكويتيين لا للمحتلين

تبدأ القصيدة ب»نحن باقون هنا...

هذه الأرض من الماء إلى الماء... لنا

ومن القلب إلى القلب ...لنا

ومن الآه إلى الآه ...لنا».

بهذه السطور تقاوم الشاعرة الشعب الاحتلالي، وتحرض شعبها على أن لا يتركوا أموالهم وممتلكاتهم للظالمين، وتقول: هذه الأرض الكويتية كلها لنا معشر الكويتيين، لا نسلمها إلى من اعتدى علينا، فهي بأكماها لنا من حدود إلى حدود. وتقول في مكان آخر من هذه القصيدة:

هذه الأرض التي تدعى الكويت

هي منا... ولنا».

١. نفس المرجع.

وهنا أيضا تدعم الشاعرة ملكية وطنها لمواطنيها لا للقوى الخارجية.

ألم الوطن ألم المواطن

وإن من أجلّ مظاهر حب الوطن التي تظهر في هذه القصيدة أقوال الشاعرة:

«كل دبوس إذا أدمى بلادي

هو في قلبي أنا».

و»كلما هم أطلقوا سهما عليها...

غاص في قلبي أنا».

و»كل دبوس إذا أوجعها...هو في قلبي أنا».

أي كل آلام تعانيها الكويت فهي آلامي، وكل أوجاع تحس بها دولتي فهي أوجاعي، وإذا سالت قطرة دم من جسم وطني فهي تقطر من جسمي، والجروح التي يجرحها الأعداء في بدن الكويت فهي في الحقيقة في قلبي، لأني أحبها حبا جما، وإذا رماها الأعداء بالسهم لا يصيب إلا في قلبي. وجعلت الشاعرة هنا آلام الوطن آلام قلبها، وأوجاع الدولة أوجاع نفسها، وإراقة دم الكويت إراقة مهجتها.

تشبيه الوطن ب»الأم» وغيرها من الكلمات

تبدي الشاعرة حبها لوطنها بأعذب الكلمات وألذ السطور، وتشبهه ببعض الأشياء الدالة على الحب والحضن والحفظ تشبيها بليغا، وقالت:

«هذه الأرض هي الأم التي ترضعنا

وهي الخيمة، والمعطف، والملجأ

والثوب الذي يسترنا

وهي السقف الذي نأوي إليه

وهي الصدر الذي يدفئنا...

وهي الحرف الذي نكتبه...

وهي الشعر الذي يكتبنا...»

أي الكويت بالنسبة إلي وإلى شعبها كالأم الرؤوم التي ترضعني وإياه، وإنها تحبنا كما تحب الوالدة أبناءها، ونحبها كما يحب الأولاد أمهاتهم. ثم شبهت الدولة بالخيمة التي تحفظ مَن تحتها من الحر والقر، وبالمعطف الذي يصون لابسه من البرد، وبالملجأ الذي يأوي إليه الإنسان عند تعبه ووهنه، فالكويت تقوم مقام الخيمة والمعطف والملجأ لموطنيها. ثم قالت إنها كالثوب الذي يستر عورة وعيب من لبسه، ويزيد زينته، وإنها كسقف البيت الذي

يحفظ سكانه من هطول المطر وحرارة الشمس، والذي يأوي ويسكن إليه الإنسان عند التعب والفتور، وإنها كالصدر يسخن السكان كما تفعله الأم بطفلها، وإنها كالحروف التي كتبناها بأيدينا، وكالشعر الذي يكتبنا ويسجلنا في تاريخها. وقالت في مكان آخر من هذه القصيدة:

«هي عطر مبحر في دمنا

ومنارات أضاءت غدنا

وهي قلب آخر في قلوبنا».

أي بلدنا كطيب سائل في عروقنا ينتشر في أجزاء الجسم كلها، وهو كمنارات منيرة دالة على الطريق في الأيام القابلة، وهو كقلبنا الثاني، القلب الأول هو ما ينبض في صدورنا، أما قلبنا الثاني فهو بلدنا الحبيب.

الفخر بالتراث

تقول الشاعرة: «سندباد كان بحارا خليجيا عظيما...من هنا

والذين اشتركوا في رحلة الأحلام، هم أولادنا

والمجاديف التي شقت جبال الموج كانت من هنا...»

تفتخر الشاعرة بالتراث القديم والتاريخ السحيق للكويت، وتقول: كان سندباد البحار الخليجي -هو رجل بحار أسطوري من شخصيات ألف ليلة وليلة - منا ومن هنا، وقد شارك أبناء هذه الدولة في رحلة الأحلام، وقد قطعوا البحار الواسعة والأمواج المرتفعة، وأبناء الكويت يعرفون بحارها منذ صغرهم، كما تعرف البحار إياهم، لأنهم ولدوا على أمواجها الصافية،وسبحوا فيها مع أسماكها،وترعرعوا في سواحلها النقية، وقضوا فيها صباهم مع أصدقائهم في اللعب واللغو. فبهذه كلها تفتخر الشاعرة وتظهر حبها لوطنها.

ثم تقول: «كم زرعنا أرضها نخلا وشعرا، كم شردنا في بواديها صغارا، ...» أي قد غرسنا في أرضنا كثيرا من الأشجار وزرعنا أنواع الزروع وزرعنا أنواع الأشعار معها، وقد مشينا شاردين في طرقها وقراها وبواديها كثيرا وكنا صغارا. وبأمثال هذه الذكريات تدعو سعاد انتباه القراء إلى تراث وطنها العتيق وتاريخه السحيق.

الكويت هبة الله

تذكر الشاعرة نعمة الكويت التي أنعم اللهها عليها وعلى شعبها، وتقول:

«هذه الأرض التي تدعى الكويت

هبة الله إلينا».

أي الكويت هبة الله لأهلها وعطاءه، وكذلك كل الخيرات فيها من القمح وسائر المأكولات والمشروبات كلها من نعم الله المنان الوهاب التي لا ينبغي كفرانها. وإلى هذا تشير بقولها:

«هذه الأرض التي تدعى الكويت، بيدر القمح الذي يطعمنا

نعمة الرب الذي كرمنا، ويد الله التي تحرسنا».

الثبات ضد المعتدين على الوطن

تنتهي هذه القصيدة ب»نلثم الثغر الذي يلثمنا، نقطع الكف التي تضربنا». هذا صوت الكويتيين على لسان د. سعاد الصباح. وتقول إننا نحب من أحبنا، ونقبل وجه من قبل وجهنا، ونكره من كرهنا، ونحقد على من حقد علينا، ونحن معشر الكويتيين نقطع أكف من ظلمونا.

وفي هذه الأقوال تبشير جليل للمحبين والمواسين، وفيها إنذار شديد للمعادين والمعتدين، وفيها تحريض بين على الثبات في سبيل المقاومة والمدافعة.

وقد عقدت أمسية شعرية في الكويت في سنة ٢٠٠٤م، وأنشدت د. سعاد الصباح فيها بعض القصائد، وكانت فيها قصيدة «باقون هنا»، وورد خبر هذه الأمسية في جريدة «الشرق الأوسط» وهو: «...صرخة من القلب أطلقتها الشاعرة الكويتية الدكتورة سعاد الصباح في أمسية شعرية غصت قاعتها الفسيحة بآلاف الحضور من الجمهور بشتى ثقافاته، فجمعت الشاعرة تلك الشتات وحولتها لكتلة واحدة ملتهبة من المشاعر الوطنية الكويتية والعربية»[١].

الخاتمة

إن للكويت دورا فعالا في تطور الأدب العربي في بلدان الخليج، فقد ساهم الأدباء الكويتيون مساهمات بارزة في تنمية فنون اللغة العربية شعرا كان أو نثرا. وللشاعرات أيضا اشتراك بارز في هذه الترقية الأدبية، منهن د.سعاد الصباح. وهي من أزهر الشخصيات النسائية في مجال الشعر والاقتصاد والنقد، لها أعمال نثرية ثرية في شتى الفنون، كما لها دواوين الشعر الكثيرة في شتى الأغراض.

وقد نال حب الوطن مكانا عاليا عند العرب كأي مجتمع آخر، يسيل حب الوطن في عروق الشعب سيل الدم، وهو جزء لا يتجزء عنه، وهو مرتبط به ارتباط الهواء والطعام والشراب بالحياة الإنسانية. لقد شاهدت الكويت غارات كبرى من قبل العراق قبل ثلاثين سنة تقريبا، وأهلكت الحرب النفس والنفيس، فصرخت سعاد الصباح ضد المهاجمين بأشعار المقاومة التي تبث حب الوطن وتحرض الكويتيين على الانتقام من الأعداء. ومنها ديوانها «برقيات عاجلة إلى وطني» المشتمل على ثماني قصائد. ومن هذه القصائد قصيدة «بطاقة من حبيبتي الكويت»التي تبتدئ ب»نحن باقون هنا».

تلوح في هذه القصيدة مظاهر حب الوطن المتعددة كوضوح ضوء الشمس، منها: إعلان الشاعرة فيها الثقة بالبقاء في أرض الكويت، وتقول: «نحن باقون هنا»، هذا القول يزيل عن قلوب الناس اليأس والقنوط، ويحرضهم على المقاومة. وكذلك تقول إن الكويت وممتلكاتها كلها للكويتيين، لا للأعداء الغاشمين، ولا نسلم بلدتنا وما فيها إلى الغاصبين. وفيها كلام يبين حب الوطن أبلغ التبيين هو «كل دبوس إذا أدمى بلادي هو في قلبي أنا»، أي إذا جُرح بلدي وسال منه الدم فهذه الجرحة في جسمي، وهذا الدم يسيل من جسدي.

ومن أشعة الوطنية تشبيه الشاعرة الكويت بالأم وغيرها من الكلمات، فمنزلة الكويت في قلبها كمنزلة الأم في قلب الولد. وتشبهها بالخيمة والمعطف والملجأوالثوب والسقفوالصدر والحرف المكتوب والشعر وعطر سائل في

١. جريدة الشرق الأوسط، العدد: ٩٢١٥ التاريخ: ٢٠فبراير ٢٠٠٤ الإصدار: لندن.

العروق ومنارات منيرة تدل على الطريق وقلب ثان في داخل القلب. تفتخر الشاعرة بتراث وطنها وتاريخه القديم. وتعد وطنها هبة من هبات الله وهدية من هداياه، ولولا نعمة الله عليها ما كانت كويتية. وأخيرا تبشر المحبين بقولها: «نلثم الثغر الذي يلثمنا»، وتنذر المعتدين بقولها: «نقطع الكف التي تضربنا».

أهم المراجع

١. جريدة الشرق الأوسط، العدد: ٩٢١٥ التاريخ: ٢٠فبراير ٢٠٠٤ الإصدار: لندن.

٢. جريدة القبس، العدد: ١٦٢٢٥ التاريخ: ٢أغسطس ٢٠١٨ الإصدار: الكويت.

٣. قراءة في كف الوطن، للدكتورة سعاد الصباح،الناشر: دار سعاد الصباح للنشر والتوزيع بالصفاة -الكويت، الطبعة الأولى، سنة النشر: ٢٠١٧م.

٤. هل تسمحون لي أن أحب وطني، للدكتورة سعاد الصباح، الناشر: دار سعاد الصباح للنشر والتوزيع بالصفاة -الكويت، الطبعة السادسة، سنة النشر: ٢٠١٦م.

٥. موقع https://souadalsabah.com/2019/01/10/

منهج التفسير الموضوعي عند أبو الكلام آزاد بين النظرية والتطبيق

الدكتور/ صغير على ت ب[١]

الملخص

أبو الكلام آزاد (١٨٨٨-١٩٥٨م)هو من أهم الشخصيات الوطنية الهندية التي لا تقل أهمية وحضوراً سياسياً وشعبياً عن شخصيتي المهاتما غاندي، وجواهر لال نهرو، لكن ما يميّزه عن هاتين الشخصيتين وغيرها من الرموز الهندية البارزة، هو أنه كان في مقدمة الزعماء الذين دعوا، وبقوة إلى وحدة الهندوس والمسلمين على أساس قومي هندي جامع، وإقامة دولة القانون والمؤسسات والدمقرطة المستدامة، وهي حسب رأيه، وحدها القادرة على حماية الدين من العبث به، واستغلاله في بازار السياسات الفتنوية على اختلافها.ولد لأم عربية في مكة المكرمة، وتجواله في العواصم العربية ذات المكانة البارزة في الحياة الفكرية والسياسية كمدينتي بغداد والقاهرة، إذ يتأثر بشيوخ عصر النهضة، والدعوات الإصلاحية التي نادوا بها. وأسس على غرار مجلة (المنار) للشيخ رشيد رضا، مجلة (الهلال)، التي لاقت قبولاً واسعاً في أوساط المسلمين الهنود، وشكّلت تحولاً مهماً في تاريخ الصحافة الهندية، كما كانت واحدة من أعمدة النهضة الوطنية والفكرية والروحية في الهند.قسّم الدكتور قيصر الكتاب إلى ستة فصول حسب المراحل التاريخية التي شكّلت تحولاً مهماً في مسيرة آزاد السياسية والفكرية، بدأت في العام ١٩٠٦، ولما تنتهِ في العام ١٩٥٨يعد مولانا ابو الكلام آزاد من الأعلام المبرزين، و من عباقرة الزمن الذين أنجتهم أرض الهند في القرن العشرين، والذي قد لعب دورا بارزا في النهضة الإسلامية، وكان جامعا بين الأضداد من الصفات، وأنواع من الفضائل، والعلوم والمعارف، والثقافات، وفي أي مجال دخل أثبت عبقريته سواء كان ميدان السياسة، أو الأدب، أو الصحافة، كما دخل في ميدان البحث، وكان مجبولا على العلم والفكر، مطبوعا بالبحث والدراسة، فأتي بأشياء نادرة تحيرت العقول، يشهد على ذلك تفسيره السورة الكهف، كماياتي ذكره فيما بعد،

ولقد أجمع المعاصرون على سعة دراسته وإدراكه العميق للأمور، وقدرته الفائقة على استشراف المستقبل، وغزارةعلمه وأدبه، وروعة بيانه وأسلوبه في الكتابة والخطابة، وتصلبه في آرائه السديدة، ولقد كان يتقن اللغات الأربع: العربية، والفارسية، والأردية، والانجليزية، كان أديبا، وخطيبا بارعا، فكتاباته قطعة أدبية رائعة، تهتز لهالأحاسيس والمشاعر، وكان له إلمام تام بالموضوعات سواء كان الأدب أو التاريخ، أو السياسة، أو الفلسفة، أو النفس، أو تاريخ الأمم و الملل أو تاريخ علم الآثار، أو الموسوعة الانجليزية أو العربية ، أو الصحف السماوية من الإنجيل القديم او الجديد، والرسائل والجرائد المحلية أو الدولية وكانت كلها تحت دراسته و مطالعته، فنجده قد بعثر معلوماته الواسعة الضخمة الهائلة حول الموضوعات كلها في تفسيرهالذي يشتمل على المجلدين وخاصة في سورة الفاتحة، مثلا تفسير أية»اهدنا الصراط المستقيم» فوزع كلمة « الهداية « إلى أربعة أقسام : هداية الوجدان ، وهداية الحواس، وهداية العقل، وهداية الوحي والتبوة، ثم أسهب الكلام في كل منها على حدة على حدة حتى أبسط، وأجاد الكلام وطال بحثه في صفحات عديدة، ولما توقف قلمه فلم يذكر لا مصدرا و لامرجعا ما يدل على أن كل هذا ما أنتجته قريحته، وفاضت من قلبه ، وأرشده إلى ذلك ذوقه القرآني، والحقيقة أن ذلك من نتاج عقله وفكرته الواسعة،

١. أستاذ مساعد، قسم الماجستر والبحوث في اللغة العربية وآدابها، كلية الفاروق، (حكم ذاتي) كيرالا، الهند

تفسيره (ترجمان القرآن)

تفسيره للقرآن الكريم باسم «ترجمان القرآن» باللغة الأردية, وكان يرى أن من ضرورات الإصلاح الديني والفكري العمل بتعاليم القرآن الكريم واتصال الأمة به، ودعا الناس إلى فهم الذكر الحكيم، وقد عكف على دراسة القرآن الكريم وغاص فى بحره الزخار، وقضى من عمره حوالى ثلاثين سنة بين التدبر والتفكير ليلا ونهارا، صباحا ومساءا كما يقول : «إن القرآن الكريم مازال موضوع دراستى وتفكير ليلا ونهارا منذ ثلاثين سنة من عمرى، وقطعت أشواطت ومراحل وتوقفت في كل آية من الآيات، وفي كل كلمة من الكلمات، وفي كل سورة من السور»[١]. ومن السمات التي يتميز بها تفسيره للقرآن الكريم ويختلف عن التفاسير الأخرى تماما، وهي أنه لم يكتب تفسيره هذا على غرار عامة التفاسير ولم يسلك مسكهم، ولم يتبع خطاهم، وسيرهم حذو النعل، وإنما اتخذ لنفسه سبيلا آخر، واختلفت آراءه من المفسرين الآخرين، فوجدناه أنه قد أثار أسئلة هامة مثيرة عما كانت تعتلج في النفوس وتوسوس في الصدور، وتساور الناس بعض الشكوك في الآيات، ثم قام بإيجاد حلول تلك المسائل العويصة الغامضة المعقدة، وأشار إلى بعض النكات الجديدة العميقة الطريفة التي لم يسبقه إليها أحد من المفسرين،

ومن أهم المزايا التي يحمل تفسيره في طياته الاستفادة التامة من العلوم الحديثة والتحقيقات الجديدة، ومن المباحث البائلوجية، والنفسية، والجعرافية، والتاريخية، وغيرها من العلوم والفنون، كما يشهد على ذلك تفسيره لسورة الكهف، فإنها قصة عجيبة مملؤة بالمواقق والمشاهد المؤثرة، قصة إيمانية، قصة غلبى الإيمان على المادة، غلبة الدين على الدنيا، هذه قصة الفتية الذين خرجوا مهاجرين وفارين بدينهم، وإيمانهم، متضر عين إلى الله أن يصونهم من الملك الظالم الغاشم، ووصلوا إلى جبل فيه كهف، فأواهم الله في كهف، وأضرب عليهم النوم الذي امتد ثلاثة قرون، وهبوا من سباتهم العميق بعد أن تعاقبت العهود، وزال عهد الطغاة، والجبابرة، وتحولد الدنيا من الظلم إلى العدل، وتغير النظام إلى نظام آخر، وتبدلت الأرض غير الأرض، تلك أمة قد خلت وتلته أمة أخرى، لم تكن مثل ما كانت الأولى، وأفاض مولانا أبو الكلام آزاد في تعيين زمن أصحاب الكهف، فإنه وجد فيه اختلافا كثيرا بين المفسرين، والمؤرخين، ذهبت جماعة من المحقيقن والإخصائيين الأماكن الأثرية إلى أن أصحاب الكهف كانوا قبل المسيحية بمآة وواحد وستين سنة في حكم الملك أنطوكس ((Antioclus IV الذي قد هجم على الفلسطين فلجأ فئة من المؤمنين الشبان إلى جبل وآووا في كهف، سماهم القرآن الكريم بأصحاب الكهف، وزعم بعضهم أنهم كانوا قبل المسيح ولكن بدون تحدد الوقت، والزمان كما ذهب إليه الإمام ابن كثير يقول» والظاهر أنهم كانوا قبل ملة النصرانية بالكلية، فإنهم لو كانوا على دين النصرانية لما اعتنى أحبار اليهود بحفظ خبرهم»[٢]

وبعد أن توفي مولانا آزاد قام مولانا غلام رسول قاصدا أن يكمل ما بقي من ترجمة وتفسير « ترجمان القرآن» فشمر عن ساق الجد، وأجهد نفسه، وتحمل المشاق، وبدأ يبحث في صفحات جريدة «الهلال» ومجلة « البلاغة والكتابات الأخرى لأبي الكلام آزاد من ترجمة القرآن الكريم، والتفسير والتوضيح فوجد بغيته ونال مرامه، و استبشر، وبدا من سورة الفرقان إلى سورة الناس، ونشره مع الترجمة والتفسير باسم « باقيات ترجمان القرآن» وذلك في سنة ١٩٩٢م، (٩) وكان « ترجمان القرآن في أشد حاجة إلى شيء من التهذيب والتعديل و التنقيح والتلخيص والتنسيق فقام بهذا العمل الجاد الشيخ أبو مسعود أظهرالندوي، ونشره بأسم «تليخص ترجمان القرآن في سنة ٢٠٠٦م، تدل دراسة هذا التلخيص على أن الباحث أبو مسعود أظهر الندوي بذل جهوداجبارة مكثفة في جعله سهلا ميسورا ومتناول اليد ليكون نفعه أعم وأشمل، رتبه ترتيب ترجمة شيخ الهند وتفسير

١.ابو الكلام ازاد، ترجمان القرآن الطبعة الأولى، مكتبة إشاعت أدب، لاهور، باكستان ص: ٤٧

٢. ابن كثير، تفسير قرآن العظيم، دار ابن الجوزي، مملكة العربية السعودية، ص ٩٧

العلامة شبير أحمد العثماني، فيستطيع قارئ القرآن الآن أن يستفيد بكل سهولة من الترجمة و مختصر الحواشي، وكل ما كان يوجد من عدم التوازن والاختصار والإطناب في تفسير الآيات فجعله من التوازن والاعتدال والتنسيق ما كان يستحق ويتطلب، وجعل عنوانا لمن يريد بشرح مفصل باسم « البقية « ، وأما الأجزاء والسور التي بقيت ترجمتها وتفسيرها فأكملها استفادة من ترجمة شيخ الهند، و تفيسر ابن كثير، واعتنى بالحفاظ على ما سطر قلم مولانا آزاد من الكلمات والترجمة ولم يغير منها شيئا

موقف آزاد في قصة (ذو القرنين)

يدور رحى كلامنا حول آيٍ من الآيات القرآنية من سورة الكهف التي تتناول قصة ذي القرنين التاريخية الشيقة، وهي كالتالي: قال الله تعالى: {وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا} [الكهف: ٨٣] إلخ... يذكر تفسير الكشاف للزمخشري أنه الإسكندر، وقيل إنه عبدٌ صالح، والإمام ابن كثير يذكر في تفسيره أنه الإسكندر ثم يبطل هذا، وأورد في تاريخه (البداية والنهاية: ٢/ ١٠٢) مثل ذلك وزاد أنه نبي أو مَلَك، أما القرطبي في تفسيره فقد أورد أقوالاً كثيرةً أيضاً: كان من أهل مصر واسمه (مرزبان)، وعن عمر وعلي رضي الله عنهما بأنه مَلَك... أو عبدٌ صالح وهي روايات غير صحيحة ولا سند لها. أما الآلوسي في تفسيره، فقد جمع الأقوال السابقة كلها تقريباً، وقال: لا يكاد يسلم فيها رأي، ثم اختار أنه الإسكندر المقدوني ودافع عن رأيه بأن تلمذته لأرسطو، لا تمنع من أنه كان عبداً صالحاً. أما المفسرون المحدَثون فكانوا كذلك ينقلون عن الأقدمين.

لم يرضَ أبو الكلام آزاد قولاً من هذه الأقوال، بل ردَّها قائلاً: إنها قامت على افتراض مخطئ لا يدعمه دليل، وعُنِي بالرد على من يقول بأنه الإسكندر المقدوني، بأنه لا يمكن أن يكون هو المقصود بالذكر في القرآن؛ إذ لا تُعرَف له فتوحات بالمغرب، كما لم يعرَف عنه أنه بنى سدّاً، ثم إنه ما كان مؤمناً بالله، ولا شفيقاً عادلاً مع الشعوب المغلوبة، وتاريخه مدوَّن معروف. كما عني بالرد على من يقول بأنه عربي يمني، بأن سبب النزول هو سؤال اليهود للنبي صلى الله عليه وسلم عن ذي القرنين لتعجيزه وإحراجه، ولو كان عربياً من اليمن لكان هناك احتمال قوي لدى اليهود - على الأقل - أن يكون عند قريش علم به، ومن ثَمَّ عند النبي صلى الله عليه وسلم ، فيصبح قصد اليهود تعجيز الرسول عليه الصلاة والسلام غير وارد ولا محتمل، لكنهم كانوا متأكدين حين سألوه بأنه لم يصله خبر عنه، وكانوا ينتظرون لذلك عجزه عن الرد، سواء قلنا بأنهم وجَّهوا السؤال مباشرة أو أوعزوا به للمشركين في مكة ليوجِّهوه للرسول عليه الصلاة والسلام، ثم قال: «والحاصل أن المفسرين، لم يصلوا إلى نتيجة مقنعة في بحثهم عن ذي القرنين، القدماء منهم لم يحاولوا التحقيق، والمتأخرون حاولوه، ولكن كان نصيبهم الفشل، ولا عجب فالطريق الذي سلكوه كان طريقاً خاطئاً، لقد صرحت الآثار بأن السؤال كان من قبل اليهود فكان لائقاً بالباحثين أن يرجعوا إلى أسفار اليهود ويفتشوا هل يوجد فيها شيء يلقي الضوء على شخصية ذي القرنين، إنهم لو فعلوا ذلك لفازوا بالحقيقة». لماذا...؟ لأن توجيه السؤال من اليهود للنبي عليه الصلاة والسلام لإعجازه ينبىء عن أن لديهم في كتبهم وتاريخهم علماً به، فكان الاتجاه السليم هو البحث عن المصدر الذي أخذ منه اليهود علمهم بهذا الشخص... ومصدرهم الأول هو التوراة.

موقفه عن سدُّ يأجوج ومأجوج

إنما نسميه بهذا لأنه بني لمنع الإغارات التي كانت تقوم بها قبائل يأجوج ومأجوج من الشمال على الجنوب، كما يسمى كذلك سد (ذي القرنين)، ويقول آزاد: «لقد تضافرت الشواهد على أنهم لم يكونوا إلا قبائل بدوية من السهول الشمالية الشرقية، تدفقت سيولها من قبل العصر التاريخي إلى القرن التاسع الميلادي نحو

البلاد الغربية والجنوبية، وقد سميت بأسماء مختلفة في عصور مختلفة، وعرف قسم منها في الزمن المتأخر باسم (ميغر) أو (ميكر) في أوروبا، وباسم التتار في آسيا، ولا شك أن فرعاً لهؤلاء القوم كانوا قد انتشروا على سواحل البحر الأسود في سنة ٦٠٠ ق.م.وأغار على آسيا الغربية نازلاً من جبال القوقاز، وشكوا إغاراتهم إلى كورش فبنى السد الحديدي لمنعها، وتسمى هذه البقعة الشمالية الشرقية (الموطن الأصلي لهؤلاء) باسم (منغوليا) وقبائلها الرحالة (منغول)، وتقول لنا المصادر اليونانية أن أصل منغول هو (منكوك) أو (منجوك) وفي الحالتين تقرب الكلمة من النطق العبري (ماكوك) والنطق اليوناني (ميكاك)»، ويقول: «إن كلمتي: (يأجوج ومأجوج) تبدوان كأنهما عبريتان في أصلهما ولكنهما أصلاً أجنبيتان اتخذتا صورة العبرية فهما تنطقان باليونانية «كاك Gag» و «ماكوك Magog» وقد ذكرتا بهذا الشكل في الترجمة السبعينية للتوراة، والكلمتان تنطقان في القرآن الكريم بهمز وبدونها.

ثم يحدد مكان السد بأنه في البقعة الواقعة بين بحر «قزوين» و «البحر الأسود» حيث توجد سلسلة جبال القوقاز بينهما، وتكاد تفصل بين الشمال والجنوب إلا في ممر كان يهبط منه المغيرون من الشمال للجنوب، وفي هذا الممر بنى كورش سدَّه، كما فصَّله القرآن الكريم. ويؤكد آزاد كلامه بأن الكتابات الأرمنية تسمي هذا الجدار أو هذا السد من قديم باسم «بهاك غورائي» أو «كابان غورائي» ومعنى الكلمتين واحد وهو مضيق «غورش» أو «ممر غورش»؛ و «غور» هو اسم «غورش أو كورش»، ويضيف آزاد فوق هذا شهادةً أخرى وهي شهادة لغة بلاد جورجيا التي هي القوقاز بعينها، فقد سمي هذا المضيق باللغة الجورجية باسم «الباب الحديدي».

وبهذا يكون آزاد قد حدد مكان السد وكشف المراد من يأجوج ومأجوج. وقد تعرض لدفع ما قيل من أن المراد بالسد هو سد الصين، لعدم مطابقة مواصفات سد الصين لمواصفات سد ذي القرنين، ولأن هذا بني سنة ٢٦٤ ق.م، بينما بني سد ذي القرنين في القرن السادس قبل الميلاد، كما تعرض للرد على ما قيل بأن المراد بالسد هو جدار دربند، أو باب الأبواب كما اشتهر عند العرب، وأن مواصفاته غير مواصفات سد ذي القرنين وهو ممتد من الجبل إلى الساحل ناحية الشرق وليس بين جبلين كما أنه من الحجارة ولا أثر فيه للحديد والنحاس، وعلى ذلك يكون المقصود بالعين الحمئة هو الماء المائل للكدرة والعكارة وليس صافياً، وأما المقصود بمطلع الشمس فهو رحلته الثانية شرقاً التي وصل فيها إلى حدود باكستان وأفغانستان الآن ليؤدب القبائل البدوية الجبلية التي كانت تُغِير على مملكته، والمراد ببين السدين أي بين جبلين من جبال القوقاز التي تمتد من بحر قزوين إلى البحر الأسود حيث اتجه شمالاً. ولقد كان آزاد بهذا البحث النفيس أول من حل لنا هذه الإشكالات التي طال عليها الأمد، وحيرت كل المفكرين قبله، وحقق لنا هذا الدليل، من دلائل النبوة الكثيرة.

الخاتمة

أن الشيخ أبا الكلام آزاد قد استفاد كثيرا من تفسير المنار، وخاصة في مقدمة التفسير وتشمل علىتفسير سورة الفاتحة ، ومنها: - أصول الترجمة - نكات و مباحث عديدة،بحث في وحدة الدين ومدح عبد القاهر الجرجاني والتنقيد علىالعلامة سعد الدين التفتازاني، و البحث حول الرحمة،و تفسير الآيةكان الناس أمة واحدة « كما كتب الدكتور سعود عالم القاسمي مقالا أثبتبالدلائل والبراهين أن الفوز الكبير للشاه ولي الله الدهلوي وترجمته للقرآنالكريم باللغة الفارسية المسمى ب فتح الرحمن قد استفاد منهما العلامة أبوالكلام آزاد، فاستفاد في مقدمة تفسيره من الكتاب الأولوأشار الدكتورسعود عالم القاسمي في مقالته القيمة أن تلك المباحث التي ذكرها مولاناآزاد في مقدمة تفسيره، وهي: أسباب التعقيدات لفهم القرآن الكريم،والفصاحة والبلاغة في القرآن الحكيم، وأسلوبه، والعناية والاعتبار بتفاسيرالسلف، فهذه المباحث المذكورة كلها مأخوذة ومستفادة من الفوز الكبيراللولي الله الدهلوي، وإضافة إلى ذلك هناك كثير من المباحث العلمية والأدبيةوالتاريخية والاجتماعية

التي قد فاته ذكر المصادر والمراجع، فخلاصةالكلام أن هذا التفسير لمولانا أبي الكلام آزاد تفسير قيم، وله مكانة علميةوأدبية وبلاغية وبيانية، حافل بالمواد، والتحقيقات الحديثة التي تتطلب أنيقوم أحد من الباحثين والدارسين بالتحقيق والترتيب وتثبيت المصادر،

المصادروالمراجع

١. ابن كثير، تفسير قرآن العظيم، دار ابن الجوزي، مملكة العربية السعودية، ١٩٤٥م
رفيق وفا الدجاني «اكتشاف كهف أهل الكهف» ، طبع بمؤسسة المعارف ، بيروت، في سنة ١٩٦٤م،

٢. محمد تسير ظبيان «أهل الكهف وظهور المعجزة القرآنية الكبرى» ، طبع بدار الاعتصام ، القاهرة، في سنة ١٩٧٨م

٣. محمد عبده « الأعمال الكاملة» دار الشروق، بيروت ١٩٩٣م

٤. مولانا ابو الكلام ازاد «ترجمان القرآن «، طبع من مكتبة إشاعت أدب، لاهور، پاكستان ١٩٣٨م

٥. ثقافة الهند – المجلد ٢٩ – العدد ٤٠٣ الجزء الثاني ، نيو دلهي

العادات العمانية المنعكسة في رواية (الباغ) للكاتبة بشرى خلفان

الدكتور/ عباس.كي.بي[١]

الملخص

تقدم رواية (الباغ) أحداثاً وتحولات في تاريخ عمان الحديث، وتصور الصراعات الداخلية والحروب الأهلية التي عانت منها عمان خلال القرن العشرين. كما أن هذه الرواية تأخذ قارئها من خلال شخصياتها خلال حروب العمانيين في منتصف القرن الماضي ابتداءً من غزو السعوديين للبريمي مرورا بسقوط الإمامة، ثم ثورة الجبل، ثم ثورة ظفار. وهذه الدراسة تتطرق فقط إلى العادات العمانية في تناول الأطعمة وارتداء الملابس في مناسبات مختلفة وفي طرق علاج شعبي مختلفة كما انعكست في رواية (الباغ) للروائية العمانية بشرى خلفان .

تبدأ الرواية من قرية في الرستاق في بداية الخمسينات من القرن العشرين ، حين يخرج راشد و أخته ريا ، هما أبطال الرواية من القرية هروبا من ظلم أهلها باتجاه مسقط باحثين عن حياة جديدة في تلك المدينة التي سمعوا عنها. يصل الأخوان إلى مسقط بعد عشرة أيام من سفرهما على ناقتهما. من هناك يتجه راشد وريا باتجاهين مختلفين فتتزوج ريا من كاتب في ديوان أحد السادة بينما ينضم راشد لجيش السلطان. يخوض راشد حروب السلطان المختلفة من البريمي إلى نزوى حتى جبال ظفار ، بينما تنشغل ريا في حياتها الجديدة في مجتمع مسقط الغني و المتنوع و تقيم خلالها علاقات قوية مع الشرائح المختلفة في المجتمع المسقطي المختلف كليا عن مجتمع القرية التي عاشت فيها طفولتها. في الجزء الثاني من الرواية تختفي شخصية راشد بعض الشيء، و تبرز شخصية جديدة وهي زاهر بن علي (ابن ريا)، الذي يسير على خطى خاله في رفض الظلم وإن كان ظلم الدولة هذه المرة ، فيهاجر زاهر البلاد للكويت لاستكمال تعليمه، و هناك يلتقي بالناصريين و الشيوعيين فيعود إلى بلاده محملا بافكار جديدة و محاربا للظلم الذي أصبح خاله أحد أدواته فيقف في الصف الآخر من جبال ظفار. وتنتهي الرواية بتمرد الزاهر الثائر أمام طلب راشد منه أن يستسلم لكي يعود معه إلى أمه ريا و والده علي وخطوبته مزنة بل اختار السجن بإدعائه أنه حر والحر لا يحب الظلم.

التعريف بالكاتبة

بشرى خلفان: قاصة وروائية وشاعرة وكاتبة مقال وناشطة ثقافية من سلطنة عمان.وهي عضو مؤسس في جمعية الكتاب والأدباء العمانية منذ٢٠٠٦.ورئيسة أسرة كتاب القصة بالنادي الثقافي٢٠٠٠-٢٠٠٢..ورئيسة لجنة الأد بوالإبداع بالنادي الثقافي٢٠١٠-٢٠١٢.. ومديرة مختبرالسرديات العماني وعضومؤسس٢٠١٣

ولها مؤلفات عديدة ومنها رفرفة(مجموعة قصصية-٢٠٠٤- المؤسسة العربية للدراسات والنشر.) غبار(نص مفتوح- ٢٠٠٨- دارأزمنة)،صائد الفراشات الحزين(نص مفتوح- ٢٠١٠- مؤسسة الانتشار العربي) ، مظلة الحب والضحك(نصوص شعرية- 2013.- دارالغشام)، حبيب رمان(مجموعة قصصية- -2014 مؤسسة الإنتشارالعربي)، الباغ (رواية- ٢٠١٦ – دارمسعى)، حيث لم يعرفني أحد(قصص- ٢٠٢٠- دار مسعى)، ما الذي ينقصنا لنصبح بيتا (نصوص شعرية- ٢٠٢٠- دار مسعى) دلشاد–(رواية- ٢٠٢١- منشورات تكوين)، مقال

١. أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية، بكلية فاروق، ولاية كيرالا، الهند

أسبوعي (في جريدتي الوطن والرؤية. ٢٠٠٢-٢٠١١)،.المشاركة في إعداد وكتابة بعض حلقات المسلسل الكارتوني يوم ويوم ٢٠١١، المشاركة في إعداد كتاب «عمان: تأملات من ماض غير بعيد» - للكاتب والمصور الأمريكي يوجين .أتش. جونسون،المشاركة في إعداد كتاب حول المرأة العمانية - قيد النشر- للكاتبة الأمريكية د. ليندا بابس.

العادات العمانية المنعكسة في الرواية

ومن أهم العادات العمانية المنعكسة في الرواية في ارتداء الملابس ما يلي:

التنوع في الملابس في السراير ومسقط.

حين وصل راشد مع أخته ريا إلى مسقط وأنه كان ذلك له عالما جديدا حيث لا يستطيع أن يفهم نطقهم الغريب وتقاليدهم المختلفة في لبس الملابس وهلم جرا.»يفكر راشد أن أهل هذه البلاد لا يشبهون أهله، في مشيهم عجلة، وفي كلامهم لكنة وكأنهم ليسو عربا، ونساؤهم يلبسن ثيابا تختلف عما تلبسه النساء في السراير. هنا يرتدين قمصانا طويلة ذات كسرات عند الخصر، وفي وسطها جيب كبير ينتهي برأس مثلث، وعلى الأكمام والحواشي نقشت زهور، ووحدات هندسية، وتحت القمصان كانت النساء تلبس سراويل واسعة جدّا. ثياب النساء في السراير بسيطة، قمصان طويلة بلا خصر، ولا كسرات، ولات تكاد تظهر السراول تحتها إلى قرب الكاحل»[١].

طريقة أهل مسقط في ارتداء الملابس.

تشرح الروائية كيف أهل مسقط يرتدي ملابسهم وريّا أخت راشد قد آلفت مع ثقافة مسقط بعد أن **تركت قريتها السراير.**»كانت ريّا التي صارت نساء بيت الوادي يسمينها « ريوه» تحببا، ترتدي ملابسها على طريقة أهل مسقط، ثوب من قماش قطني خفيف، أصفر اللون ومطبوع بدوائر صغيرة حمراء. وتلبس تحته سروالا أبيض واسعا عند الفخذين، وضيقا بامتداد ربلتي الساق، ومشغولا عندهما بوحدات من الورد الملون. على رأسها تلبس وقاية خضراء وفوق الوقاية تضع شيلتها الباذنجانية اللون ، بحضيتها الذهبية، وأطرافها المشغولة بالبريسم المقلود في خيوط سميكة وكأنها حبال رفيعة»[٢]

تجهيزات للعرس

وفي كل ثقافة يحتفل حفل الزفاف بأشكال متنوعة وتقدم لنا الرواية كيف تتم الاستعدادات للعرس في مسقط بمناسبة زفاف ريّا.» اجتهدت نساء بيت الوادي في تجهيزها، أوصين لها على أقمشة العرس من سوق مطرح، وقمن بخياطة ثياب لها بأيديهن السريعة الماهرة، ثم زرن جاراتهن البلوشيات، وساومن على ثمن نقش السروايل بوردهن الملون، وصناعة خليط الصندل والزعفران الذي ستدهن به قبل عرسها فتصفو بشرتها وتلمع، ثم تجمعن حول المدقات المراجل، وأذبن السكر فيها.وأسقطن الطيب والورد وخشب الصندل والعود والظفر، وصنعن لها العطور والبخور الذي ستزف في غمامته»[٣].

ومن أهم العادات العمانية المنعكسة في الرواية في تناول الأطعمة ما يلي:

١. المصدر نفسه، ص:٢٤

٢. المصدر نفسه،ص:٦٤.

٣. المصدر نفسه، ص:٨٤-٨٥

الفطور العادي

تعيش عامة الناس حياة بسيطة وملابسهم بسيطة كما هي الأمر في تناول الأطعمة وفي بعض الأحيان الأطعمة الموجودة حتى يشبع الجميع منها وثمة صورة لتناول الفطور.»بعد الفجر بقليل دخلت مثلى حجرة العودة بصينية عليها إناء من اللبن، والخبز الرقيق المفتت، وبعدها دخلت فضيلة بدلّة القهوة، وصحن التمر ثم تجمت بقية نساء الدار وأطفاله وجلسوا في دائرة واحدة كبيرة حول الصينية، سكبت مثلى اللبن الرائب على الخبز المفتت فأشارت العودة لريّا أن تمد يدها إلا أنها أحجمت تأدبا، وانتظرت حتى مدت العودة يدهافتبعتها كذلك فعلت بقية الأيدى. تناوت النساء إفطارهن ودسسن لقيمات الخبز الصغيرة المغموسة في اللبن الرائب في أفواه الصغار، انتهى الخبز ولم يشبع أحد، لكن أحدا لم يشر إلى ذلك، حمد النساء الله وشكرنه وقمن إلى أعمالهن»[١]

عشاء مسقط

تقدم الرواية كيفية تناول العشاء وأنواع الأطعمة التي توزع فيه. «وبعد المغرب يجتمعون كلهم للعشاء. ريّا صارت خبيرة عارفة بطعام مسقط، يقول له علي وهو يجلسون على البساط تحت البيذامة معلقا على الطعام الذي وضعته أمامهم. تناول راشد أول لقمة من الأرز الأبيض المغمور بمرقة السمك الصفراء الخفيفة، فقال لها مغالبا حرقة الفلفل الأخضر والثوم في لسان وسيلان أنفه الخفيف»[٢]

عقد القران

ومن عادات تتعلق بالزواج عقد القران ويليه توزيع الحلويات والقهوه.»فعقد العود قران علي على ريا في مجلسه، وبحضور أبنائه ورجال الحارة شهودا، ثم أدارربيّع إناء الحلوى وفناجين القهوة بينهم، فتناولوا الحلوى، وشربوا القهوة، وباركوا لعلي، وتمازحوا كعادة الرجال ، ثم تفرقوا»[٣]

احتفالية ختم القرآن

كانت ريا معلة تهتم بتعليم قراءة القرآ ن لبنات القرية والبنات في بيت الباغ ومن عادة العامنيين عقد الوليمة عند ختم القرآن.» عندما ختمت ملك القرآن كان قد مر على دخول ريا بيت الزمار سنتين، علمت فيها ملك القرآن، وتعلمت هي من أسئلتها. بدل التويمينة أقامت عليا بنت صالح وليمة دعت إليها نساء مسقط كلها تقربا، وكانت البيبي وبناتها ومعهن غزلان أول المدعوات. فرش السجاد للنساء في المجلس الكبير الذي كان يخصص للرجال عادة، ووضعت الصواني المثقلة بأكوام عالية من أرز القبولي، وعلى كل كومة قطع كبيرة من اللحم، يغطيها قدر كريم من الزبيب والحمس والبصل المقلي. وبعد أن غسلت النساء أيديهن من الأرز واللحم، وضعت صواني الحلوى، وسارت القهوة في الفناجين بينهن»[٤]

ومن أهم عادات أخرى مختلفة في حياة العمانيين ما يلي

طريقة الاستقبال بين النساء

١. المصد نفسه، ص:٤٥
٢. المصدر نفسه،ص:١٢٦
٣. المصد نفسه، ص:٨٣
٤. المصدر نفسه،ص:٢٥٠

وفي الرواية يمكن نرى طريقة مختلفة في استقبال النساء بينهن وقد جربتها ريّا خلال تصرفاتها مع نساء مسقط.

« لكزتها المرأة القصيرة وقالت لها بصوت هامس: « سلمي على العودة» اقتربت ريّا، وأخذت يد المرأة فانتبهت لها، ورفعت رأسها لتلاقيها بعينين غطيت مقلتاهما بطبقة رقيقة من البياض، شمّت رأسها ويديها كعادتها في السلام على الكبار في البلاد فبادلتها شمّا بشم . كانت لكفيها عروق نافرة ولرأسها رائحة الآس، رائحة درب السواقي والبلاد البعيدة»[١]وثمة طريقة أخرى وهي المصافحة بكف ممدودة ثم بوضع الخد على الخد. « لحظات وانتبهت البيبي لدخول ريّا، فنهضت لها وتبادلتا التحية، لكن البيبي لا تحيي كما يحيون ولا تتبادل شم الأكف كما تفعل النساء في البلاد، بل تستعيض عن كل ذلك بالمصافحة بكف ممدودة ثم بوضع الخد على الخد»[٢]

أعمال المرأة العامة في البيت

تلعب المرأة دورا مختلفة في حياتها وهي التي تؤم شؤون البيت وتربي الأولاد وهلم جرا وهنا تقدم الرواية كيف الأخت ريا تقوم بأعمالها في بيتها.» تركت رضيعها نائما في أقمطته، وقامت لشؤون بيتها، تنقلت في أعمالها بين الحوش والمطبخ والليوان والحجرة، أخرجت ثياب الرضيع وغسلتها، كنست حوشها، ورتبت غرفتها، طحنت البهارات، غسلت السمك، أشعلت النار في الحطب، جهزت موقدها، وحضرت الأرز ومرك السمك، فعلت كل ذلك وهي ساهمة عن كل ما حولها[٣]

طرق العلاج الشعبي المختلفة

العلاج الشعبي موجود في كل الثقافات ويتدرب عليه بعض من أهل القرى ويمكن أن نرى وبعض الطرق في العلاج الشعبي في الرواية. وفي مناسبة يسقط زاهر ابن ريا على الأرض ويشق رأسه قليلا ويشفى من العلاج الشعبي.»يدخل زاهر الحجرة، والدماء تسيل من جبهته، وراءه خليفة يقول كلاما كثيرا فتنهره العودة. تهلع من رؤية الدماء فتركض إليه، وتحمله بين ذراعيها، تسجيه عند قدمي العودة، وتقرفص إلى جانبه، تمسح جبينه بطرف وقايتها لكن الدماء لا تتوقف، تأمره العودة بالتوقف عن البكاء ثم تفحص رأسه بأطراف أصابعها لتعرف مكان الجرح وتقدر عمقه، ثم تأمر ريّا بالذهاب إلى المطبخ، وجلب خليط من الكركم والملح.(...) تأمرها العودة بفتح السحارة، وإخراج قنينة زيت (حل الحليل) وسكب مكدار كف فيه وخلطه به. تخلطه فيتحول خليط الكركم والملح إلى مزيج متماسك تناوله العودة بكف مرتجفة، تقول لها العودة وهي تأخذ منه مقدار إصبعين: « يا بنتي، تراه ما يستوي طب ورْحُم» ،ثم تكبس المزيج في الجرح بقوة حتى تغلقه فيصرخ زاهر»[٤]

وفي مناسبة آخرى تقدم طريقة أخرى عندما زاهر يعاني من الألم « هرعت ريا من الليوان، وأحاطت ابنها بذراعها، حبست جبينه خوفا من مرض ألم به أو حمى، وجدت جبينه ملتهبا، فأمرته بالبقاء في مكانه وقامت إلى المطبخ فأحضرت له كوبا من الماء، وسقته فنجانا من منقوع التفرتيس (نبات يغلى ورقه وتعالج به الحمى) ، ودهنت حلقه، وفمه، ورأسه بخليط الحلق والثوم، ثم ساعدته على الاستلقاء على الحصير وغطته بشرشف خفيف، وجلست إلى جانبه تمسد ذراعيه، وتمسح على رأسه وتقرأ عليه المعوذات»[٥]

١. المصدر نفسه، ص:٣٢
٢. المصدر نفسه، ص:١٣٨
٣. المصدر نفسه،ص:١٢٩
٤. المصدر نفسه، ص:٢٠٠-٢٠١
٥ . المصدر نفسه،ص:٢٢٨

الخاتمة

تناوات الروائية العمانية بشرى خلفان العادات العمانية السائدة في مناسبات حياتهم المختلفة مثل عادات الطعام في الفطور والعشاء وتوزيع الطعام الخاص والحلويات عند ختم القرآن وكيفية ارتداء الملابس عند العمانيين بشكل عام وفي المناسبات الخاصة مثل الزفاف بشكل خاص وهناك ثمة إشارة أيضا إلى طريقة الاستقبال عند النساء وإلى طرق العلاج الشعبي المختلفة. ومن خلال الإشارة إلى هذه العادات العمانية، تكللت الروائية بالنجاح الكامل في إحياء التراث والتقاليد العمانية المتنوعة بشكل مفصل في روايته الشهيرة المعنونة بـ» الباغ».

المصادروالمراجع

١. بشرى خلفان، الباغ،منشورات تكوين، الكويت، الطبعة السادسة ، يوليو٢٠٢٢.

شعرية لغة الحوار في روايات أشرف أبو اليزيد

الدكتورة/ سبينة. كى

الملخص

يعد الحوار أحد العناصر السردية الأساسية، التي يرتكز عليها الراوي في إبراز مجريات الأحداث، و الكشف على مستوى الوعي لدى الشخصيات في روايته. كما يعد أحد التقنيات الجمالية التي تسهم في بلورة شعرية و أدبية النص السردي على العموم، و النص الروائي على الخصوص.ويعد كذلك الحوار من بين العناصر التي يقوم عليها العمل الإبداعي، إلى جانب السرد والوصف، فإذا كان السرد هو حكاية الاحداث، والوصف حكاية الحالات والسمات، فإن الحوار هو حكاية الأُقوال.

ويعرف الحوار بأنه «محادثة بين شخصين أو أكثر، وهو جملة من الكلمات تتبادلها الشخصيات، ويكون ذلك بأسلوب مباشر خلافا بمقاطع التحليل أوالسرد والوصف، هو شكل أسلوبي خاص يتمثل في جعل الأفكار المسندة إلى الشخصيات في شكل أقوال»[١]. وهذه المقالة محاولة لمناقشة عن شعرية لغة الحوار وتقنياتها المختلفة المستوظفة في روايات أشرف أبو اليزيد بشكل عام.

من المسلم به في دراسة الرواية أن شخصياتها تنتمي إلى مستويات متعددة ومتفاوتة من الناحية الأيديولجية والفكرية والإجتماعية وغير ذلك؛ لهذا «تبدو اللغة الحوارية ذات مستويات متعددة تختلف باختلاف النموذج الإنساني، إذ يرتبط المنهج اللغوي بالبيئة والعرف والتقاليد التي ينتمي إليها ذلك النموذج الإنساني.

ونظرا لاختلاف المستوى اللغوي في الحوار وتعدده؛ فقد اختلفت الآراء النقدية حول ماهية هذا المستوى، فهناك من يؤيدون اللغة الحوارية المستمدة من الواقع والمحيط الخاص بالشخصية، و يقصدون بذلك العامية، وآخرون يدعون إلى الفصحى ويتبنونها لغة حوارية خالصة؛ نظرا لاختلاف اللهجات العربية، وعدم إلمام الجنسيات والقبائل المنتسبة إلى العربية باللهجات الدارجة في مختلف الأقطار العربية[٢].

وقد ميز يوسف الشاروني بالإضافة إلى المحاولتين السابقتين. محاولة ثالثة من المحاولات التي قام بها بعض الأدباء لحل مشكلة اللغة الحوارية، وتتلخص في استخدام الفصحى مع إباحة استخدام بعض الكلمات أو التعبيرات أو التراكيب العامية في الحوار ... وهي محاولة تتسم بوجه عام بمحاولة الوصول إلى اللغة وسطي، ليست هي الفصحى ولا هي العامية [٣].

لغة الحوار في روايات أشرف أبو اليزيد تتسم باللغة الفصحة غالبا. وهناك بعض الأمثلة للشعرية للغة الحوار في روايات أشرف أبو اليزيد الأربعة

١. قسومة الصادق، طرائق تحليل القصة، دار الجنوب للنشر والتوزيع، تونس، ط١،٢٠٠٠، ص ٢١٢

٢. الشخصية الروائية بين على أحمد باكثير ونجيب كيلاني ،دراسة موضوعية وفنية ، نادر عبد الخالق ،العلم والإيمان للنشر والتوزيع،٢٠٠٩ ، ص ٣٤٥

٣. يوسف الشاروني، تحولات السرد، نقلا عن دراسات أدبية، مكتبة النهضة المصرية،د.ت ص ٧٦

في الحوار الذي دار بين فيولا و اللواء وجيه عصام الدين

.«سهرت كثيرا الليلة معنا يا سيادة اللواء ؟ !»

كانت عبارة فيولا القصيرة دالة تماما، إنها دعوة له ليودعهما. لكنه كان قد قرر: قبل أن أمشي كنت أريد أن أقول للآنسة نرجس كلمتين».

تفتكر أن هذا وقت مناسب، كلنا تعبنا. وهي أكثرنا. ما رأيك في الكلام غدا ؟ «لم يكن ما تعرضه فيولا مجرد اقتراح، بل كان أمرا، ختمته بعبارة حاسمة «

غدا نجلس صباحا، سأصحو الساعة الحادي عشرة من أجلكما، وهي ستكون في انتظارك. مع السلامة يا سيادة اللواء»[١].

.قال الحاج السمنودي:

«فرحة الكفر فرحتان يا سيد كمال. عودتك بسلام الله من الخارج، وزفاف ست البنات إلى زينة الرجال المهندس مجدي الكيلاني. كل واحد في الكفر سعادته لا توصف اليوم، وستكتمل بعد باكر بإذن الله».

رد السيد كمال:

الكفر كله معزوم يا حاج. هذا فرحكم كلكم.فأنا أخوكم، والعروس ابنتكم. ومن لا يسعه السراي تفتح له المَضيفة. ولا فارق بين الحضور هنا أوهناك. أري أن يكون فرحا يحكى عنه. والبركة فيكم كلكم[٢].

الحوار بين ٦٦٦ وصديقه ١٩٦١

لقد أصبحت عنصرا دوليا، لم يعد على زيوس أن يتواضع أبدا. كنت بالأمس ضحية مؤامرات الصبية، الآن تستطيع أن تحيك مؤامراتك ضد أسيادهم بنفسك. ياله من قدر!

عتبت على صديقي أنه يأخذ الأمر على محمل الهزل :

أنت تريدني أن أتحول من هاو إلى محترف. أنا لم أتجسس على أحد عمدا كما فعلت. كنت أجمع أوراقا مهملة بدافع التسرية عن النفس وإزجاء الوقت، ولم أستخدمها إلا حين أحسست بضيم كبير من أصحابها .

أسكتني صديقي ١٩٦١ بإشارة من يده وقال:

هذا هو لب المسألة برمتها. أنت استخدمت الرسائل السرية في أمر، وأنا استخدمتها في آخر، وأصدقاؤك في السفارة البريطانية يريدون استخدامها في أمر ثالث. المعلومات صماء، لكننا نعطيها ثوبها حين نعيد استخدامها. خذ عندك حكاية دولة الاحتلال الإسرائيلي، والعرب، والفلسطينيين، فالجميع يملكون أو يكادون يمتلكون المعلومات نفسها، ولكن هناك من يستفيد منها،وهناك من يرميها في سلة المهملات»[٣].

١. أشرف أبو اليزيد، شماوس، دار العين للنشر- القاهرة،ط١ ، ٢٠٠٨، ص١٠٢ .
٢. أشرف أبو اليزيد، حديقة خلفية، مكتبة المشارق للنشر والتوزيع، القاهرة ،ط١،٢٠١١، ص١٠٢ .
٣. شرف أبو اليزيد، 31رواية،مكتب المشارق للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١ ٢٠١١، ص ١٩٢.

شعرية التكرار في الحوار

إن الروائي أشرف أبواليزيد قد استخدم تقنية التكرار في الحوارفي بعض الأحيان:

مثال الحوار الذي جرى بين بيت الراوي وسائق السيارة.

... ألقيت بالبصر إلى الخارج. فجعل صوت المسجلة منخفضا، ليتحدث هو:

«مكان يوتر الأعصاب يا أستاذ، منظر الغيطان في الأول يشدك، ويغريك، ويريحك، لغاية ما تبدأ الكلاب تحس بوجودك ...»

قاطعته بدهشة :

« كلاب!!»

استطرد وهو يدهس دواسة البنزين بقدمه :

.«كلاب على اليمين، وكلاب على الشمال. كلاب يلمها «يونيفورم» وكلاب تحبسها السلاسل. أنا قلت أستكشف المكان حين دخلت أنت الفيلا. لقيت على اليمين فيلا قدامها كلاب مسعورة، ولولا أنها مربوطة، كان زمانك تتصل الآن بالإسعاف لجمع الأشلاء ...أشلائي طبعا»[١].

الحوار الذي يدور في داخل ظاظا الذي أحد أشخاص الثانوية في رواية حديقة خلفية:

.أخذت الدهشة بلسان ظاظا، وانحنى مثل قوس متوتر، واقترب هامسا :

«السيد كمال ....حضرتك السيد كمال ؟»

خلاص، قوام نسيت ؟ مجرد يومين يا ظاظا، ولا البعيد عن العين؟»

«السيد كمال السيد كمال»[٢].

والحوار بين ظاظا و أبو هاشم :

.«رحت في أي داهية يا عديم التفكير ليلة أمس ؟ «

ماذا يقول له أبو رأسين؟ لا يمكن أن يخبره برؤيته للسيد كمال .....هل رآه حقا ؟!

قال ظاظا «نمت يا أبونا الحاج. نمت جنب الجامع» [٣].

والحوار الذي دار بين أبي هاشم و أهاليه

١. أشرف أبو اليزيد، شماوس، دار العين للنشر- القاهرة، ط١ ٢٠٠٨، ص١٧.
٢. المصدر نفسه، ص٢٥.
٣. المصدر نفسه، ص٣٢.

عندما دخل الثلاثة إلى الغرفة التي يرقد فيها عبد الحفيظ، تقدم الحاج السمنودي من سرير ابنه وانحنى وهو يطالع رأس ابنه الذي تحيطه ربطات الشاش:

.« ألف سلامة يا أبو سعد. ألف سلامة يا ابني. الدكتور طمأننا، سليمة بإذن الله» [١].

.اطمأني يا أم الولد والبنت. ابنتك ما غلطت. شريفة بنت شريفة وبنت شريف وأخت شريف. النية زين والسكة خطأ. الزرع في المالح مر، والكلام الزيادة ما يسر. استوص بابنك. وربنا يحميه «[٢].

.كانت الأحداث أكثر مما تحتمل دنيا، فأجهشت بالبكاء:

«ماذا فعلنا يا أبي ليحدث ذلك كله لنا؟ ماذا فعلنا؟ ما الجريمة التي ارتكبناها؟»[٣].

.قال عماد وهو يرحب به:

« طبعا، طبعا. التقينا عند ... عند الدكتور كريم عبد المجيد» [٤].

.استطرد خضير مع تنهداته:

«هل كانت الشركة تستطيع طردي بهذه البساطة زمان؟ لا، إنما أين نحن من زمان. كنا نبني مشاريع بجد، والأن المشاريع كلها كلام في الهواء. قنوات فضائية ورسائل فاضحة وخطوط هواتف نقالة. كله كلام في الهواء. آه يا زمن !»[٥].

.لا، لا، لا! اليوم أنت سارح في الملكوت. أنا أخشى أنك أنت أيضا سافرت مع صاحبنا ...أو ابنه !»[٦].

.ألف مبروك يا نرجس. سأترككما تتحدثان وترتبان مواعيدكما. مبروكيا سيادة اللواء. ربنا يتمما لكم بخير. عن إذنكما»[٧].

الحوار الذي يجري بين فوز العبد الله والدكتور مدحت:

«الحمد لله، ربنا معنا. الحمد لله. الحالة مستقرة اليوم، والوجه مرتاح».[٨]

١. المصدر نسفه، ص ١١٣
٢. المصدر نفسه، ص ١٣٧
٣. المصدر نفسه، ص ١٧٣
٤. المصدر نفسه، ص ١٧٦
٥. المصدر نفسه، ص ١٨٠
٦. المصدر نفسه، ص ١٩٢
٧. المصدر نفسه، ص ١١٧
٨. أشرف أبو اليزيد، التُّرجُمان، مؤسسة بتانة الثقافية، القاهرة، ٢٠١٨، ص١٩٤.

الخاتمة

محاولات أشرف أبواليزيد تتميز باللغة الفصحى من خلال استخدام الألفاظ المألوفة، والتراكيب السلسة، والابتعاد عن غرابة الألفاظ، وتعقيدات الأساليب والتراكيب. فهذه لغة فصيحة بامتياز؛ ولكن سهلة الفهم. لقد جاءت لغة الحوار في الغالب واضحة وسهلة ومفهومة لجميع القراء، بغض النظر عن تحصيلهم اللغوي؛ لأنها خالية من الألفاظ الغريبة والصعبة، وخالية أيضا من الأساليب والتراكيب المعقدة وتتجلى الشعرية بالحذف والقصر في الجملة.

المصادروالمراجع

١. الشخصية الروائية بين على أحمد باكثير ونجيب كيلاني ،دراسة موضوعية وفنية ، نادر عبد الخالق ،العلم والإيمان للنشر والتوزيع،٢٠٠٩

٢. أشرف أبو اليزيد، شماوس، دار العين للنشر- القاهرة،الطبعة الأولى ، ٢٠٠٨.

٣. أشرف أبو اليزيد، حديقة خلفية، مكتبة المشارق للنشر والتوزيع، القاهرة ،الطبعة الأولى،٢٠١١.

٤. أشرف أبو اليزيد، 31رواية،مكتب المشارق للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١١.

٥. أشرف أبو اليزيد، شماوس، دار العين للنشر- القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨.

٦. أشرف أبو اليزيد، التُّرجُمان، مؤسسة بتانة الثقافية، القاهرة، ٢٠١٨

أهداف مجلة الصباح للبحوث وشروط نشرها

ترحب هذه المجلة بالبحوث المبتكرة ذات الصلة بأي مجال من المجالات الأدبية واللغوية والنقدية والتربوية والثقافية والفنية.

أهداف المجلة

- تقوم المجلة بنشر البحوث القيمة في حقول الآداب العربية في العالم.
- تهتم المجلة بنشر الدراسات في أي فضاء من علوم العربية من نحو وبلاغة وصرف وعروض.
- تعنى المجلة بنشر المقالات البحثية في الاتجاهات الأدبية وما إليها.
- تفضل المجلة بنشر المقالات المبتكرة في أي مادة من مواد الوسائل التعليمية النظرية للغة العربية للناطقين بها وبغيرها.

شروط النشر

- أن تكون المقالة ذات القيمة البحثية العربية ولم يسبق نشرها في أي مجلة أخرى.
- أن يكون عدد الصفحات يتراوح ما بين ٦-٨ صفحات.
- أن تكون المقالة على منهجية البحوث الأدبية العلمية في اعدادها وكتابتها من توثيق وهوامش وملاحق ومصادر ومراجع.
- أن تكون المقالة مطبوعة مصححة على برنامج Microsoft Word في نوع خط Simplified Arabic وحجمه ١٤.
- أن تشمل المقالة على كتابة عنوانها واسم كاتبها مع البريد الإلكتروني ورقم الهاتف والسيرة الذاتية الموجزة.

- أن ترفق المقالة ملخصا في حدود الصفحة بما فيه الكلمات المفتاحية وتحديد مشكلة البحث وأهداف الدراسة والمراجعة النقدية لما سبق وكتب عن الموضوع ووصف منهجية البحث والتحليل والنتائج.

الملاحظة

- المقالة تخضع للتحكيم العلمي على نحو سري.
- المقالات التى يقترح المحكمون إجراء تعديلات جذرية عليها تعاد إلى أصحابها والمقالات المرفوضة لا تعاد إلى أصحابها

EDITORIAL BOARD

ADVISORY BOARD

Chairman:

Dr.KM Naseer, Principal, Farook College

Members:

Dr.Mahm,oud Darabeh, Professor & Dean of Students Affiers, University of Sharjah, U.A.E.
Dr. Mohammed Basheer.K, Former Vice Chancellor, University of Calicut
Dr. A.B. Moideen Kutty, Head, Department of Arabic, University of Calicut
Dr. C.P. Aboobacker, Former Head, P.G & Research Department of Arabic, Farook College
Dr. Basheer Ahmed Jamali, Professor,Center for Arabic and African studies, JNU
Dr. Habeebulla Khan, Professor, Jamia Millia Islamia,New Delhi
Dr. Sanahulla Nadvi, Aligarh Muslim University, Aligarh
Dr. N.A.M Abdul Khadir, Honorary Professor, Department of Arabic, University of Calicut
Dr. T.A. Abdul Majeed, Professor, University of Calicut
Dr.Ali Noufal K, Associate Professor, University of Calicut

Chief Editor:

Dr. Yunoos Salim,

Asst. Professor & Head, P.G & Research Department of Arabic, Farook College

Editor:

Dr. EK Sajith,

Asst. Professor & Head, P.G & Research Department of Arabic, Farook College

Members:

Dr. Abdul Majeed.T, Asst. Professor
Dr. Muhammed Abid. UP, Asst. Professor
Dr. Abdul Jaleel. M, Asst. Professor
Dr. Sageer Ali. T.P, Asst. Professor
Dr. Abbas. K.P, Asst. Professor

Please note that all correspondence to be addressed to:

Editor,
Majallath Al Sabah Lil Buhooth,P.G & Research Department of Arabic,
Farook College, Farook College (PO) Calicut Dt., Kerala, India, 673632
Email: majallathalsabah@gmail.com
hodarabic@farookcollege.ac.in
Website: www.farookcollege.ac.in
Phone : 0495 2440660 Fax: 0495 2440464

© Copyright rests with the authors of the respective papers, who alone are responsible for the contents and views expressed

Published by: P.G & Research Department of Arabic,Farook College
Layout & Design: Muhammed Rashid. P.T
Printers : Puthiyara Printers, Calicut, 673004

MAJALLATH

AL SABAH LIL BUHOOTH

PEER REVIEWED ANNUAL RESEARCH JOURNAL

Volume - VII • January 2022

ISSN: 2454-7824

ORA ET LABORA

P.G & RESEARCH DEPARTMENT OF ARABIC
FAROOK COLLEGE (AUTONOMOUS)

Affiliated to University of Calicut | **College with Potential Excellence (CPE) Status identified by UGC | Re-accredited with A+ by NACC**
Farook College P.O, Kozhikode, Kerala, India, 673632, www.farookcollege.ac.in